لويس ماسينيون

محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية

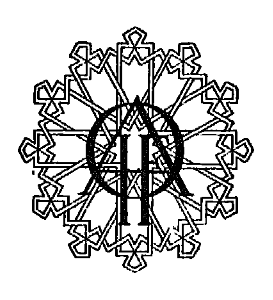
(من ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٢ إلى ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣)

تصدير بقلم

الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور

حققته وكتبت مقدمته وحواشيه

دكتورة زينب محمود الخضيري



المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

لويس ماسينيون

محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية

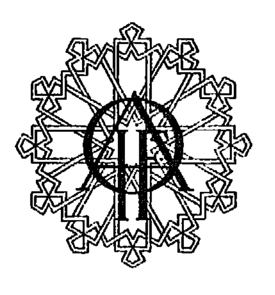
(من ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٢ إلى ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣)

تصدير بقلم

الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور

حققته وكتبت مقدمته وحواشيه

دكتورة زينب محمود الخضيري



المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

المحاضرة الأولى

الافتتاحية (فى طريق التدريس) [a]

تحية ...

الطريق الذى إخترناه لبدء دراسة تاريخ الفلسفة العربية هو ذكر المقولات العقلية والأسماء الكلية والمعانى العامة وتحديد معانيها على مرور الدهور .

والمقصود من هذه المحاضرات إنما هو إيجاد طريقة فى تاريخ المذاهب الفسلفية تختلف عن طريق التنقل من ترجمة شخص إلى آخر ، كما هو مبين ببعض الكتب ككتاب القفطى وابن أبى أصيبعة اللذين يفيداننا فى موضوعنا هذا بعض الفائدة ، بل نريد أن ندخل فى طريقتنا الموسومة ثم إلى قصدنا المؤسس على نية حسنة . فإذا رأينا مثلا أن الغزالى كتب « التهافت » ، ورد عليه ابن رشد « بتهافت التهافت » فلا نستنتج من ذلك كما يقولون مثلا ألا فائدة فى تعلم الفلسفة .

وقد اخترنا أن نرجع فى تاريخ الفلسفة إلى أوائلها كما سمعتم من الأستاذ « سنتلانا » [٢] فى طبقات فلاسفة اليونان ، وهو أن ندخل فى بيان المقولات العامة والأسماء الكلية الراجعة إلى أحكام ثابتة . وإذا كان لابد من أن يوجد إختلاف فى موضوع ما فعلينا أن نرجع إلى النقطة التى بدأت منها فروع إختلفت ، ونأخذ من الأصل جملة أشياء كمثل الإناء الواحد الذى وضعت فيه أشياء مختلفة . هذا وستكون الأسماء الكلية باقية على أصلها . فإذا قيل فى مسألة الروح إنه يوجد خلاف بين الفلاسفة والمتكلمين وبين الصوفية فى إستعمال إصطلاح واحد رتبنا فى المحاضرة إصطلاحات الموضوع وبينا آراء الفلاسفة فى المسألة الواحدة . نرى فى اللغة العربية دائما تخصيصات لغوية فإذا

---

a) جاء هذا العنوان فى الفهرس .

---

(٢) المحاضرات التى يشير إليها الأستاذ ماسينيون هنا هى : « دروس التعاليم الفلسفية » وهى مجموعة محاضرات ألقاها صاحبها فى الجامعة المصرية القديمة وتعالج المذاهب الفلسفية الإسلامية من حيث تأثرها بالفلسفة اليونانية .

جمعنا المعانى المختلفة فى مسألة مثل مسألة الروح وقابلناها على الأساس اللغوى ، وبالنظر إلى سلسلة المعانى فإنا نفهم أصل الإختلاف ومن أين تفرع . وستقسم المسائل والمقالات العامة بين المحاضرات . وهذه المسائل وإن كانت موجودة فى كثير من اللغات إلا أنها فى اللغة العربية خاصة أدق مايكون فى بيان الفلسفة . ومادمت أرجع فى بحثى إلى اللغة العربية أصلا ومافيها من دقيق النظر فأنا سأكون دليلكم حتى نصل إلى أول باب من أبواب الحقيقة [٣] ، فأتركم تلجونه وأنا لا أدخل كما قال « دانتى » Dante الشاعر الإيطالى من أنه يحمل المصباح ويتقدم أمامهم حتى باب الجنة مهتدين بنور مصباحه ثم يدخلون وهو لايدخل .

تأسيس قاموس عربى للإصطلاحات الفلسفية الشرقية والغربية وبيان فوائدها لإصلاح اللغة الفلسفية الحالية :

إن هذا العمل مقدمة عظيمة لعمل كبير ومفيد نشتغل فيه معا حتى يكمل . ولقد سمعتم عن اللجنة التى أسست بنظارة المعارف المصرية لعمل قواميس للكيمياء والطبيعة وعلم الاحياء [a] « Biologie » وغيرها من العلوم ، وأرى أنهم ربما لا يصلون إلى معرفة جميع الكلمات العربية اللازمة لهذه القواميس كما هو رأى كثير من المفكرين فى مصر ، لأنه وإن كانت اللغة العربية غنية بمفرداتها ، مدهشة فى إصطلاحاتها ، إلا أنه ليس عندنا كشكول يؤخذ منه ما يحتاج إليه فى هذه المواضيع . ولكن إذا أردنا أن نعمل الإصطلاحات الفلسفية وقاموسها فالطريق سهل وعلينا إستعمال القواميس الخاصة بمفردات اللغة ونشتغل إشتغالا مستقلا بعد ذلك بالطريق الذى ذكرناه .

إن مقدمة العلوم هى الفلسفة وأضبط الكلمات الإصطلاحية هى الكلمات الفلسفية . فإذا

---

a) جاء فى الأصل « علم الحياة » .

---

(٣) لم يكن الأستاذ ماسينيون هو أول من وضع قاموسا عربيا للإصطلاحات الفلسفية فقد سبقه إلى هذا على سبيل المثال لا الحصر الجرجانى فى « تعريفاته » والتهانوى فى « كشاف إصطلاحات الفنون » . ولكنه أول من حاول الربط بين المصطلحات الفلسفية العربية (أو الشرقية كما يسميها) وبين مايقابلها فى اللغات الأوروبية حاليا (أو الغربية كما يسميها) وهى تلك المحاولة التى تكشف عن تطور المصطلح . ونلاحظ أن الصبغة الصوفية تغلب على أسلوب أستاذنا ويتضح هذا عند حديثه عن « باب » الحقيقة .

وجدنا كلمات إصطلاحية عند العرب لثلاثين جوهرا من جواهر الكيمياء فإن المقولات العامة الموجودة فى بطون كتب الفلسفة محفوطة ومنها يسهل عمل القاموس .

والطريقة فى تأسيسه هى طريقة المحاضرات التى ذكرناها ، وهى النظر بالترتيب وبالانتظام فى المقالات العامة ، وفى المعانى المختلفة المنسوبة إلى المذاهب ، كما سنتكلم فى مسألة الروح أو العقل وغيرها ، وبعد ذلك يمكن ترتيب هذه الإصطلاحات على حروف المعجم . قال « Condillac » [٤] الفرنسى : [عاش فى القرن الثامن عشر] « ليست الفلسفة إلا إستعمال اللغة بغاية الإتقان فى الموضوعات » . فلا نستفيد من الفلسفة إلا إذا حققناها لغويا والكتب التى يخرجها مدرسو الفلسفة فى باريس خير شاهد على ذلك . فقد أسسوا جمعية فلسفية يقوم بعض أعضائها فيلقى على الأخرين بحثا ما فى إصطلاح ما ، مستشهدا عليه من القدماء والمحدثين ، وبعد التدقيق على قدر اللزوم يخرجون للناس نتيجة أعمالهم فى آخر كل سنة فى مجلد حافل كهذا Vocabulaire philosophique : Société française de philosophie, 1902 [٥] .

وقصدى أن أسلك فى كل باب من أبواب القاموس هذا الطريق . مثلا اذكر المعنى اللغوى الأصلى لكلمة « العلة » ولا بد أن يكون موجودا إذ أن اللغة العربية خزانة الحكمة ، وقد إشتهرت بالحكم ولهذه الحكم ذوق دقيق غريب . فمن نظر إلى ديوان المتنبى وجده كما قال الصفدى مفعما بالحكم . وبالجملة نبدأ بـ :

١ — المعنى الأصلى اللغوى .

٢ — ثم الأصل اليونانى لأن تحديد الاسم اللغوى فى الإصطلاح أصله من التقاليد اليونانية كما نجد ذلك فى ترجمة الحمصى لكتب أفلوطين المنسوبة إلى ارسطو ؛ فما كان لدى الحمصى هذا شىء من الاصطلاحات الفلسفية المحكمة .

٣ — الترجمة التى نقلت فى القرون المتوسطة من اللغة العربية إلى اللاتينى . نرى «Bacon» و «Descartes» و «Spinoza» قد إستعملوا الاصطلاحات اللاتينية المترجمة عن العرب

---

[٤] ذهب كوندياك إلى أن الأفكار الكلية تتكون بواسطة اللغة نتيجة للتجربة الحسية ، وقد شرح مذهبه فى « رسالة فى الإحساسات » .

[٥] القاموس الذى يشير إليه هو نواة معجم « لالاند » المشهور والذى نسب لمؤلفه الرئيسى فيما بعد وأصبح اسمه : «Vocabulaire technique et critique de la philosophie»

قبل ذلك بستمائة سنة . على أن المترجمين فيها قد قلدوا مؤسسيها تقليدا أعمى فمثلا « الجواهر المفارقة » وهى بمعنى الملائكة أو نفوس الأموات قد ترجمت إلى اللاتينى بـ «Substantiae Separatae»[a] . فإذا نظرنا نظر المدقق الى هذا الإصطلاح اللاتينى الفيناه غريبا بالنسبة إلى اللغة اللاتينية ذاتها ، لأن هذا الإصطلاح لا يفيد معنى واسعا كما يفيد باللغة العربية . من هذا نرى أن الإصطلاحات العربية قد تأتى بمعان أوسع . ومثلا كلمة « الحق » لها معنيان الأول اسم من أسماء الله الحسنى ، والثانى الدين وربما كان لها معان أخرى . ولكن كلمة « Truth » بالانجليزية و « Vérité » بالفرنسية لا تأتى كل منهما بأكثر من معنى واحد كاللغة العربية . لذلك إذا أردنا أن نفهم فهما دقيقا فلسفيا لموضوعنا يجب علينا أن نقوم بعمل قاموس الإصطلاحات الذى ذكرناه وأن نستمر حتى نكمله كما كملت الجمعية الفرنسية أكثر من نصف حروف المعجم فى مدة قليلة ، وسيكون عملنا على الأساس الآتى :

١) الأصل اللغوى .

٢) الأصل اليونانى .

٣) الترجمة اللاتينية التى هى أصل الإستعمال المتسلسل إلى وقتنا هذا فى أوربا .

٤) الحدود عند فلاسفة العرب كالحد الأول مثلا للفارابى ؛ فإن تحديد اللغة العربية الفلسفية ثبتت فى عهد الفارابى فقط وقام فى وقته المصطلح الفلسفى الصحيح أما قبله فقد أخذوا طرقا مختلفة .

٥) المعنى الحالى كنظرنا مثلا إلى اصطلاح « النشوء والارتقاء » المترجم عن « évolution » فننظر ان كانت هذه الترجمة صحيحة ام لا .

٦) مراجعة المترادفات .

وسيكون تقسيم المحاضرات على النحو الآتى . الخمسة الأولى مقدمة فى تحديد الإصطلاحات المنطقية لان المنطق هو كالآلة لموضوعنا ثم الأربعة والعشرون محاضرة التى بعدها تكون فى رسم تفصيلى للمقولات العقلية . ونظامنا فى ذلك كما يأتى : هناك اختلاف بين المتكلمين والفلاسفة (انظر كتاب المقابسات لأبى حيان التوحيدى) . يبتدىء المتكلمون بتحديد واجب الوجود ثم يتكلمون فى

---

a) جاء فى الأصل التعبير الفرنسى «substances séparées» لا اللاتينى كما ذكر .

مسألة الوحدانية والصفات ويتدرجون من العام إلى الخاص ومن الجنس إلى النوع . ولكن مذهب الفلاسفة هو الصعود من المجريات الوقتية [a] إلى الباق [b] فى مثل قول الشاعر :

رأيت خيال الظل أكبر عبرة

لمن هو فى علم الحقيقة راق

فوظيفتنا تكون البحث فى الأربعة والعشرين محاضرة على هذا النظام ، ثم محاضرة واحدة فى الفائدة الحالية التى عادت على اللغة والآداب وبالجملة على التمدن [c] .

وفى خمس محاضرات نتكلم عن إمكان إحياء الاصطلاحات الفلسفية والاستفادة منها لأنه كما تعلمون ان الأمة العربية فى المسائل الاجتماعية [d] ضعيفة ، فالترجمة العربية صعبة على العربى ، وها نحن الآن والأمة العربية فى رقى فى المسائل المادية والاقتصادية ، أما فى المسائل الفلسفية وما اختص بها فلم يبلغوا فيها كما بلغوا فى الأولين ولذلك لا نرى للإصطلاح الفلسفى وجودا .

وفى أربع محاضرات نتكلم عن إمكان إحياء التمدن العربى بواسطة احكام الإصطلاح العربى ولنا فى الكتب القديمة مثل إخوان الصفا وأبى حيان وكتب أرسطو وغيرها مادة عظيمة نستفيد منها .

وسنقسم الأربعة والعشرين محاضرة كالآتى :

ــ أربعة منها فى الإصطلاحات المستعملة فى ماهية العدد وماهو موافق للقسم القديم وهو الرياضيات عند أرسطو .

ــ أربعة منها فى الإصطلاحات المستعملة فى ماهية المادة وماهو موافق للقسم المسمى بالطبيعيات .

ــ أربعة منها فى الإصطلاحات المستعملة فى ماهية الحياة وماهو موافق للقسم الثانى من الطبيعيات عند أرسطو الذى لا يفرق بين مسائل المادة والحياة بالنسبة للحيوان ، مع أنهم فرقوا الآن

---

a) لعله يريد « الفانية » . b) لعله يريد « الخالد » . c) لعله يريد « الحضارة » . d) لعله يريد « العلوم الاجتماعية » .

بينهما ، كرأى Duhem [٦] فى مسائل تحت اسم énergétique ويقولون إن المادة لها قوانين خاصة ، وإن الحركة تدل على وجود قوة لما هو موافق للقسم الأول من الطبيعيات عند أرسطو . وأما القسم الثانى عنده فهو الموافق لبيولوجيا «biologie» .

— أربعة محاضرات فى الإصطلاحات المستعملة فى ماهية الروح . ننظر فى عنوان كتاب « روح الإجتماع » المترجم عن « Psychologie » لكاتبه Lebon [٧] لقد استعلمت المعانى الفرعية فى هذه الترجمة .

— أربعة محاضرات فى الإصطلاحات المستعملة فى الإجتماعيات كما هو موجود فى الحكمة العملية والمواقف : «sociologie» [٨] الآن .

— أربعة محاضرات فى الإصطلاحات المستعملة فى مسائل واجب الوجود وماهو موافق لكتاب ما بعد الطبيعية «métaphysique» لأرسطو .

أهميه هذا المصطلح الفلسفى لإحياء التمدن والأدب :

هذه الأهمية ظاهرة لأن المؤلف العربى الذى يريد أن يكتب فى الفلسفة عليه أن يصرف وقتا طويلا فى المراجعة والبحث ، ولكن برجوعه إلى هذا المصطلح يسهل عليه كل شىء وكل طريق يفيد فى اقتصاد الوقت يفيد فى إحياء التمدن .

علائق الإصطلاحات الفلسفية بالمشاكل الحالية فى الأخلاق الاجتماعية :

أولا : قيل إن العلاقة بين الدين والحكمة مسألة بحث فيها كثيرا فمن قائل انها تفيد ، ومن قائلَ إنها تضر كما يقولون عن اللسان إنه قد يفيد صاحبه أو ينفعه . وقد يرجع بعض الناس عن الحق ولا يستعملون الذوق فيرجعون بلغتهم إلى مذهب السفسطائية مثل جرجياس «Gorgias» الذى عاش فى

---

[٦] بيير دوهم هو صاحب «Le système du monde» ؛ و «La théorie physique: son objet, sa structure» وهذا الكتاب الأخير هو الذى يشير إليه الأستاذ ماسينيون .

[٧] عنوان هذا الكتاب هو «Psychologie des foules» وكان أحمد فتحى زغلول باشا قد ترجمه عام ١٩٠٩ وهى تلك الترجمة التى يشير إليها الاستاذ ماسينيون .

[٨] أصبح من المتفق عليه الآن أن كلمة «Sociologie» تترجم « بعلم الاجتماع » .

القرن الخامس قبل الميلاد ، ومثل هيجل «Hegel» الذى عاش فى القرن التاسع عشر بعد الميلاد . ان استنتاجه وهو غلط هو الوجه المضر الوحيد فى الحكمة .

الفلسفة قسمان فهى نظرية وعملية ، وبتقسيم القسم الثانى وقعت الفلاسفة فى حيره الشك . وللشك ضرر كبير فإذا دققنا فى الاصطلاحات فى مواضيع الشك يجب علينا أن نتمسك بالأحكام الثابتة من اللغة لننجو من الخطر السفسطائى ، ولا يضرنا أن نطلع على هذا الرأى أو ذاك مادمنا على أساس ثابت ، وهذا الأساس هو وجه من الأوجه المفيدة من تعليم الإصطلاحات كما قال ابن رشد فى « فيما بين الشريعة والحكمة من الإتصال » [٩] .

ثانيا : الاختلاف بين الحكمة والكلام وهو قسم من العلاقة الأولى .

ثالثا : مسألة تعريف تاريخ الفلسفة هل هو علم أم صناعة : يقول البعض أن تاريخ الفلسفة علمى أى يسير من العام إلى الخاص ، ومن الجنس إلى النوع ، ومن شخص إلى آخر ، ويقول البعض إنما هو ذكر الشخصيات والخصوصيات كصناعة النقاش ، فلا يمكن أن تقول للنقاش ارسم إنسانا بل تقول ارسم فلانا ، والرأى الأخير هو المرجح عندنا .

---

[٩] يريد كتاب « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الإتصال » .

المحاضرة الثانية

مصادر هذا الموضوع [a]

ليس عمل الاصطلاحات التى نريدها بدعة إنما قد سبقنا اليها كثير فى الشرق وفى الغرب . قد صنف القدماء والمحدثون من الكتب فى مبحثنا شيئا ليس بالقليل نذكر منها ما يأتى :

أولا فى الشرق : كتاب « رسائل إخوان الصفا » ، طبع فى بمباى ، وهو أربعة أجزاء فى مذهب الفلاسفة الباطنية ؛ استعمل فى القرون المتوسطة ويهمنا فى مبحثنا . وقد طبع منه مقتبسات العالم الألمانى «Dieterici» فصحح الطبعة الهندية وجمع اقتباسات مهمة فى مجلدين . وماهو بمصطلح [b] ، ولكن كله حدود كثيرة كدائرة معارف .

كتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمى طبع فى « ليدن » سنة ١٨٩٥ صححه « فان فلوتن » . كتاب « احياء علوم الدين » ، يهمنا منه باب بيان مايدل من الفاظ العلوم فى الجزء الأول ، طبعة مصر ، من صحيفة ٢٤ الى ٢٩ . ذكر فيه إنتقال الفاظ العلوم من معنى الى معنى .

كتاب ابن رشد « مابعد الطبيعة » [١٠] ، طبعة مصر ، فيه بعض الإصطلاحات فى مسألة الجوهر يذكر ان أصله فارسى بمعنى اللؤلؤ داخل الصدف ، ثم انتقل إلى المعنى اليونانى لكلمة «Ousia» (الذات) ويقول : ان هناك إختلافا عند المتكلمين لانهم استعملوها على رأى « ديموقراطيس » فى مسألة الجزء الذى يتجزأ .

ومن الكتب التى لابد لنا من الرجوع إليها ، كتب الصوفية الذين أسسوا تقريبا علم الإصطلاحات مثل كتاب الكلاباذى ، وهو حنفى المذهب فى الفروع ، وصوفى ، مات سنة ٣٨٠ هـ . وكلاباذ بلدة فى خراسان ، وهو صاحب الكتاب المشهور عند الصوفية « التعرف » ، وهو

---

a) هذا العنوان مما رأينا إضافته . b) لعله يريد « معجم مصطلحات » .

---

[١٠] يريد « تلخيص ما بعد الطبيعة » .

مرتب على أبواب الاصطلاحات ، ولهذا الكتاب قيمة عند الصوفية ، وهو أوسع من الرسالة القشيرية ؛ فإن التصوف كان منقطعا تقريبا عن الكلام فى وقت القشيرية . والسبب الذى حمل المتصوفين على البحث فى الإصطلاحات ، إنما هو رغبتهم فى فهم المعانى بدقة بأنفسهم لا تقليدا لمن سبقهم .

رسالة القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وهى مشهورة ، وطبعت على هامش « شرح الأنصار » للشيخ العروسى (٤ اجزاء) .

كتاب « كشف المحجوب » للهجريرى الجلابى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٧٠ هـ ترجم إلى الإنجليزية وطبع بإجتهاد العلامة المتشرق Nicholson فى مجموعة « جبّ » [a] ، كتاب « الشطحيات » لروزبهان البقلى المتوفى سنة ٦٠٦ ، وهو شيرازى ، ألف بالعربية والفارسية ، وجمع كثيرا من الكلمات ، ولهذا الكتاب نسختان فى الآستانة (شطح لها معنيان معنى ممدوح وآخر مذموم) .

كتاب ابن العربى سنة ٦٣٤ فى إصطلاحات الصوفيه طبعة «Flügel» الألمانى على هامش كتاب « التعريفات » للجرجانى .

كتاب التهانوى طبعة «Sprenger» المستشرق الذى عاش فى الهند وأصله ألمانى وخدم انجلترا ، وقد طبع الكتاب فى كلكتا سنة ١٨٤٥ وله «Dictionary of technical terms» طبع فى « ليدن » سنة ١٨٦٢ بمساعدة اثنين من علماء الهند .

راجع أيضا كتاب « النجاة » لابن سينا ، و« الفروق الإصطلاحية » لعلى أكبر بن محمود النجفى – طبع مصر [b] .

وقد يوجد فى بعض القواميس التركية مايهمنا الوقوف عليه ، إلا أننا لانذكر شيئا من هذه الأشياء التركية .

هذا ولم يؤسس المستشرقون قاموسا للاصطلاحات الفلسفية الى وقتنا هذا ، ويوجد اثنان ذكرا

---

a) جاء فى الأصل : «Gibb's Fund» .   b) جاءت هذه العبارة فى الهامش .

أنهما يقومان بعمل قاموسين ولكن لم يظهرا الى الآن وهما : Asin وهو أسبانى وأستاذ فى جامعة مدريد بدأ عمله من عشر سنوات ، والثانى Horten وهو مدرس فى جامعة بون فى ألمانيا وله مقاله ترجمت فى « المؤيد » من ثلاث سنوات .

ومن التأليفات العامة التى نستفيد منها بعض الإصطلاحات كتاب للمؤلف «R. Goclenius» و «Eisler» [12] الألمانى وكتاب «Fleming» «Vocabulary of philosophy» الذى أختصر فى كتاب آخر بواسطة «Calderwood» ، ومثل ماظهر فى مجلة الجمعية الفلسفية الفرنسية فى سنة ١٩٠٢ تحت عنوان : «Vocabulaire technique et critique de la philosophie» ، وكان «André Lalande» سكرتير الجمعية من أهم القائمين بالعمل . وكتاب «Geschichte der philosophischen technologie» تأليف الأستاذ الألمانى «Eucken» أى « تاريخ الحدود الفلسفية » الذى بين فيه تقلبات معانى الاصطلاحات ؛ وبحثه نظرى عام .

مقدمة لبيان الإصطلاحات المنطقية :

١) تقريرها بعد أرسطوطاليس .

٢) تحليل الانتقادات والاعتراضات عليها عند الباطنية والمتصوفين .

٣) إستنتاجها فى مذهب « هيجل » فى المصطلح المنطقى — [وهيجل هو أحد الفلاسفة الألمان مات سنة ١٨٣١ وهو من أهم من دققوا فى الإصطلاحات] .

إن الحدود الموجودة من القياس من نحو ٣٠٠ سنة قبل الميلاد الى القرن الثامن عشر بعد الميلاد بقيت على حالها ، ومؤسسها هو أرسطو وهيجل هو أول من بدلها ، واذا شئت يمكن أن تقول إنه إنتقد وغير بعض التغيير فى أصول أرسطو .

ننظر معا فى مقالات أرسطو ويمكن ان نقرأها فى مبحث للغزالى الذى اتفق مع أرسطو فى كل الحدود . بقيت هذه الحدود مستعملة كأساس لمن أراد البحث فى الموضوع الى القرن الثامن عشرة لم يعترضها فى كل هذه المدة إلا انتقادات جزئية فى بعض تأليف المتكلمين من الباطنية

---

[12] قاموس ايزلر هو «Philosophisches Wörterbuch» وقد صدر فى المانيا عام ١٩٠٠ .

والصوفية وهذه التقاريظ قد تشبه بعض الشبه أو اذا شئت أن تقول هى جزئيات من خواطر هيجل إلا أنها تعتمد على مبادىء أرسطو وترتكز عليها .

الباطنية قوم لهم مذهب عام فى السياسة والدين والفروع والكلام والفلسفة ، داموا من القرن الثالث الى القرن السابع الهجرى فكانوا يريدون أن يؤسسوا مبادىء الإتحاد بين العناصر المختلفة ولم يدروا صعوبة ذلك .

نقتبس لفخر الدين الرازى من كتابه « المسائل الخمسون » انتقادا على الباطنية : « يقولون إنه (الله) ليس بموجود ولا بمعدوم » فيبين فخر الدين أن لهم أصولا غير الأصول المعقولة فى المنطق ويرد عليهم بقوله « لا واسطة بين النفى والإثبات » . نرى أن مذهبهم يرمى إلى أنه لا يلزم أن تخرج من المسائل العقلية وبالعكس عند أرسطو يرى أن العلوم نظرية وعملية . نرى الباطنية ينسجون على منوال النحويين فى العلة والمعلول ويقولون إن الموجود مكلف بالمعدوم . والصوفية تميل إلى الباطنية فى مسألة المعانى . هاكم الشيخ الأكبر ابن عربى فى كتابه « الفتوحات المكية » يقول شعرا :

« العبد رب والرب عبد   ليت شعرى من المكلف »

قال ابن تيمية : يزعم ابن عربى أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ، فلواجب الوجود صفتان ، صفة حق وصفة خلق . ولابن عربى انتقاد على الجنيد بن محمد فى قوله « التصوف إفراد القدم عن الحدث » .

وقال على العباس النحوى أن القدم مكلف بالحدث .

هيجل أتى باستنتاج جديد يعتقد بصحته نبينه بعد . وإن أكثر علماء أوروبا يعتقدون بهذا المذهب ولا يودون أن يسموا بالهيجليين نسبة إلى هيجل مؤسس المذهب ويقولون إنهم وقفوا على هذا الاعتقاد بأنفسهم وهو الحق مثل رينان الفرنسى .

يقول هيجل : إن الموجود والمعدوم شىء واحد ولا تمكن نشأة الموجود إلا بواسطة المعدوم . ويقول أيضا : إن نشأة كل شىء تترتب على ثلاثة أحوال : المعدوم فالموجود ثم الصيرورة . أسس هذا المذهب على النظام المنطقى المعروف ، وهو : من المقدمة الكبرى فالصغرى ثم النتيجة . قال إذا فرضنا الحياة فرضنا الموت .

اذا رمزنا لصفة كتاب أحمر بحرف (أ) فلابد أن يكون الكتاب أحمر وغير أحمر على أصول أرسطو ولكن على أصول هيجل نقول : إن الكلام كله على الأحمر ولا يوجد شىء سوى الأحمر .

المحاضرة الثالثة
فى إصطلاحات المنطق

إستشهاد ببعض المتون المستند عليها فى المحاضرة الثانية .

رد فخر الدين الرازى على الباطنية فى كتابه « المسائل الخمسون » من ص ٣٤٥ إلى ٣٤٧ فى مجموعة « الرسائل » طبع الكردى .

كتاب « فصوص الحكم » طبع فى الآستانة سنة ١٨٩١ فى ص ١٠٣ و ١٢٦ .

« بيان تغيير أصول المنطق فى مقالات ابن عربى » باب من أبواب كتاب ابن تيمية : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » طبع بمصر سنة ١٣٢٢ ص ٦٠ وهو منقول من كتاب « التجليات الألفية » لابن عربى الذى منه نسخة فى الكتبخانة الفيضية نمرة ٢١١٩ بالآستانة مع شرحها لاسماعيل بن سوذجين بخط الشارح .

مؤلفات هيجل :

(١) علم الحوادث « «phénoménologie» » .

(٢) المنطق «logique» .

(٣) دائرة المعارف — ترجمت له بعض المباحث فى مجلة العالمين الفرنسية «Revue des deux mondes» الصادرة فى ١٥ فبراير سنة ١٨٦١ وفى دائرة المعارف الانجليزية .

أسماء أقسام المنطق عند أرسطو

لأرسطو فى المنطق ثمانية كتب وهناك كتاب تاسع وهو كتاب « المدخل » وضعه « فرفوريوس » الذى عاش بعد أرسطو بنحو خمسمائة سنة وهو عبارة عن مقدمة كاملة لمنطق أرسطو . وقد وضعت الكتب التسعة فى مجموعة واحدة واستعملت عند العرب ، وفى أوربا فى القرون الوسطى (راجع أقسام العلوم العقلية للشيخ الرئيس ابن سينا فى مجموعة « الرسائل » طبع الكردى سنة ١٣٢٨ هـ ، ص ٢٤٠ الى ص ٢٤٣) .

١) كتاب المدخل وهى كلمة عربية للكلمة اليونانية ايساغوجى «eisagoge» أى مدخل لمقولات ارسطو المنطقية وما هو بشامل لمنطق ارسطو كله بل القسم الثانى منه فقط وهو كما ذكرنا « لفرفوريوس » .

٢) كتاب « المقولات » لأرسطو نفسه هو وما سيأتى من الكتب ، مترجم عن اليونانى لكلمة «Categoriae» .

٣) كتاب « العبارة ويذكر فيه القضايا وهو ترجمة للمصطلح اليونانى «Peri hermeneias» وهى بالافرنجى «enuntiatum» .

٤) كتاب « القياس » مترجم عن «Syllogisme» - «analytica protera» [١٢] — الكتاب الأول للتحليل [١٣] .

٥) كتاب البرهان «Demonstration» وليست على الإسم الأصح ، لأن الأصل هو «analytica postera» وهذا الكتاب وما سيأتى من الكتب تركها فلاسفة العرب المتأخرون .

٦) كتاب صحة المواضيع أو « الجدل » من اليونانية «To topika» والافرنجية «Dialectique»

٧) كتاب « المغالطات » من اليونانية «Sophisma» .

٨) كتاب « الخطابة » من اليونانية «Rhetorica» .

٩) كتاب « الشعر » من اليونانية «Peri-poietica» .

تاريخ المفردات الخمس :

كان من قصد المؤلف فى كتاب « المدخل » أن يبين فائدة بعض المعانى التى تستعمل كعنوان للطبقات وقد بحث أكثر الفلاسفة ذلك فقالوا : لابد من إستعمال كلمات تكون كالآتى لجميع الفنون العقلية ، وعددها خمسة وتسمى المفردات الخمس «universaux» بالفرنسية وهى :

١) الجنس (مثل الحيوان) «genus» باللاتينية ، و«genos» باليونانية ، و «gender» بالانجليزية ، وبالفرنسية «genre» .

---

[١٢] «Syllogisme» هو المصطلح الفرنسى الذى يدل على القياس .

[١٣] هو ما اصطلح على تسميته بالتحليلات الأولى .

٢) النوع (مثل الإنسان) «eidos» باليونانى و «species» بالانجليزى .

٣) الفصل «diaphora» باليونانية و «différence» بالفرنسية والانجليزية .

٤) الخاصية «idion» أو «proprium» .

٥) العرض وهى «symbebèkos» باليونانية ، و «accident» بالانجليزية ، أى سريع الزوال على رأى ارسطو ومن تبعه .

وهذه المفردات تستعمل كالآتى : للقياس والكلام ، فتخرج الشىء من الأعم فالعام وهكذا .

نرى أن كتاب إخوان الصفا يتكلم فى معانى هذه المفردات كما هو موجود فى كتاب المدخل .

تاريخ المقولات العشر :

قال ابن سينا فى كتابه أقسام العلوم العقلية (المعانى المفردة الذاتية الشاملة بالعموم لجميع الموجودات من جهة ماهى تلك المعانى من غير شرط يحصرها فى الوجود أو قياسها بالفعل) . وهذا كما هو عند أرسطو فى الكتاب الرابع من المقولات ، والباب التاسع من الجدل . (وهى ستة فقط عند الهنود على مذهب «kanàdi» هى الجوهر ، والكيفية ، واليفعل والعام والخاص والتجمع) .

والمقولات العشر هى :

الكلمة العربية	الكلمة اليونانية	الكلمة الافرنجية
١) الجوهر	ousia	substance
٢) الكم	to poson	quantity
٣) الكيف	to poion	quality
٤) المضاف (الإضافة)	to pros ti	relation
٥) الأين	to pou	where
٦) المتى	to pote	when
٧) الوضع وهو أعم من الأين ويقال له « النصبة » أى هيئة فى الوضع		situation
٨) الملك	to ekkein	to have
٩) اليفعل	to poiein	action
١٠) الينفعل	to paskhein	passion

قيل إن أصلها أخذ عن تلاميذ « فيثاغورس » «Pythagoras» وإنتقلت من أفلاطون . أما « كانت » [وهو المانى من القرن الثامن عشر] فيعدها أربعة فقط وهى الكم (بدل الجوهر) ، والكيف ، والإضافة ، والحالة (وهى شىء جديد يشبه الوضع) .

مبحث فى معنى الجوهر

الجوهر كلمة فارسية هى « الكوهر » معناها اللؤلؤ ، وقيل فى الانجليزية «Jeweller» إشتقاقا من « جوهرجى » وأصل التخصيص الفلسفى كلمة يونانية هى «ousia» (وباللاتينى هى «substantia») . ولها حدود ثلاثة :

١) عند الطبيعيين هى : الجوهر ، والعناصر أو الجزء الذى لا يتجزأ .

٢) وعند الفلاسفة ، الجوهر : هو ماليس فى موضوع قائم بنفسه .

٣) وعند المتكلمين هو ماليس فى محل . وله الآن مترادفات كثيرة ، مثل العنصر ، والشخص ، والعين ، والذات ، والكناية ، والماهية ، وغيرها . جمعها ابن الفارض معا فى قوله : « فلو بسطت جسمى رأت كل جوهر ، به كل قلب فيه كل محبة » .

[راجع المعيار للغزالى ص ٧٧ و « كتاب مابعد الطبيعة » لابن رشد ص ٧٠] .

عند « تعريف الألفاظ » للانصارى ص ٢١٠ : « الجوهر : ما يستقل بالتحيز » . [١٤] ولذلك الحد كراهة عند المتكلمين لتسمية الذات الإلهية « جوهرا » مثل الانصارى [راجع « الأربعين » لفخر الدين الرازى ص ٣٥١] [١٥] ومن ذلك أيضا استعمال الجوهر عند بعض متأخرى الأتراك لترجمة الأفرنجى atome والأصح « الجرم » .

---

[١٤] لعله يريد كتاب « إرشاد القاصد إلى أسمى المقاصد » .

[١٥] يريد كتاب « الأربعين فى أصول الدين » .

المحاضرة الرابعة
تابع المحاضرة السابقة

١ – ملحوظات على مبحثنا فى المحاضرة السابقة :

ملحوظات على المفردات الخمسة :

كانت المفردات المستعملة فى اصول المنطق عند أرسطو أربعة (فى كتاب الجدل) وهى : الحد ، والجنس ، والخاصة ، والعرض .

ويدخل الفصل والنوع فى « الحد » . ولكن أكثر تلاميذ أرسطو إستعملوا خمسة مفردات ، وهى النوع ، والفصل ، والجنس ، والخاصة ، والعرض . وقد ورد فى رسائل إخوان الصفا ستة مفردات ، وهى : النوع ، والفصل ، والجنس والخاصة ، والعرض ، والشخصية [١٦] . والأخيرة هى التى زادت على المفردات الخمس التى ذكرت ، ولها عند إخوان الصفا أهمية كبرى . وهى باللاتينى «individuatio».

الشخصية إستعملت فى القرون الوسطى ، واعتبرت من مسائل الوجود وقد تكلم الفيلسوف الألمانى «Schopenhauer» الذى عاش فى القرن السابق ، وتسمى عند الغربيين مسألة بؤثيوس «Boethius» أو «Boèce» (٤٧٠ – ٥٢٥) وهو رجل حكومة ، وفيلسوف وشاعر ، ولد فى روما وأتم دراسته فى أثينا . كان عالم فى الرياضة والطبيعة . وقد اتهم فى أواخر حياته وعذب وسجن .[a] وكان مسيحيا ، وقد عاش فى القرن السادس ب . م . وكتب عن هذه المسألة وهو فى حبسه عند أحد ملوك الطوائف . وهذه المسألة عند المسلمين تسمى : « مسألة التسمية والمسمّى والاسم » . راجع . Bernard Bosanquet : The essentials of logic, London 1895, 5th ed.1910 [١٧] .

---

a) جاءت هذه العبارة فى الهامش بخط الأستاذ ماسينيون .

---

(١٦) الشخصية مما أضافه اخوان الصفا للكليات الخمس التى قال بها فرفوريوس فى مدخله .

(١٧) بوزانكيت فيلسوف بريطانى (١٨٤٨ – ١٩٢٣) إهتم بمبدأ « الفردية » أو « الشخصية » كما يسميها الأستاذ ماسينيون فى كتابيه : «The value and the destiny of the individual», «The principle of individuality and value».

ملحوظات على المقولات العشرة :

« فيثاغورس «Pythagoras» أحد فلاسفة اليونان أسس فلسفته على الأعداد وأصل مذهبه تفضيل العدد عشرة . وقام بعده تلاميذه على هذا الأساس منهم ارخيتاس «Archytas» ، الى أن جاء أرسطو فتأثر بمذهب «Archytas» [١٨]وثبت عدد المقولات على أصوله كما بين يامبليكوس «Iamblicos»[١٩] وهو أحد تلاميذ أفلوطين . أما أصحاب الرواق stoïciens فاكتفوا بأربعة ، وهى الجوهر ، والكيفية ، والحالة ، والإضافة ؛ وبظهور افلوطين ، وأتباعه فى القرن الثالث بعد الميلاد دقق الفلاسفة فى المعانى ، لا فى الأسماء وقالوا : إن المقولات ليست آلات منطقية ، إنما هى أشياء محفوظة – فى الأزل ، وإنها أجناس الموجود والمعقول .

وفى القرن الثامن عشر ، ظهر مذهب جديد فى المقولات ، مؤسسه كانت «Kant» الفيلسوف الألمانى . وعدد المقولات عنده أربعة ، وهى : الكمية والكيفية ، والاضافة ، والحالة ، وهى المعانى الأصلية للعقل المجرد عند الإنسان الذى لا يمكن أن يتفكر إلا بها ، وهى مثل « برواز » ضرورى لكل تصور ذهنى . وعدها بعده دينوفييه «Renouvier» تسعة ، وهى الإضافة ، والعدد ، والوضع ، والمسمى ، والكيف ، والصيرورة ، والسبب ، والنهاية ، والشخصية .

والحامل على هذا التنقل هو التفكير فى : هل هذه الأشياء موجودة فى الذهن فقط أم فى الأزل ؟ .

٢ – تاريخ الاصطلاحات المحدودة فى كتاب العبارة :

كتاب « العبارة » هو الكتاب الثالث لأرسطو ، تكلم فيه عن بعض القضايا . المراجع فى هذا الموضوع : كتاب «peri hermenias» لأرسطو – كتاب « رسائل إخوان الصفا » جزء ٢ صحيفة ١٢١ طبعة بمباى – كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى فى جزء ٣ صحيفة ٩٤ وهو مطبوع على

---

[١٨] « أرخيتاس » فيلسوف فيثاغورى معاصر لأفلاطون ، وضع عنه أرسطو كتابا لم يتبق منه إلا شذرات ، من مؤلفاته المفقوده « حياة فيثاغورية » و « القضايا الفيثاغورية »

[١٩] يامبليكوس هو فيلسوف سريانى كان تلميذا لفرفوريوس ، توفى عام ٣٣٠ .

[٢٠] «Charles Bernard Renouvier» (١٨١٥ – ١٩٠٣) فيلسوف فرنسى أسس مجلة النقد الفلسفى «La philosophie critique» عام ١٨٧٢ . حاول التوفيق فى مذهبه « النقدية الجديدة » «néo criticisme» بين كل من « كانت » و « أوجست كونت » .

هامش كتاب ابن حزم تحت عنوان : « مختصر ابن حزم فى المنطق » – كتاب « معيار العلوم » للغزالى من صحيفة ٦٣ إلى صحيفة ٧٧ .

أما البحث فى القضايا فسيكون فى المحاضرة الخامسة .

٣ – المسائل الثلاث :

١) الرابطة و(٢) العكس (٣) والتناقض .

من المذاهب الحديثة « اللوجستيك » «Logistique» أسس أصحابه مذهبهم على مسألة الرابطة واستعملوا فى قضاياهم رموزا مثل الرموز المستعملة فى كتب الرياضة مثل س وص . ومن فلاسفة هذا المذهب بيانو Peano ورسل Russel [سنعرض هذا الموضوع فى المحاضرة القادمة] .

تاريخ اللوجستيك ابتدأ مع Leibnitz . وقد ترجموا باللغة التركية شيئا من مجموعة رموز Boole [٢١] و Stanley Jevons[٢٢] [راجع « ميزان العقول فى منطق الأصول » طبع استانبول سنة ١٣٠٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٨ ، ولكن المختار الآن عند منطقى الغرب هو مذهب Peano [٢٣] .

---

[٢١] Boole هو « جورج بول » (١٨١٥ – ١٨٦٤) العالم الرياضى والمنطقى الانجليزى .

[٢٢] « ويليام ستانلى جيفنز » عالم إقتصادى ومنطقى انجليزى صاحب نظرية « استبدال الأشباه » .

[٢٣] Peano (Giuseppe) (١٨٥٨ – ١٩٣٢) : عالم رياضى إيطالى ومؤسس للمنطق الرياضى ولقد يأثر به كل من رسل ووايتهيد فى منطقهما . أهم أعماله : «Formulaire de mathématiques» .

. المحاضرة الخامسة

تابع اصطلاحات المنطق : القضايا

راجع : « منطق المشرقيين لابن سينا ؛ و« كتاب محك النظر فى المنطق » للغزالى وكتاب « مقاصد الفلاسفة » له أيضا (طبع مصر عند الكردى من ص ٤٠ إلى ص ٧٣) .

١ – تاريخ الاصطلاحات الموجودة فى كتاب العبارة :

كمية القضايا : يرى هملتون Hamilton [٢٤] أنه يلزم للمنطقيين أن يعينوا كمية المحمول «quantification of predicate» ، فإذا قلت : « زيد كاتب » ، لزم أن تكيف كتابته .

إضافة القضايا :

الإضافة باللغة الأجنبية : «relation» وهى قسمان :

١) القضايا الحملية «catégoriques» مثل . « العالم حادث » أى ليس بقديم .

٢) القضايا الشرطية وهى قسمان :

(أ) المتصلة : «hypothétiques» مثل : « إن كان العالم حادثا فله محدث » .

(ب) المنفصلة : «disjonctifs» : مثل « العالم إما حادث وإما قديم » .

« رسل » «Russel» له مذهب خاص ، وهو تأسيس المنطق على الحروف (إن ، والواو ، وأو ، ولا) فكأنه يبدأ بالشرطيه وبنوعيها . ويقول إن الحملية قسم من الشرطيات ومبنى عليها وينتج عنها .

جهة القضايا :

جهة (أو وجه) القضايا :

هناك الكليتان الشرقيتان ، أما الكلية الغربية فهى « الحالة » وهى أقسام :

١) الضرورية أو الواجبه «nécessaires» مثل : « الإنسان حيوان » .

٢) الممكنة «contingentes» مثل : الإنسان ساكت » .

٣) الممتنعة «impossibles» مثل : الإنسان نبات » .

---

(٢٤) «Sir William Hamilton» (١٧٨٨ – ١٨٥٦) فيلسوف اسكتلندى ألف فى الميتافيزيقا والمنطق .

ويمكن الرجوع فى هذا الموضوع إلى « الشرح على الشمسية » لقطب الدين الرازى (المتوفى سنة ٦٢٢ هـ) صحيفة ٤٥ إلى ٦١ ، وكتاب السيد الشريف الجرجانى فى مجموعة « الرسائل » (ص ٢٧٩ طبعة الكردى) الذى يستند إليه السيد جمال الدين الأفغانى .

وقد ورد فى كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى جزء ٣ صحيفة ٩٨ : « حدّ ابن سينا القضايا قائلا : (القضية كل قول فيه نسبة بين شيئين بحيث يتبعه حكم صدق أو كذب) » .

تكملة كمية القضايا : كمية «quantité» – قضية «proposition» وتنقسم الى :

١) شخصية singulière فى نحو « زيد كاتب » .

٢) مهملة «indéfinie» فى نحو « الإنسان لفى خسر » .

٣) محصورة كلية «générale universelle» على نحو : « كل إنسان حيوان » .

٤) محصورة جزئية «générale particulière» على نحو : « بعض الإنسان عادل » كيفية القضايا – كيفية qualité .

وبالنظر إلى الإيجاب والسلب «affirmative», «négative» تنقسم إلى :

١) الموجبة الكلية «universelle affirmative»

٢) السالبة الكلية «universelle négative»

٣) الموجبة الجزئية «particulière affirmative»

٤) السالبة الجزئية «particulière négative»

مسألة الرابطة وتسمى النسبة ومعناها بالافرنجى : «copule» ، ولها أهمية فى المنطق والنحو ، ففى النحو هى فعل (كان) وبالأفرنجى : (To be) بالأنجليزية ، و (être) بالفرنسية . فمثلا اذا قلنا : « الإنسان هو الحيوان » فالرابطة هنا هى : (هو) .

أما أصحاب اللوجستيك Logisticiens [وأحسن كتاب فى مذهب اللوجستيك هو : La » logique déductive par Alexandre Padoa-Paris 1912] [a] فيرمزون للروابط بعلامات كعلامات الجبر كما يأتى :

---

a) جاءت هذه العبارة فى الهامش .

(١) ع تستعمل لاحتواء شخص فى طبقة . مثلا إذا قلنا : « زيد إنسان » فإنها تكتب هكذا : « زيدع إنسان » (وع إشارة مختصرة من اليونانى) .

(٢) تستعمل لتشابه صفة مع صفة مثلا اذا قلنا : « الإنسان ص ناطق فإنها تكتب هكذا : « الإنسان ص رناطق » .

(٣) = تستعمل للرابطة الممكن قلبها مثلا : ٤ = ٣ + ١ أو ٣ + ١ = ٤ .

(٤) = وهى علامة الوحدة «identité» مثل : النبى = محمد ، أو هارون = الرشيد .

وقد انتقد «Poincaré»[٢٥] المتوفى فى العام الماضى . هذه الطريقة وقال إن هذه العلامات لا لزوم لها وليس للإشارة فائدة علمية صحيحة .

مسألة العكس : (أو الانقلاب)[a] «Conversion» .

لقد ترجمت هذه الكلمة من العربية إلى اللغات الأفرنجية فى القرون الوسطى بهذه الكلمة : «équipoblence» ، أما الكلمة الأفرنجية المستعملة الآن فهى «conversion» . مثال على ذلك : « زيد كاتب » فيكون العكس : « الكاتب زيد » ولهذه المسألة أربعة قوانين عند الغربيين ، ونذكرها على ترتيب طبقات القضايا الأربعة :

(٨)[b](١) الموجبة الكلية ، مثل كل « إنسان ناطق » ، ولها ثلاثة أوجه فى العكس .

أ ــ العكس الحملى «simple» مثل : « كل إنسان ناطق » .

ب ــ العكس العرضى : «par accident» مثل : « كل إنسان حيوان » .

ج ــ عكس النفيض «par contraposition» مثل : « كل حيوان له خياشيم هو سمكة » ، وعكسه : « كل لأخياشيم له لاسمكة » . وهذا العكس مفيد فى تحقيق الحدود العلمية .

---

a) جاءت فى الهامش .

b) جاء فى الهامش : « الحروف تستعمل للإختصار فى أشكال القضايا عند أرسطو » .

---

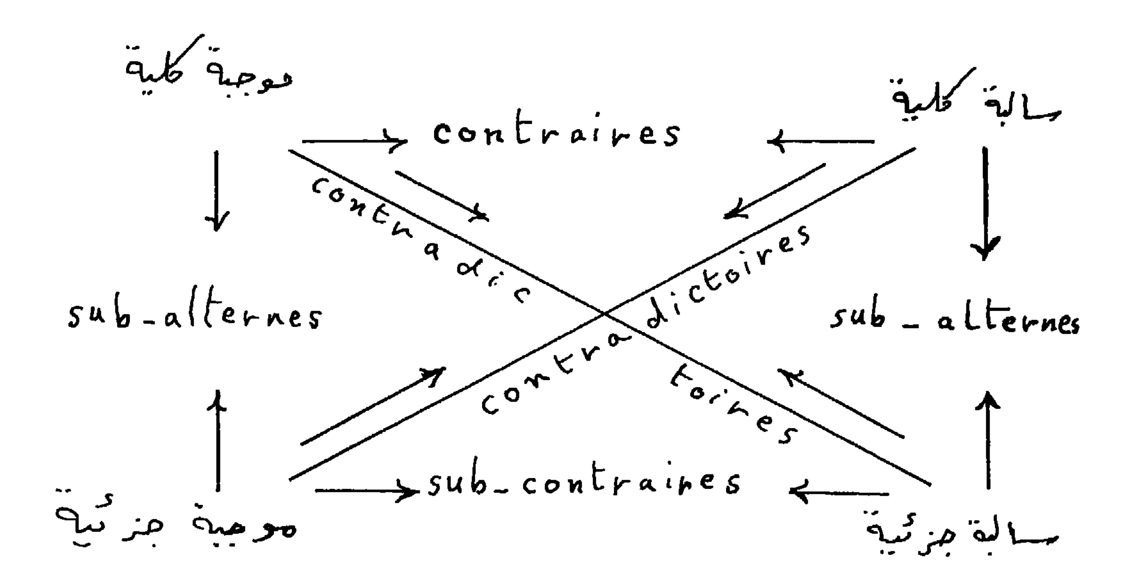
(٢٥) حول هنرى بوانكاريه (١٨٥٤ – ١٩١٢) هو عالم الرياضة والطبيعة الفرنسى الشهير .

(E) (٢) السالبة الكلية مثل « لايوجد إنسان وهو حجر » ، وليس لها إلا وجه واحد للعكس وهو الحملى : « لايوجد حجر وهو إنسان » .

(I) (٣) الموجبة الجزئية مثل : « بعض الإنسان حيوان » وليس لها إلا وجه واحد وهو الحملى : « بعض الحيوان إنسان » .

(O) (٤) السالبة الجزئية مثل : « الإنسان ماليس بعادل » وليس لها إلا وجه واحد وهو (عكس النقيض) : « بعض من ليس بعادل ليس هو بعض من الإنسان » . وهذا العكس مشكل . [راجع الشمسية للقطب ص ١٠١) .

مسألة التناقض : التناقض باللغة الافرنجية opposition وهو يأتى على هذه الصورة التى يمكن وضعها هكذا .



٢ - تاريخ الإصطلاحات المحددة فى كتاب القياس :

الكتب الموجودة فى هذا الموضوع :

كتاب ارسطو «analytica proten» الذى ذكر فيه الـ «syllogismes» أى القياسات .

كتاب إخوان الصفا (جزء ٢ صفحة ١٢٥) .

كتاب معيار العلوم (صفحة ٧٦) (كلام ابن سينا) .

كتاب القطب : « على الشمسية » (من ١٢٦ إلى ١٣٤) [٢٦] .

المقدمات : «prémisses» .

ورد فى معيار العلوم : القياس هو بيان المعانى المفردة ووجوه دلالة الألفاظ عليها . ونجد أن ترتيب الغربيين كان كما هو عند الشرقيين فى مسألة المقدمات كالآتى :

(١) المقدمة الصغرى «prémisse minime» مثل : كل جسم مركب .

(٢) المقدمة الكبرى «prémisse majeure» مثل : كل مركب حادث .

(٣) النتيجة : «conclusion» : مثل كل جسم حادث .

أما أرسطو الهند وهو جوتاما «gotama» وهو شيخ منطقى الهند (٣٠٠ ق.م) .

وباقى الهنود فيرتبون القياس كما يأتى (ولقد نشأ القياس فى الهند قبل التأثير اليونانى وأسمه «niyàyà» «نيايا» .

(١) المقدمة الأولى : هذا الجبل جبل نار	ت
(٢) المقدمة الثانية : لان عليه دخان .	ك
(٣) المقدمة الثالثة : كل شىء فيه دخان فيه نار .	س
(٤) المقدمة الرابعة : هذا الجبل فيه دخان .	ك
(٥) النتيجة : هذا الجبل ذو نار .	ن

---

[٢٦] المقصود هنا كتاب قطب الدين محمود الرازى : « تحرير القواعد المنطقية (القاهرة ١٣١١ هـ) لشرح « كتاب الشمسية » تأليف نجم الدين عمر .

وذلك بخلاف ارسطو فى هذا المقال فإنه يقول على قياساته الثلاثة : كل ذى دخان ذو نار ، ثم هذا الجبل ذو دخان ، وينتج عن ذلك أن : هذا الجبل ذو نار .

الحدود «termes»[a] : وهى الحد الأكبر «grand extrême» ، والحد الأصغر «petit extrême» ، والحد الأوسط أو المشترك «moyen terme» مثل : كل جسم (الموضوع ، «sujet») مركب (المحمول ، «attribut» ou «prédicat») ثم كل مركب حادث ، ثم كل جسم حادث . فالحد الأكبر : كلمة « حادث » والحد الأصغر كلمة « جسم » والأوسط هو كلمة « مركب » .

أما الأشكال فنتناولها فى المحاضرة الآتية

---

a) جاء هذا المصطلح فى الهامش .

المحاضرة السادسة

تابع فى إصطلاحات المنطق : الأشكال والأصناف

الأشكال والأصناف :

الشكل هو باللغة الأفرنجية «figure» .

كيفية وضع الحد الأوسط عند الطرفين الآخرين ومايترتب عليه من أشكال أربعة :

١ – الحد الأوسط ، وهو محمول فى المقدمة الأولى ، وموضوع فى المقدمة الثانية «sub-prae» باللغة اللاتينية .

٢ – محمول فى المقدمتين ، «prae-prae» باللغة اللاتينية .

٣ – موضوع فى المقدمتين : «sub-sub» باللغة اللاتينية .

٤ – موضوع فى الصغرى ومحمول فى الكبرى وهو شكل غير مستعمل : «prae-sub» باللغة اللاتينية [a] .

تركيبات الأشكال : وتسمى باللغة الافرنجية modes ، وعند منطقيى الأتراك تسمى ، ضروبا .

لقد صاغ « أولر » «Euler» فى رسالته التاسعة والثلاثين قوانين أرسطو الثمانية فى أربعة فقط هى :

١) اذا وجدت قضيتان منفيتان فلا توجد نتيجة أو فائدة فى ذلك . وذلك مثل قولك : « لا إنسان لا حيوان » .

٢) إذا وجدت مقدمتان جزئيتان فلا توجد نتيجة أيضا . وذلك فى مثل قولك : « بعض الإنسان بعض الأبيض .

٣) إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة ، فالنتيجة تكون سالبة .

٤) إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية فالنتيجة تكون جزئية .

---

a) كل رموز الأشكال باللغة اللاتينية جاءت فى الهامش .

وللأشكال الأربعة تسعة عشر تركيبا مازالت مستعملة وهى باللاتينية :

1) Sub-prae : EAE-AEE-EIO-AOO

2) Prae-prae : AAI-EAO-IAI-AII-OAO-EIO

3) Sub-sub : AAA-EAE-AII-EIO

4) Prae-sub : AAI-AEE-IAI-EAO-EIO.(a)

الأصناف :

١) حملى catégorique

٢) متصل hypothétique

٣) منفصل disjonctif

٤) خلف impossible

٥) إستقراء induction

٦) التمثيل analogy, analogie

٧) « رد الغائب إلى الشاهد » وهو قياس المتكلمين و « نقل حكم الجزئى إلى الجزئى » ، وهو قياس الفقهاء .

الاستقراء :

يكون فى الشىء المعلوم

ويسمى القياس أحيانا التفصيلى analyse (التحليل) .

ويسمى القياس الإستقراء الاجمالى «synthèse» (التركيب) .

ومن الإجمالى البديهيات «axiomes» (علوم مسلمة) «jugement synthétique».

والحد اسمه بالأفرنجى «définition» .

الحد التام وهو المركب من الجنس القريب «le genre prochain» والفصل القريب «la différence specifique»[b] مثل « الإنسان حيوان ناطق » واسمه بالأفرنجى «parfait», «perfect» .

---

a) هذه الفقرة جاءت فى الهامش   b) جاء هذان التعبيران فى الهامش .

الحد الناقص وهو المركب من الجنس البعيد والفصل القريب مثل : « الإنسان موجود ناطق » واسمه بالافرنجى «imparfait» أو «imperfect» ، واسمه الرسم وبالأفرنجى «description» .

أما الرسم التام فهو المركب من الجنس القريب والخاصة اللازمة مثل : « حيوان ضاحك » وأما الرسم الناقص فهو المركب من الجنس البعيد والخاصة اللازمة ، مثل « وجود ضاحك » .

بحث فى معنى القياس :

لغويا : قيس ، تقال فى استعمال قدر مخصوص كالوحدة للمقابلة فى قياس مقدار مثل : تقييس السطح ، ومقياس الروضة ، والحال الأقيس عند النحويين . أما القياس فى التخصيص العلمى فيأخذ معنى مقياس ، مثل الترمومتر ، والقياس ترجمة للكلمة اليونانية syllogisme .

والحد عند الفقهاء هو التمثيل (a) .

وثمة قياس اسمه قياس العلة أوبرهان اللِّم «why» «pourquoi», «à priori» .

وهو عندما يكون الحد الأوسط علته الحد الأكبر .

وعلى خلافة يوجد قياس الدلالة «because»,«parce que» «à posteriori» المسمى ايضا « برهان الإنّ » . ويسمى مونتانى «Montaigne» القياس المركب « قياس الثعلب » «sorite du renard» ، وهناك القياس الدورى «cercle vicieux» والقياس الافترانى «nécessaire» ، والقياس الاستثنائى «contingent»[b] .

ولقد انكر بعض الفلاسفة والصوفية صحة استعمال القياس فى البحث وضرورية نتائجه فى البرهان . أولا : لأنه لايوجد فى أكثر قياساتنا المفيدة إلا الإستقراء «induction» ومنه الإستقراء الناقص أو الافتراض «hypothèse» .

---

a) جاء فى الهامش : ركن من الاركان الأربعة . راجع إختلاف مذاهب أهل السنة فى « الرأى » والفرق بين القياس التمثيلى والرأى .

b) جاء فى الهامش : «Cyrenon de Bergerak» من واضعى نظرية الإستقراء .

ثانيا : لأن القياس لايقصد إلا الكليات ، بينما لا يتحقق بالتجربة إلا الجزئيات والشخصيات ، ومن الجلى ان الكلية الصرفة الفارغة من الجزئيات والشخصيات معدوم محض لا حقيقة له [a] .

---

a) جاء فى الهامش : يقال أيضا على الفرض أو الفرضية «hyothèse» أما المصادرة فهى الـ «postulat» .

المحاضرة السابعة

فى معنى العدد : أصناف العدد

تاريخ الإصطلاحات المحدودة فى معنى العدد (أى القواعد الأولية فى علم الحساب ونظرية الأعداد) .

المصادر :

(١) كتاب اخوان الصفا ، الرسالة الأولى منه الجزء الأول صفحة ٣٩ .

(٢) وكتاب ثابت بن قرة ، المتوفى سنة ٢٨٨ ، وهو معرب ، « تأليفات اقليدس » «Euclides» مثل «المفروضات» «data», «données» والمفروضات تعنى مايفرض . وكتاب « الاسطقسات » «Eléments» .

(٣) وكتاب محمد بن موسى الخوارزمى (ص ٢٠٥) « مختصر من حساب الجبر والمقابلة » «édition Rosen» .

(٤) كتاب « المفروضات » للخواجة نصير الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ أو سنة ١٢٧٣ م وهو من الفلاسفة والرياضيين معا مثل «Descartes» « ديكارت » و «Leibnitz» ليبنز فى الغرب . [راجع تأليفات الكندى والكرخى المذكورة فى كتاب الفهرست (ص ٢٥٦ إلى ٢٨٣) ، وراجع أيضا كتابى الفخرى والكافى للكرخى (سنة ٤٠٧ هـ) ترجمة «Hochheim» .] [٢٧] .

وترى الفلاسفة القدماء من اليونان أن للأعداد خواص حقيقية ، ومن هؤلاء : فيثاغورس «pythagoras» الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد والذى بنى فلسفته على خواص الأعداد .

وتقول أكثر الباطنية : إن الأعداد تماثيل أولية كالعناصر الدينوية ويذكرون فضائل حقيقية مبنية على العدد ويرى أرسطو أن الرياضيات أربعة ١) الحساب «arithmétique» أو ارثماطيقى — (٢) الهندسة «géométrie» أو جيماطريقا — (٣) علم الفلك «astronomie» — (٤) الموسيقى «musique» .

والعدد باللغة اليونانية هو «arithmos» .

---

[٢٧] جاءت هذه العبارة فى الهامش والمقصود هنا كتابا « الفخرى فى الجبر » و « الكافى فى الحساب » .

١ – تحديد العدد وأنواعه :

قال الجرجانى فى حاشيته على شرح التجريد : الوحدة ليست بعدد لأن العدد هو الكم المنفصل ، فلابد من الانفصال فى العدد ، والوحدة لا انفصال فيها .

وقال كانت «Kant» : لايمكن أن تخرج الكم من الأشياء فلا بد من إستعمال الكمية فى تحديد العدد ، الكمية من أوليات الفكر ، والعدد هو رسم المقولة الكمية .

وقال رسل «Russel» العدد هو طبقة الطبقات المتكافئة : «le nombre est la classe des classes équivalentes» .

٢ – من أنواع الأعداد ما يأتى :

العدد الصحيح الأصلى «nombre entier cardinal»

العدد الكسرى «nombre fractionnaire»

العدد المتناسب أو المحدود «commensurable rationnel»

العدد الغير المتناسب أو الأصم «irrationnel»

العدد الموجب «qualifié positif» مثل + ٩

العدد السالب «qualifié négatif» مثل – ٩

٣ – خاصيات العدد :

تفهم خاصيات الأعداد من علم الحساب ويتضح ذلك بالمقارنة بينه وبين علم الجبر .

فإن الحساب يبحث عن خاصيات الأعداد من حيث هى اعداد ولذلك عرفوه بأنه هو علم خواص الأعداد مثلا : قسمة الأعداد على القاسم المشترك الأعظم أو المضاعف البسيط ، أو المعادلات بواسطة اعداد صحيحة أو الأعداد الأولية والغير أولية وغيرها من مباحث علم الحساب .

أما الجبر ، فإنه يبحث فى العدد من الوجهة العامة وينظر فى جميع الأعداد على السواء . وقد استخدم الرياضيون حروفا اختيارية مقام الرقم والعدد .

الأعداد الغير متناهية «nombres transfinis» على مذهب جورج كانتور (وهو فيلسوف المانى توفى من ١٥ عاما) .

يرى جورج كانتور ان بالإمكان وجود عدد من الأعداد نسميه عدد غير متناه . والدليل على ذلك أن مجموع الأعداد الصحيحة مثل ٢ ، ٤ ، ٦ الخ أكبر من مجموع الأعداد الأولية مثل ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ... الخ .

والفرق هو أيضا عدد غير متناه .

ومع ذلك ، فلا يوجد في الوجود إلا الأعداد الصحيحة . أما الأعداد الغير متناهية والعدد الذى إكتشفه جورج كانتور ، فلا وجود لها إلا فى الذهن كما قال «Renouvier» : كل مجموع مركب من اسطقسات منعوتة متناه وكل معدود محدود .

المحاضرة الثامنة

حساب المعلومات «Arithmétique» – المجهولات – المثلثات

١ – حساب المعلومات .

من الإصطلاحات المستعملة فى علم الحساب فى (حساب المعلومات) مايأتى :

١ – «algorithme» اللوغارتم أى القانون المحلول به المسألة ، رياضية كانت أو منطقية . ومن الغريب أنها مشتقة من الخوارزمى .

٢ – «opération» أى عملية – [الجمع «addition» – الطرح «soustraction» (تفريق واسقاط) – الضرب «multiplication» – القسمة «division» ـــ المكرر «coefficient»] .

٣ – البرهان ، وله معنى . مخصوص فى الرياضة ، واسمه باللغة الأجنبية «démonstration géométrique» وقد استعمله عمر الخيام بمعنى البرهان الصناعى : أى البرهان المستعمل فى الهندسة . وقد فرق فى رسالة لابن الهيثم بينه وبين البرهان الكلامى أى البرهان المستعمل فى الخطابة : [راجع ابن إلى أصيبعة ج ٢ – ص ٩٤٠] [a]

وهذه الكلمة باللغة الانجليزية مرادف هو «proof» وبالفرنسية «preuve» وهى تستخدم فى عملية تصحيح حاصل القسمة ، ولكن فى هذا المعنى لايقال فى العربية « برهان » بل كان يقال قديما « ميزان » ويقال حديثا « إمتحان » .

٤ – الشرح وله معنى مخصوص فى الرياضة واسمه «démonstration algébrique» .

٥ – الأُس «exposant» (puissance) .

٦ – العدد الدائر «nombre congruent» .

٧ – عددان قابل فرقهما للقسمة على ثالث «module» .

٨ – الاعداد المتحابة «nombres amiables» وهى مجموع عوامل العدد وهذه من اختراع ثابت بن قرة ، وتسمى المتجانسة أيضا (وهذه نماذج من خاصيات الأعداد) .

---

a) جاءت هذه العبارة فى الهامش والمقصود طبعا كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » ، édition Von Müller 2Vol.Königsberg 1884.

٢ - حساب المجهولات ، أى الجبر «algèbre»

من الإصطلاحات المستعملة فيه مايأتى :

(١) س (x) للمجهول .

(٢) (+)(زائد) و(−) (ناقص) من اختراع «Leonardo di Vinci» ليوناردو دى فنسى + سنة ١٥٤٣ .

(٣) (×)(فى) علامة الضرب من اختراع «Aughtred» أغترد + سنة ١٦٣١ .

(٤) أ/ب «rapport» قسمة عدد على عدد وهى من اختراع «Fibonacci» فيبونازى فى القرن الثالث عشر .

(٥) (=)علامة التساوى ، وجدت فى كتب إنجليزية مختلفة حوالى سنة ١٥٥٧ وذلك موافق لإختراع المطابع .

(٦) (:)علامة التناسب من اختراع «Leibnitz» ليبنز + سنة ١٧١٦ .

(٧) (ب س) أى (ب) أس (س) من اختراع «De la Roche» (دى لاروش) + سنة ١٥٢٠ .

(٨) √‾‾‾‾ علامة الجذر ، من اختراع «R.de Tauer» « ر . دى تور » + سنة ١٥٢٥

(٩) > أى « أوسع سورا »[a] مثل ٦ > ٥ أى ٦ أكبر من ٥ .

و < مثل ٥ < ٦ أى ٥ أصغر من ٦ وذلك من اختراع «Harriott» هاريوت + سنة ١٦٠٠ .

(١٠) علامة S وهى من اختراع «Leibnitz» .

(١١) (   ) القوسين «parenthèses» لترتيب العمليات وهى من وضع «Bernouilli» (المتوفى سنة ١٧٤٨) .

وبإستعمال الحروف بدلا من الأرقام زادت مادة العلم وذلك من نحو القرن السابع عشر «Viéte» و «Fermat» .

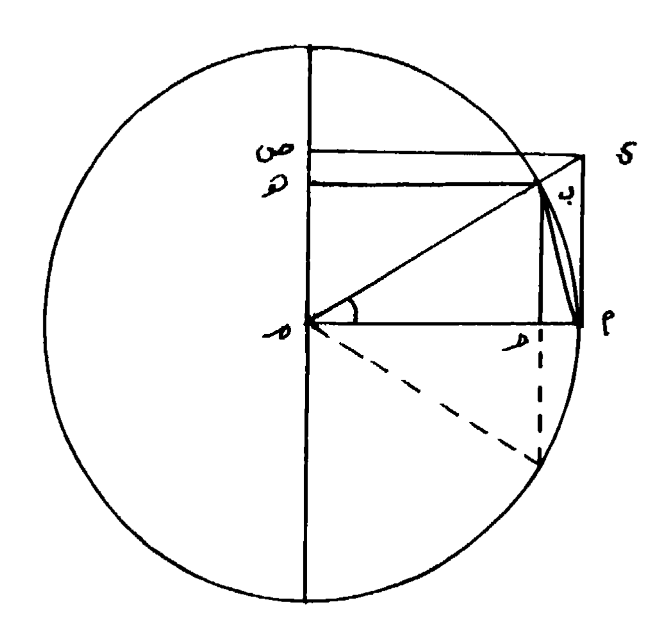
ومن نظر إلى تاريخ إستعمال الحروف والأرقام فى الحساب ، وجد أن الشرقيين ابتدءوا باستعمال الحروف ، وانتهوا باستعمال الأرقام الهندية ، وبالعكس عند الغرب فقد ابتدءوا بإستعمال الأرقام الهندية وانتهوا بإستعمال الحروف[b] .

---

a) جاءت فى الهامش .   b) جاء فى الهامش : الحروف مستعملة منذ أرسطو فى المنطق ومنذ اقليدس فى الحساب عند اليونان .

٣ – حساب المثلثات «trigonométrie» .

بنى حساب المثلثات عند اليونان على وتر القوس (أ ب) (انظر الشكل) وعند الهنود على جيب الزاوية كما قال السينيور نالينو فى « كتابه تاريخ الفلك عند العرب » أى النسبة بين (ب ج) و (أ م) أى نصف القطر . وهذا الترقى ظاهر فى كتاب البتانى «Albategnius» [a] المتوفى سنة ٣١٧ هـ ، والمترجم إلى اللغة الأجنبية سنة ١٥٢٨ بفضل «Regiomontanus» ريجيومونتانس الإيطالى .



a) جاء الاسم اللاتينى فى الهامش .

ومن الإصطلاحات المستعملة فى حساب المثلثات ما يأتى (نذكرها بإعتبار المثلث ب ج م — انظر الشكل) .

جيب الزاوية «sinus» $\frac{\text{ب ج}}{\text{أ م}}$

الجيب التمام «cosinus» $\frac{\text{ج م}}{\text{أ م}}$

الظل «tangente» $\frac{\text{ى م}}{\text{أ م}}$

الظل التمام «cotangente» $\frac{\text{ى ص}}{\text{أ م}}$

القاطع «sécante» $\frac{\text{ى م}}{\text{أ م}}$

القاطع التمام «coséconte» $\frac{\text{م ص}}{\text{أ م}}$

٤ – مصطلح البتانى :

البتانى ليس هو المكتشف لطريقة جيب الزاوية ، إنما هو الذى نقلها من الهندية إلى العربية ، فاستبدل بنظرية اليونان وهى « أوتار الأقواس » نظرية « نصف وتر ضعف القوس » وهو الجيب «Jiva» .

وجيب أخذت من الكلمة الهندية « جيفا » . أما كلمة «sinus» المستعملة الآن فى اللغة الأجنبية فمعناها فى اللاتينى المترجم عن التعبير العربى « نصف الوتر » .

ولحساب المثلثات أهمية عظيمة ، فى علم القطاعات المخروطية ، المستعملة عند الفلكيين لتصوير حركات السيارات .

أما الجيب ، والظل ، والقاطع ، فإنها مؤسسة الآن فى الجبر بطريق آخر لا بطريق حساب المثلثات ، بل بنيت على سلسلة «Taylor» تيلور (١٦٨٥ — ١٧٣١) وهى السلسلة المائلة «série convergente» الآتية :

$$١ + \frac{١}{١} + \frac{١}{١\times٢} + \frac{١}{١\times٢\times٣} + \frac{١}{١\times٢\times٣\times٤} + \cdots = ٢٫٧١٨٢٨٠٠٠٠ .$$

وهذا هو العدد المشهور المسمى «E» وهو عدد أصم (النسبة التقريبية) .

وهو أصل اللوغاريتم فى مذهب Neper وأصل نظرية الجيب الحالية .

المحاضرة التاسعة

فى معنى العدد . الفضاء والدهر ومعناهما

مصطلح الهندسة :

المكان والنظريات الحادثة فى معناه :

(١) الفضاء الأقليدى وانتصار «Lopatchewsky» لوباتشفسكى [٢٨] .

(٢) مسألة التحويل فى مذهب برجسون «Bergson»

(٣) مسألة إنقباض الدهر فى تجارب «Michelson» ميخلسون [٢٩].

المقصود اليوم ، أن ننظر إلى مصطلح المهندسين فى تاريخ الإصطلاحات الفلسفية ، أو إلى نظر القدماء فى مسألة الهندسة ، كما فى رسائل إخوان الصفا فى مسألة المثلثات . فلم يكن حد المثلثات عندهم ، كحد المثلثات عندنا اليوم ؛ لأن المثلث عندهم مركب من نقط منفصلة مثلا : مثلث العدد ١٠ هو

x

x x

x x x

x x x x

(راجع مقدمة الحساب لليونانى «Nicomaque») . ولا وجود للمتصل ، فى الخط أصلا عندهم . بل فى الوجود أجزاء منفصلة غير متصلة . أما حدنا الاعتيادى الآن ، فهو متصل لا منفصل . وهذا راجع إلى مسألة اللانهاية ، التى لم يكونوا يستعملونها بسهولة . ويظهر لك أيضا الفرق فى تقدير حيز الدائرة التى كان ينظر إليها باعتبارها فقط منفصلة . (مسألة تربيع الدائرة ، على أصول تكاثر اضلاع المضلعات الداخلية والخارجية) .

---

[٢٨] لوبا تشفسكى (نيكولاى ايفانوفتش ١٧٩٣ - ١٨٥٦) عالم رياضة روسى كان رائدا فى الهندسة « اللا إقليدية » وإبتدع نظاما هندسيا تحدى به الفرض الخامس لأقليدس .

[٢٩] ميكلسون (ألبرت أبراهام ١٨٥٢ - ١٩٣١) عالم طبيعة أمريكى اشتهر بتجاربه على قياس سرعة الضوء .

ومن بعد إختراع الهندسة التحليلية (Descartes ١٦٢٧) تكتب .
معادلة سميط الدائرة (س ٢ + ص ٢ = نص ٢) .
ولقد حقق الالمانى «Weierstrass» [٣٠] عدم إمكان تربيع الدائرة ببراهين جبرية تحليليه [a] .

ويقول إخوان الصفا أنه توجد هندستان واحدة عقلية وأخرى حسية ، أما العقليةَ فينظرون فيها إلى الأبعاد الثلاثة ، وأما الحسية فينظرون فيها إلى المقادير المنفصلة — أعنى الخطوط والسطوح والأجسام . وعندهم أن أصل الهندسة هو الهندسة الحسية أما عندنا فنبدأ بالنقطة المتحركة كمبدأهم فى الهندسة العقلية (راجع إخوان الصفا من ص ٤٣ إلى ٥٥ ج ١) كل المسائل الهندسية عندنا تبدأ من الحركة ، ولكن فى هندستنا الابتدائية حفظت القواعد القديمة فى حد الخط وذلك باستعمال النقط المنتظمة المنفصلة . والنقطة هى «point» ، والخط «ligne» والسطح surface ، والجسم أو الجرم «volume» . ويظهر ان تاريخ رسائل إخوان الصفا أقدم مما قيل لِلفرق ، فعندهم الحاصل بين الجيوب المحدودة وأصول البتّانى التى سبق ذكرها (+ ٣١٧ هـ) .

والمخروط يمكن إيجاده اذا حركنا المثلث ، فإذا قطعناه بسطح يكون الشكل الحاصل هو إما قطع مخروط «hyperbole» ، أو قطع مكافىء «parabole» ، أو قطع ناقص «ellipse» ، ولقد إستفاد «Kepler» مما اخترعه اليونان من قبله مثل «Apollonius» [٣١] الذى عالج « قطوع المخروط » وذلك فى تفسير حركة الشمس والقمر . وهذا من المناقب المشهورة فى علم الرياضة ، اعنى الإستفادة النظرية من النظريات العلمية فى شرح التجارب العلمية ولو بعد قرون فى المكان (مثلما حدث بالنسبة لأرصاد «Tycho-Brahe»[٣٢]) . وعند اقليدس المكان عبارة عن ثلاثة أبعاد غير إن بعض المحدثين

---

a) هذه العبارة جاءت بعد ذلك فى الأصل وإن أشار الأستاذ ماسينيون فيه إلى ضرورة نقلها إلى هذا الموضع .

---

[٣٠] هو كارل ويرستراس (١٨١٥ — ١٨٩٧) الرياضى الالمانى الذى وضع نظرية فى العوامل .

[٣١] «Apollonius» هو «Apollonius of Perga» (٢٤٧ إلى ٢٠٥ ق.م) وهو رياضى يونانى شهير من المدرسة الاسكندرية له رسالة عن « المقاطع المخروطية فى ثمانية كتب ضمت إلى جانب نظرياته نظريات السابقين عليه ومن بينهم اقليدس .

[٣٢] هو تيخو براهى (١٥٤٦ — ١٦٠١) الفلكى الدانمركى الذى ساعدت ارصاده الدقيقة للكواكب «كبلر» على الوصول إلى قوانين حركاتها .

ذكروا أن فى الإمكان ايجاد أكثر من ثلاثة ابعاد ذكروها فى كتبهم . ويقولون إن عدد الثلاثة فى الأبعاد اذا استعملناه فهو لفائدتنا ومجاراة لإقليدس ولكنه ليس عين الحقيقة . ولقد قال «De Cyon» عن مسألة القناة الدائرية فى المخ انها تختلف فى بعض الحيوانات عن الأخرى . ولها فى الإنسان ثلاثة أزواج ومن ذلك إعتقادنا بالأبعاد الثلاثة .

١) أما إنتقاد «Lopatchewsky» فيقول المنتقد إن إقليدس برهن على إمكان رسم خط مستقيم (فى سطح مستوى) يكون له من نقطة خارجية خط مستقيم آخر مواز له لا يمكن تلا قيهما ابدا ، وافترض فى النمرة الحادية عشرة من « الأصول » ، ان هذا الخط الآخر وحيد ليس له نظير . هذا هو اصل الهندسة الأقليدية فى تقدير حيز المثلثات . وقال المنتقد إن هذا الكلام افتراض وإنه ربما تحدث زاوية سماها « زاوية التوازى » «angle du parallélisme» والمسافة التى بين الخطين شرط بقدر زاوية التوازى ويمكن بها رسم موازيات كثيرة . واعجب بهذا الرأى الفلكيون ، وتقيسوا التحقيقه بعض المثلثات المرسومة فى حركات السماوات .

يمكن أن نتحقق من قواعد «Lopathewsky» ، إذا فرضنا ان حياتنا حياة حيوان مضطر للمعيشة فوق سطح الكرة الأرضية إلى الأبد ، فلابد أن يرسم فى لغة الدائرة العظمى [a] « خط مستقيم » [b] ، ولكن لايمكن أن يرسم له موازى على سطح الأرض خلافا لإفتراض اقليدس .

٢) مسألة التحويل فى مذهب برجسون «durée»,«duration» معناه الدهر و «time» أو «temps» معناه الزمان . فالزمان عنده منفصل وهو أوقات تستعمل للموازنة فى العلوم ، مثل الساعة والدقيقة ، وهو ينكر وجودهما أصلا . وبالعكس الدهر متصل ، وهو حقيقة حياتنا ، أى حياة الموجودات حتى أنه يزعم ان الدهر جوهر . وعلى ذلك يكون رأى برجسون فرّق بين « الدهر » و « الزمان » . وذلك مثل مذهب «Newton» الذى كان يقول إن الدهر موجود مطلقا أى جنس من « الظل المحدود » عند محيى الدين بن عربى (راجع الفتوحات المكية جـ٤ ص٣٦٧) ؛ وهذا مهم خصوصا فى علم النفس فيما يتعلق بحقيقة اعتقاد حرية العمل وسنفصله فى علم النفس .

---

a) جاء فى الهامش بخط الأستاذ ماسينيون : هى « العظمى » لأنها أقرب طريق بين نقطتين .

b) جاء فى الهامش بخط المؤلف أيضا : « مستقيم » لأنه أقصر طريق بين نقطتين .

٣) أما تجارب ميخلسون فهى مبنية على بعض إكتشافات فلكية وطبيعية قام هو بها فى علم الضوء . قال اذا نظرنا لجسم من الأجسام فليس له صورة واحدة بل تتعدد هذه الصور بتعدد مراكز الأشخاص الذين ينظرون إليها لأن شكلها منقبض فى جهة سرعة حركتها .

المحاضرة العاشرة
فى معنى العدد : مصطلح الموسيقى

نرجع فى مسألة الموسيقى فى الإصطلاحات الفلسفية إلى رسائل إخوان الصفا (جـ ١ ص ٨٤) ، وفيها الموسيقى بمعنى علم الجمال عندنا ؛ وإلى الفارابى ، وإلى الرسالة الشرقية لصفى الدين بن فقير المعاصر للمستعصم ، وإلى « الرسالة اللازقية » للازقى التى كتبت فى مدة حكم يزيد الثانى التركى . ولابأس من الرجوع إلى كتاب « الأغانى » للأصفهانى ، وإن كان لا يوجد فيه بيان أصول الموسيقى . ومن رسائل المتأخرين نرجع إلى «Meshâqah» مشاقة السورى ، وإلى «Demetrius Cantemir» التركى من أهل القرن الثامن عشر الذى طبع فى الآستانة وفى رسالته رموز حرفية للعلامات الموسيقية على أصول الفارابى . إرجع أيضا بالنسبة لقوانين العلم إلى « دليل الأدب فى موسيقى الأفرنجى والعرب » لأحمد أفندى أمين الديك طبع بمصر عام ١٣٢١ ، وإلى « قاموس تصوير الأنغام على كل مقام » لمنصور عوض (طبع بمصر عام ١٣٢١) ، وإلى « الموسيقى الشرقى » لكامل أفندى الخلعى [a] .

أما عندنا نحن المستشرقون فنعرف «Villotean» و «Land» . و«Carra de Vaux» و «Collangettes» [٣٤] . وتوجد إختلافات بين هؤلاء المستشرقين لأنهم أهل علم لا أهل عمل .

١ - النسبة «rapport» والبُعد « intervalle » فى الأنغام :

راجع تأليفات «Charles Henry» فى قوانين التباين المتعاقب والمتوافق «Contraste simultané et successif» ، وهو أصل الخلاف بين الموسيقيين والطبيعيين فى بردات الطبقة (gamme de Pythagore et gamme de Ptolemée)[b] .

---

a) هذه الفقرة غامضة فى الأصل ولذا أعدنا صياغتها بقدر المستطاع .

b) جاءت هذه الفقرة فى الهامش .

---

(٣٤) عمل Land المشار اليه هنا هو «Recherches sur l'histoire de la gamme arabe» leyde 1824 ؛ أما عمل «Carra de Vaux» فهو «Le traité des rapports musicaux», journal Asiatique, 8 série,t. XVII ؛ وأما عمل «Collangettes» فهو «Etude sur la musique arabe», Journal Asiatique 1904 et 1906 .

ومسألة الأنغام كمسألة الأعداد ، ولكن ليس كما فى الحساب ؛ وكان يقارن حتى مذهب إخوان الصفا بين الأوتار الأربعة والعناصر الأربعة لأن كل الموجودات عندهم مرتبة ترتيبا معينا . نفكر فى النسبة والبعد بين الشيئيين فنشعر بتنظيم الأشياء فى الموجود ، وهذه هى الغاية فى مسائل العدد . مثلا فى الهندسة توجد نظرية «proposition harmonique» أو «division» أى النسبة المنتظمة أو القسمة المنتظمة ، وأصل هذا من علم الموسيقى . خذ مثلا أحد أوتار العود ist. mis.ed كروان ج حسينى ج جهار كا ، فيلزم أن نقسم بلا تأمل الوتر حتى يحصل النظام الموسيقى بأن نهزّ الوتر إلى أقسام طولها $\frac{٢}{٣}$ و$\frac{٤}{٥}$ و ١ . وقد بين «Charles» الهندسى طريقة هذا التقسيم المنتظم وهذا هو القانون : ثلاثة أعداد بنسبة زائد الأول على الثانى ، مع زائد الثانى على الثالث . هذا مثل نسبة العدد الأول مع الثالث ثم مثلا ١ − $\frac{٤}{٥}$: $\frac{٤}{٥}$ − $\frac{٢}{٣}$: : ١ : $\frac{٢}{٣}$.

وهذا القانون المهم فى الهندسة الحديثة هو أصل الطرب الذى يأخذ بمجامع القلوب اذا كتبنا $\frac{أ}{ب}$ فانها = $\frac{ت}{ث}$: $\frac{ج}{د}$. وذكر «Cardan» قاعدة «régle des 6 quantités» ونسبها إلى الكندى .

ومسألة النسبة مثل مسألة المجاز والإستعارة فى البلاغة أى أننا نفكر فى مسألتين بينهما تجانس ، وهذا أيضا هو أصل الشعر حيث تعمل نسبة بين المتحرك والساكن فى الحرف . وفى الفنون الجميلة توجد مسألة التباين «contraste» وينظر فيها إلى الألوان وما يتممها . مثلا البنفسج المتمم له هو الأصفر ، والمتمم للأحمر هو الأخضر ، والمتمم للبرتقالى هو الأزرق ، وعلى ذلك يكون الثابت «dominant» متمم للأساسى . فإذا ضرب مثلا الدوكا تحول أولا إلى الحسينى لأنه متمم له فى طبقة الدوكا (أى الدرجة الأولى من البردات التأليفية بعد الدوكا بخمس «quinte» فى الدرج الموسيقى «échelle des sons harmonique») .

٢ − أصول مصطلح الموسيقيين الشرقيين وإختلافها مع أصول الغربيين :

فضل الشرق :

١ − تفضيل الضروب «rythme» على الموازين «mesures» وتنوع الضروب مثل المصمودى ، السماعى الخ) .

٢ — تدقيق الأربع [a] «quart de ton» فى كل مسافة بين مقامين .

٣ — تنوع الأنغام «modes» وخصوصية تأثيرها (النهاوند للحزن والحجاز للشجاعة ، كما فى موسيقى اليونان ، وفى الترتيل الغريغوريانى «chant grégorien» .

نقص الشرق : عدم تأسيس صناعة «contre-point» أى التركيبات بين صوت وصوت وبين برداة وبرداة ؛ أفقد كل تألف «accord» . «harmonie» أى التلحين بتقدير التأليفات .

نقص الغرب : فى تنوع الضروب وفى وحدة تأثير النغمة (لايوجد الآن فى الغرب أنغام «modes» إلا فى أغانى الفلاحين ، فقد غلب مذهب « طبقات المقامات » «système des gammes» على مذهب « تصوير الأنغام » «transposition des modes» .

٣ — نشوء الموسيقى الغربية :

(أ) حال البردات :

١) اليونان : انغام مستقلة محال تحويلها .

٢) فى الترتيل الغريغوريانى طبقة gamme واحدة منقسمة بفصول مختلفة الابتداء .

٣) فى القرن الثالث عشر والرابع عشر كان للطبقة «gamme» شكل وحيد إذ يجوز تغيير « الكبيرة «majeure» عرضا إلى « صغيرة «mineure» .

٤) فى القرن الثامن عشر كان يصح التدبيرات بين الطبقات الكبيرة على اختلاف اسس تصويرها وكان التنويع «modulation» مستحبا . ولكل لحن «mélodie» أن يحفظ وحدة مقامه «ton» وان يختم بنوع مخصوص من التأليفات «cadence» اللحنية .

٥) اختلاف الموسيقى [«Berlioz» فى فرنسا «Richard Wagner» (المتوفى سنة ١٨٨٣) فى المانيا] : اسقاط القوانين وفى مذهب جديد على أصول «Debussy», «Moussergski», يصحّ تركيب برداة «note» مع برادة بجاذبية بلا واسطة طبقة «gamme» ؛ ويصح أيضا تركيب تأليف مع تأليف بجاذبية بلا واسطة بدون ختم لحنى أى «cadence» .

---

a) هو الربع تون .

(ب) نظام البردات :

١) إفراد شكل من أشكال الالحان فى انفراد ظاهر فى الخانات والتسليم وهذا مذهب «Bach» مؤسس «Fugue» وهو اسم هذا الإنشاء الموسيقى .

٢) اتحاد معنى مؤثر مع هذا اللحن المنفرد وتكاثر ذكره فى الخانات . وهذا هو مذهب «Beethoven» . وقد اشتهر فى تأليفات «Wagner» تحت اسم «Leitmotiv» أى الذِكر الحادى » أى اللحن الذى يشير به إلى شخصية بدون كلمات .

٣) تمسك المؤلف بهذا اللحن وهو ركن لبناء الخانات ونفس تجرى تحت تصرفات كثيرة فى أعضاء واوردة الخانات كلها . وهذا هو مذهب «César Franck» [٣٥] أى «motif cyclique» .

٤ — الموازين والضروب : «les mesures» et «les rythmes»

شتان مابين الموازين «les mesures» مثل الوزن المرقوم فى الغرب $\frac{٢}{٤}$ وبين الضروب «rythmes» الموافقة لهذا الوزن مثل المصمودى فى الشرق . والميزان عبارة عن جملة معدّدة من آحاد أى من أزمنة متوالية متساوية نقسم بها اللحن فى الكتابة للتحليل العلمى (قسمة مجازية لا حقيقية) . مسيرة اللحن لا تسير على وتيرة واحدة بل هى قوام نقرات «sons» وايقاعات «temps d'arrêt» متشابهة وتقدير مددها صفة خصوصية لهذا اللحن . والبون العظيم الذى بين الموازين والضروب مثل الفرق الذى بين المنفصل والمتصل فى الكمية «continu et discontinu» وعلى مذهب «Bergson» ضروب الالحان راجعة إلى الدهر «durée» أى إلى حقيقة الحياة وموازين الألحان راجعة إلى الزمان «temps» اى إلى توهم نظرى وبرواز فارغ . واذا نظرنا فى مبادىء علم الرقص . «danse» فيمكننا إفراد الشروط البسيطة عن جملة الاحتمالات المركبة فى توالى حركات الراقصيين فبعضها يشير إلى الدهر وبعضها يعبر عن الزمان فى براعة . الموسيقى بعضها وسائط وبعضها حقائق اللحن . وهذا ظاهر فى مذهب «Jacques Dalcroze» مخترع الارتياض الموزون «gynnastique rythmique» وفيه تشير كل حركات الزراعين إلى ازمنة الموازين (المتساوية) وحركات الساقين كلها تشير إلى نقرات الضروب على إختلافها فى الدهر .

---

[٣٥] هو «César Auguste Franck» (١٨٢٢ — ١٨٩٠) مؤلف موسيقى بلجيكى — فرنسى ، ويعد مؤسس المدرسة الفرنسية الحديثة فى الموسيقى .

أما النتيجة الفلسفية من علم الموسيقى فهى اننا نشعر بواسطة الموسيقى بصيرورة العالم جملة – أى بصيرورة الدهر الحقيقى مثلما فى مذهب برغسون . وهذا مهم لأن فى قياسنا اقتباس افتراضى يمنعنا من الشعور بحقيقة العالم . فنحن نقتبس من الماضى مادة محدودة للقضايا ، لنستخرج منها نتيجة مفيدة ، ولكن فى الحقيقة لا يوجد قياس عِلّىٌّ أى « علمى » إلا وله مادة محدودة ، فالعلة فى الحقيقة جملة أسباب غير محدودة تتزايد مع تقدم الدهر ، ويمكننا القول إن « الماضى هو الشرط المتزايد دائما للمستقبل » مثلما نوفق فى التآلف الكبير «accord parfait» بين أساس المقام وثابت المقام [راجع Paul Claudel : Connaissance du temps-1903, pp. 81-82] .

ولنرجع إلى جملة مشهورة لبسكال الذى كان يقول : « إن حيرتى هى من أزل السكوت فى هذا الفضاء الغير متناهى » [a] «le silence éternel de ces espaces infinis m'effraie» .

وهو هنا يشير إلى الإكتشافات الفلكية للمسافات بين النجوم . ولكن فى الحقيقة كل شيء بعدد وكل الاعداد متآلفة بنسب ترتقى مثلما فى ابتداء سماع المغنى فتسمع أولا صوتا واحدا ثم تسمع بعد ذلك جملة أصوات متآلفة وهى مايسمى « بالذكة » فى القطر المصرى .

والـ «le choeur»[٣٦] هو الزمرة . وليس للحيرة «frayeur» سبيل إلى السامعين هنا بل ندرك من تأثر السامعين انها قد بعثت فيهم الجمال والكمال .

---

a) قد تكون الترجمة الدقيقة لهذه الجملة الشهيرة هى : « إن السكوت الأزلى لهذا الفضاء اللانهائى يفزعنى » .

---

[٣٦] هو مايطلق عليه اليوم : الكورس .

المحاضرة الحادية عشرة
تاريخ الإصطلاحات الطبيعية في علم الطبيعيات

١ – الطبيعة والوجود

أول الفلاسفة عند اليونان هم الطبيعيون . وممن إشتهر منهم ثاليس [a] . فأول ما اشتغلت به الفلاسفة مسائل الطبيعة لا كما تفعل الآن . والمعنى الأصلى للطبيعة هو الشيء المطبوع أو المختوم أى ماله أثر وترجم إلى اللاتينية بـ «materia signata» وكلمة «physis» (فيزيس) باليونانى ومعناها الطبيعة هو ماينمو . لها اذن معنى اعم ما ذات الكلمة باللغة العربية .

قال ابن اشد فى كتابه « مابعد الطبيعة » (صحيفة ١٧) فى معانى الطبيعة مانصه : تقال على جميع أصناف التعبيرات الأربعة التى هى :

١) الكون والفساد .
٢) النقلة
٣) النمو
٤) الاستحالة .

إلا أن هذه المعانى لا تقبلها المتكلمون . فالطبيعة عند صدر الدين الشيرازى هى آخر الإبداع وأول التكوين .

وقد حددت فى كتاب إخوان الصفا [جزء ٣ صفحة ٨٨] بما يأتى : الطبيعة إنما هى قوة النفس الكلية الفلكية وهى سارية فى جميع الأجسام التى دون فلك القمر من لدن كرة الأثير إلى منتهى مركز الأرض ؛ ولها اركان [٣٧] أربعة هى النار والهواء والماء والأرض .

معانى الطبيعة عند الغربيين : نرى أن ارسطو يستعمل كلمة «physis» الطبيعة ، ضد كلمة «tyché» (الفأل أو الصدفة) . ويقول إنها مجموع الأشياء المنتظمة تحت قوانين مخصوصة وليس

---

a) هو طاليس .

---

[٣٧] عادة تستعمل كلمة عناصر فى هذا الشأن .

للصدفة قانون . أما حديثا فقد برهن بعض الفلاسفة على أن للصدف قوانين أيضا (راجع هنا المحاضرة عشرة - عند الحديث عن حساب حدوث الاحتمالات) ويستعمل روسو الفرنسى (+ ١٧٧٨) « الطبيعة » بمعنى الحالة الأولى الصالحة من كل شيء مثل الإنسان الأول قبل التمدن والطفل قبل التعليم ، ولكنه بعد المخالطة يخرج من الطبيعية ويندرج نحو الفساد .

وعند الجبريين «déterministes» أن « طبيعى » ضد «surnaturel» (خارق للعادة مثل المعجزات) [٣٨] .

ويقول «Spinoza» اسبينوزا (وهو يهودى هولندى عاش فى القرن السابع عشر) إنه توجد :

١) الطبيعة الطابعة أو المؤثرة «natura naturans» .

٢) الطبيعة المطبوعة أو المؤثر منها «naturata» .

والوجود معناه منطقيا ورياضيا عدم التناقض فى تعديد الشيء . والوجود الطبيعى هو ما عرفناه بالتجربة وبعد التحقيق بالإحساس .

٢ - العلة والغاية :

تستعمل العلة والغاية عند الكلام على ماخرج عن الطبيعة وما وراءها فتستعمل العلية «causalité» فى القياس والغائية «finalité» فى الإستقراء .

وكلمة علة هى تعريف للكلمة اليونانية المستعملة عند أرسطو «aitia» ومعناها أصلا « برهان ما ندعيه » فيما اذ رتبت فى شيء واحتجت إلى إثبات أو برهان . ولذلك استعملت عند اليونان بمعنى مادة فى القضاء «aitia» ومعناها «causa» أو «cause» أى الشيء الواجب الحكم به مع علة الشيء التى افتقر إليها الموضوع .

وقد استعملت عند العرب فى الأحكام القياسية . والعلة تستخدم أيضا عندهم بمعنى المرض وتقع فى الإصطلاح بمعنى مافقد من الشيء فى ذاته .

يرى ارسطو أن العلل اربع :

(١) علة صورية «ousia(cause formelle)» .

---

[٣٨] ربما تكون الترجمة الأدق لكلمة «surnaturel» هى الفائق للطبيعة .

(٢) علة هيولية (matérielle) «hylé» .

(٣) علة فاعلية «efficiente» أو «arché» .

(٤) علة متممة «finale» أو الغاية «télos» . والعلة الغائية هى علة علية الفاعل . وقد زاد عليه «Descartes» بخامسة هى العلة المنطقية «cause logique» . على ان لكل شيء جملة علل إلا أن العلماء اذا حققت فهى تحقق عن علة واحدة .

٣ – قوانين الطبيعة :

قانون باليونانى «canon»,«nomos» وقوانين الطبيعة عند العوام معناها غير صريح . فمن قوانين الطبيعة عندهم أن الحيوان يأكل النبات ليعيش الحيوان ولو ان النبات له حظ فى الحياة أو غير هذا القانون من القوانين المتضادة فى أمثال لغة العوام . أما عند العلماء فالقانون يعنى « دستورا إخباريا » «formule énonciative» . ومن قوانين الطبيعة عند الطبيعيين قانون «مريوط» «Loi de Mariotte» أو «بويل» «Boyles'Law» فى الضغط والغازات [٣٩] . قانون «بويل» يقول إن حاصل ضرب حجم كمية من الهواء فى قوة الضغط ثابت «Le produit du volume par la pression est instant» أى أنه لا يتغير مادامت الحرارة ثابتة . ويشترط فى تجربته أن تكون درجة حرارة الغاز ثابتة فى الحالتين وأن يكون الغاز المستعمل والزئبق صافيين جدا ، ولكن فى الحقيقه لا توجد درجة ثابته للحرارة كما لايوجد غاز صاف بدون إختلاف . فما قانون «مريوط» و«بويل» إلا غاية الأمل فى إثبات وجود الثبات فى الحوادث كشرط مطلوب من العقل ليفهم به مرور الحوادث . فكما قال بوترو «Boutroux» قوانين الطبيعة حادثة عارضة «contingentes» غير ضرورية . والعلم ليس إيضاح مبدأ واحد ولا إشتعال ذرة واحدة ولا تحليل معادلة تفاضلية «équation différentielle» فقط . وقوانين العالم هى « آلاتنا » المخترعة لسهولة التمييز العقلى .

---

a) ربما يكون من الأفضل استخدام فاعلة أو فعالة .

---

[٣٩] عرف قانون ماريوت الفيزيقى الفرنسى (١٦٢٠ – ١٦٨٤) بقانون بويل وهو ذلك القانون الذى يصور العلاقة بين الضغط وحجم الغازات وقد ضمنه فى مؤلفه « طبيعة الهواء » .

المحاضرة الثانية عشرة
فى معنى الطبيعيات : الهيولى والصورة – القوة

١ – الهيولى والصورة :

إذا بحثت الفلاسفة فى المحسوس من حيث الزمان والمكان والجوهر والعدد (وهذه الأشياء هى طبيعة المحسوس) فانهم يذكرون لهذا المحسوس شيئيين الهيولى : «matière» والصورة forme . فالهيولى هى المادة الأصلية للشيء التى لا تتغير بتغير أشكال صور الشيء والصورة هى الشكل المخصوص المطبوع على المادة فى الخارج . وقد استعملت اليونان الهيولى «hylé» فى الأصل الباقى الثابت (وذلك قبل ان يعتقدوا بواجب الوجود) الذى يبقى محفوظا تحت صيرورة الصور المتحركة المتغيرة فى العالم . ونرى ان اليونان نظروا إلى مادة ساكنة وصورة ساكنة أيضا ، واعتبروا ان الحركة مسألة فرعية ، وهى عندهم التنقل من محل إلى محل . أما المتأخرون فإنهم نظروا إلى الحركة نفسها وبحثوا ودققوا فيها ، فقالوا إنها هى القوة التى ظهر منها كل تنوع فى الطبيعة . وهذا هو الدرر الثالث فى ارتقاء العلوم الطبيعية حين تركوا مسألة المنفعل والذرات ، وفحصوا المتصل والقوى حتى ظهر اخيرا مذهب جديد عند الطبيعيين وهو مذهب الأنرجتيك «énergétique» (نظرية القوة الفعالة) وذلك أيضا بعد علم جر الأثقال [٤٠] لمؤسسه جاليليو [a] «Galilée» ونظرية الذرة (atomisme) لمؤسسها جاسندى «Gassendi» والسبب فى هذا الترقى الأخير هو تقدم إكتشاف علم « تحرك الحرارة » او «thermodynamique» [٤١]

الهيولى معرَّفة فى كتاب « التعريفات » للجرجانى بأنها هى الجسم القابل لما يعرض لذلك الجسم من الإتصال والإنفصال . والصورة عرفت بأنها هى كل شكل ونفس يقبله الجوهر (راجع كتاب « التعريفات » صفحة ٢٨٨ وكتاب ابن رشد « مابعد الطبيعة » صفحة ١٦٠ فهما يحتويات على معانى الهيولى والصورة) .

---

a) جاليلى فى الأصل .

---

[٤٠] أصبح الاسم الشائع الآن هو الميكانيكا .

[٤١] أصبحت تترجم الآن بالديناميكا الحرارية .

والصورة باليونانى معناها «eídos» وباللاتينى «forma» أو «species» (يلاحظ أن لهذه الكلمة معنى مخصوص فى مذهب باكون «Bacon» . كانت الفلسفة أولا مبنية على أن الهيولى هى المادة وأن الصورة هى الشكل [٤٢] . وعلى هذا الرأى جاء تأويل المتكلمين المسلمين لقوله صلعم « خلق الله آدم على صورته » أى صورة الرحمٰن إذ فسروا الصورة بالروح والعقل . وذهبوا إلى أنه لايمكن تكوين الهيولى إلا بواسطة الصورة (صورة الشيء مابه يحصل الشيء بالفعل — الجرجانى ص ١٤١) .

وقد إنتقل الخلاف إلى مسألة جديدة عند «Descartes» و «Leibnitz» وهو الإختلاف بين القوة والحركة . وذلك أن المادة لابد لها من حركة ، وهذه الحركة ليست ذاتية فى المادة وخارجة عنها . وهذا المبدأ ركن من علم جر الأثقال عند جاليليو لأن المادة عنده بمعناها عدم الحركة ولا يمكن أن نفهم المادة إلا بواسطة الحركة .

٢ — **القوة** : الكلمة الفرنسية والإنجليزية هى «force» .

فى كتاب « النجاة » لابن سينا القوة هى « العقل الأول » ، وفى علم جر الأثقال [«mechanics» بالانجليزية و «mécanique» بالفرنسية] . القوة هى حاصل ضرب الجسم فى سرعة الحركة «produit de la masse par la vitesse» . وفى رأى شيلينج «Schelling» ، وشوبنهور «Schopenhauer» ، وهربرت سبنسر «Herbert Spencer» أن السكون والحركة هما وجهان لأصل واحد هو القوة [a] .

٣ — **الحركة** :

ورد فى كتاب « رسائل إخوان الصفا » (ج ٢ ص ٩) : « الحركة هى صورة بجلتها النفس فى الجسم بعد الشكل .... الحركة صورة روحانية متممة تسرى فى جميع أجزاء الجسم وتنسل عنه بلا زمان كما يسرى الضوء فى الجسم الشفاف ... » [والآن يعرف قدر سرعة الضوء بـ ٢٩٩ ٩٩٩ كيلو متر فى كل ثانية] .

---

a) جاء فى الهامش : السرعة حد نسبة المكان للزمان «dérivée de l'espace par rapport au temps» .

---

[٤٢] واضح طبعا أن المقصود هنا هو مفهوم المادة والصورة عند أرسطو بالذات .

وفى مصطلح علم جر الأثقال على أصول جاليليو Galilée « المادة كلها سكون محض والحركة شكل التنقل من نقطة إلى نقطة بدون وجود قوة ذاتية تخلق هذا التنقل » ونشأ عن هذه الأصول الأقسام الثلاثة فى علم جر الأثقال وهى :

١) نظرية هندسة الحركات «cinématique» .

٢) نظرية موازية الحركات المتضادة أو السكون «statique» .

٣) نظرية التحرك «dynamique» .

(وعندهم أن القوة شيء فرعى وليست هى أصل الحركة) .

وبعد ان اكتشف نيوتن «Newton» قوة الجاذبية تلك القوة الذاتية التى تؤثر عن بعد تزلزلت اركان علم جر الأثقال .

٤ – **علم الانرجبتيك أى علم القوة المؤثرة** : والقوة الفعالة باليونانى هى «energeia» .

هذا العلم وما اتصل به من بعض النظريات نتيجة لترقى علم « تحرك الحرارة » «thermodynamique» ، فقد وجد «جول» «Joule» من علماء القرن التاسع عشر أنه يمكن إستحالة قوة حرارية بقوة محركة إلى مقدار معين وهو مايسمى «équivalent mécanique» فالقوة الطبيعية كلها فروع لأصل واحد ، وما الدنيا إلا محل إستحالات متوالية بين قوة الحرارة ، وقوة الكهرباء ، وقوة الحركة ، وقوة المغناطيس ، وقوة الضوء ، والقوة الكيميائية وغير ذلك . وعلى هذه الأصول لا يذكرون الذرات ولا المادة بل يبينون الحوادث الطبيعية بمعادلات جبرية تتعين فيها شروط تبديل القوى المختلفة بعضها ببعض .

ومؤسسو هذا العلم ثلاث :

١) كارنوت «Carnot» (١٨٣٢) وله تجارب فى الآلات البخارية .

٢) روبرت ماير «Robert Mayer» (+ ١٨٤٧) .

٣) كلاوسيوس «Clausius» (+ ١٨٨٨)[٤٣] .

---

[٤٣] كارنو (١٧٩٦ – ١٨٣٢) هو عالم فيزياء فرنسى ويعد مؤسسا لعلم الميكانيكا الحرارية مع كلاوسيوس ، عالم الرياضة والفيزياء الألمانى (١٨٢٢ – ١٨٨٨) الذى وضع القانون الثانى لهذا العلم ، الذى يذهب إلى ان الحرارة لايمكن أن تنتقل بذاتها من الجسم الأبرد إلى الجسم الأكثر حرارة . أما ماير فهو عالم فيزياء ألمانى ساهم فى تطوير نظرية الديناميكا الحرارية .

مبدأ ماير هو مبدأ « حفظ القوى » «principe de la conservation de l'énergie» ومعناه أن فى جملة من الآلات (والعالم يشبه جملة من الآلات) جملة القوى لا تتغير أبدا ، بالرغم من إستحالة بعضها إلى البعض مثلما يستحيل الضوء إلى الكهرباء . ومعنى كلية القوى «énergie totale» ، مجموع القوى الحية «forces vives» أو «énergie actuelle» والقوى الكامنة «énergie potentielle» . وكما قال ارسطو « القوة المؤثرة هى عين العلم الطبيعى » [راجع قسمة الوجودات عند القدماء إلى موجودات بالقوة «en puissance» وموجودات بالفعل «en acte»] .

وليس للمادة وجود فمثلا اذا ضرب انسان بعصا فإنه لا يشعر بمادة العصا بل بضربها . [a] .

أما مبدأ كلاوسيوس فهو مبدأ « الميل إلى الإنكماش » «principe de l'entropie» ، ومعناه أن القوة ولو ثابتة القدر كلما تجزأت زاد تسربها ونقصت فائدتها للعمل . فمثلا بتحرك إبرة الساعة يقل ثقلها (وهذا خسارة) وكذلك فى الآلات البخارية «machines à vapeur» فإن درجة الحرارة تقل بإنتقال البخار من « الازان » أو الدست اى محل التبخير «foyer» الى المحل الذى يتكاثف فيه «condenseur» .

وللفلاسفة إستنتاج مهم من تاريخ إستحالة القوى فى العالم بأنه لا يمكن الرجوع إلى حال من الأحوال الماضية ، واذا كان فى سلسلة من سلاسل الاعداد يمكن الرجوع من الخلف إلى الامام ، فإن ذلك محال فى سلسلة الحوادث الطبيعية الحقيقية [b] .

---

a) جاء فى الهامش بخط الأستاذ ماسينيون أن : «dérivée de la quantité de chaleur par rappoıt à la température absolue» تترجم بـ : « حد نسبة مقدار الحرارة للدرجات المطلقة » .

b) راجع Bernard Brunhes فى «La dégradation de l'énergie» كما قال لورد كلفين : «dissipation of energy»

المحاضرة الثالثة عشرة
فى معنى الطبيعيات : المادة – الذرة – الأحاد

١) المادة فى أصول علم الكهرباء (إفتراض الأيونات) «hypothèses des ions» .
٢) الذرة أى الجزء الذى لم يتجزأ وسلسلة مندليف «Mendaleef» .
٣) مسألة ترتيب الأحاد (الترتيب ك . ج . ى) «Système C.Q.S» .

لما سمعتم فى المحاضرة السابقة من المذهب الجديد الذى أسسه أرسطو واسمه انرجتيك «énergétique» الذى يقول إنما القوة الفعالة أو المؤثرة «énergie» هى أصل الموجود وجوهر الكل ، لعلكم ظننتم كيف يصح إنكار وجود المادة بينما العناصر البسيطة موجودة ومعروفة ومعدودة (عددها فوق السبعين) ، وللكيميائيين إستعمال للرموز يدل على وجودها مثل ك ٢ أ (H^2O) لكل جزئ «molécule» من الماء المركب من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الأوكسجين . ذلك صحيح ولكن هذا مبنى على حدين أو لهما حد الجزئ ، وهو اقل جزء من العنصر ممكن وجوده على حدته ، وثانيهما الذرة «atome» وهى عند القدماء الجزء الذى لا يتجزأ (راجع مذهب «Démocrites» و «Leucippos» و «Epicure» عند اليونان وعند الأشعرى من المتكلمين الإسلاميين ونظرية «Avogadro» [٤٤] (١٨١١) التى انصبت على أقل جزء من العنصر يمكن دخوله فى تركيب كيميائى) .

١ – ونقول الآن إن الحدين انهدما بالاستكشافات الجديدة :

أولا : انهدام الجزىء ، وكان نتيجة لإكتشاف التحليل الكهربائى «électrolyse» . فإذا أخذنا مثلا حامض الكبريتيك ورمزه (H^2SO^4) ومررنا فيه بتيار كهربائى كالآتى :

«cathode» ⟵السائل⟶ «anode»

نجد انه حدث تحليل ولكن التحليل ليس موافقا للتقسيم بالجزىء ، ولا للتقسيم الذرى بل التقسيم بأجزاء مخصوصة مكهربة وهى أقسام من الجزىء سميناها أيونات . فأيونات الايدروجين أصبحت بعد التحليل فى القطب السالب «cathode» وأصبحت أيونات « الأوكسجين ممزوجا مع الكبريت » عند القطب الموجب «anode» . وهذا التحليل الكهربائى مشهور عند صناعة

---

(٤٤) أفوجادرو (١٧٧٦ – ١٨٥٦) فيزيقى إيطالى وضع نظريته المعروفة باسمه عام ١٨١١) .

«galvanoplastie» . أما عند اليونان فالذرة خاصيتها أنها تحمل الكهرباء سالبة كانت أو موجبة فقط أما وزن الأيونات بالنسبة إلى الجاذبية فلا فائدة منه فى النظريات الجديدة مثل نظرية الهولندى «Lorentz» [٤٥] إلى تنكر وجود الوزن الجاذبى أو « المادة » على حد نيوتن «Newton» . وفقا لنظرية «Maxwell» [٤٦] يوجد فى كل ذرة من الايدروجين الف أو الفان من الأيونات ions . راجع

(Abel Rey : La théorie de la physique chez les physiciens contemporains. p. 294)[a]

ثانيا : إنهدام الذرة ، وهذا نتيجة إكتشاف أنبوبة «Crookes» ، فقد كان يستعمل أنبوبة فيها غاز من الغازات ، ويخفف منها الضغط إلى أقل درجة ممكنة لدرجة صيرورة الغاز فى الحال الرابع من المادة (الحال الأول هو الجامد والثانى هو الماعى والثالث هو الغازى) وهو الحال الشعاعى «radiant» الذى له خواص غير خواص الغاز . وفى هذه الأنبوبة يمرر سائل كهربائى بلا سلك فيتولد فى هذا الغاز (وهو فى حالة الشعاعية) أشعة فى القطب السالب المسماة لذلك «cathodique» وهذه الأشعة تتولد منها فى إنكسارها على «cathode» جامد أشعة ثانوية ، مشهورة بأشعة رانتجن «Röntgen» [٤٧] . وهذه الأشعة (من الجنسين) لا يمكن النظر اليها إلا بآلات مخصوصة مستعملة عند الراديوجرافيين . والمقصود ان تولد أو تشجع هذه الأشعة يحدث نتيجة لإنفجار داخل الذرة مما شتت اقسامها ، وهذا دليل على وجود أقسام عناصر أقل من الذرة ، وهذا يخالف الحد القديم . واكتشفت أيضا أشعة من هذا الجنس بدون إستعمال سائل كهربائى من عناصر مثل الأورانيوم والراديوم الذى اكتشفه «Curie» .

وفى الراديوم شيئان مدهشان للفلاسفة . أولا تنبع قوة غير متناهية ظاهرا (قال «Ramsay» انها ستفى بعد ١٢٥٠ سنة لكل جرام) بخلاف مبدأ حفظ القوى «conservation de l'énergie» .

---

a) جاء مابين قوسين فى الهامش .

---

(٤٥) لورنتز (١٨٥٣ - ١٩٢٨) فيزيقى هولندى إستكمل نظريات مكسويل وإنيشتاين .

(٤٦) ماكسويل (جيمس كليرك) (١٨٣١ - ١٨٧٩) فيزيقى اسكتلندى وضع نظرية فى الكهرباء المغناطيسية للضوء وله أعمال فى الديناميكا .

(٤٧) وهى التى يطلق عليها أيضا اسم « الأشعة السينية » . أما اسم رونتجن فهو نسبة إلى مكتشفها فيلهلم رونتجن (١٨٤٥ - ١٩٢٣) الفيزيقى الألمانى الذى اكتشفها عام ١٨٩٥ .

وثانيا يتحول الراديوم بتصريف قوته فى عنصر آخر يسمى هليوم «hélium» وان كان ثمة شك فى ذلك .

فللإكتشافات الحديثة نتيجتان :

١) لايمكن وجود حركة سرعتها فوق سرعة الضوء (سرعة الضوء ٢٩٨٠٠٠ كم فى الثانية) .

٢) لايمكن وجود حرارة درجتها تحت الصفر المطلق «le zéro absolu» وهو – ٢٧٣ .

٢ – أما سلسلة مندليف فهى قانون اختيارى لترتيب طبقات العنصر البسيط فى سبعة عائلات . ولما أسسها مندليف فى سنة ١٨٧٦ كانت بعض الأشخاص فى العائلة مجهولة مثل رقم ٥ ، وهذا الرقم يشير إلى وزن ذرى ، وكذلك رقم ٢٢٥ ؛ ولكن بعد ذلك عرف أن الرقم ٥ يوافق الهليوم و ٢٢٥ يوافق الراديوم .

ويظن أكثر العلماء أنه يمكن تحول العناصر من بعضها إلى البعض الآخر ومبادىء الكيمياء الحديثة مثل نظرية « الإتزانات الكيميائية » [a] «les équilibres chimiques» يستعمل لها معادلات جبرية يتبين منها صيرورة المركبات الكيميائية بلا رجوع إلى عناصر أو ذرات «Gibbs» ، «Van't Hoff» و «La Châtelier» [٤٨] . لا يوجد « جرم » «masse» حقيقى بل حركة ودفع على الحركة يتزايد مع سرعتها .

٣ – وما المشهور ان الآحاد الطبيعية هى ثلاثة أصلية (السنتيمتر والجرام والثانية) وأما المتر فهو $\frac{١}{٤٠٠٠٠٠٠٠}$ من دائرة الأرض . وهو ينقص عن الحقيقة بأربعة ملليمترات بسبب مسألة انتفاخ الأرض فى القطبين وكان ذلك مجهولا فى سنة ١٧٩٠ لما أسسوا المتر ، أما الآن فيريد العلماء مترا أدق فاختاروا طول موجة «longueur de l'onde» خط من خطوط «raies» الطيف الشمس .

---

a) جاءت فى الأصل الاعتدالات الكيميائية وهى تؤدى نفس المعنى ولكن التعبير الذى استخدمناه هو الشائع حاليا .

---

(٤٨) «Gibbs» رياضى وفيزيقى أمريكى كانت مساهماته العلمية الكبرى فى الديناميكا الحرارية ، أما «Van't Hoff» (١٨٥٢ – ١٩١١) . فهو فيزيقى ألمانى إشتهر بأبحاثه عن تركيب الجزىء .

المحاضرة الرابعة عشرة

العالم (نظامه) حساب الاحتمالات

١ - العالم .

يجب أولا ملاحظة أن هناك فرقا بين الطبيعة «natura» باللاتينى أو «physis» باليونانى وبين كلمة العالم .

العالم باللغة الفرنسية هو «le monde» أو «l'univers» وباللغة الانجليزية هو «the world» أو «universe» وباللغة اليونانية هو «Cosmos» كوسموس أى الانتظام ، ومعناها انتظام مجموع الحوادث فى نظام واحد .

أما الطبيعة فهى جملة الأشياء كيفما كانت ، ولذلك يميز كورنوت «Cornot» [٤٩] بين علوم الطبيعة مثل الكيمياء ، والعلوم الكوسمولوجية «cosmologiques» مثل علم الفلك وعلم طبقات الأرض .

ولقد ورد فى كتاب « تعريف الألفاظ » للأنصارى [صفحة ١٧] أن العالم لغةً هو كل ماسوى الله تعالى لأنه علم على وجود الصانع .

وقد اصطلح حين ترجم عن الكلمة اليونانية « كوسموس » على أنه مجموع منتظم مركب من السيارات والنجوم الثابتة كما عرفه الفلكيون اليونان (راجع فيثاغورس والسوفسطائيون) .

وورد فى كتاب إخوان الصفا [صفحة ٣١ الجزء الثالث] أن العالم إنسان كبير له نفس (وهى النفس الكلية) وله طبائع سائرة وله جسم (كرة واحدة) تنقسم إلى احدى عشرة طبقة .

ويرى ليبنتز أن العالم هو المجموع الوحيد المكّون ، أى الذى حصل له وجود حقيقى ، وهو المختار بين كل المجموعات الممكن تكوينها جملة «compossible» أو «le seul réalisé des ensembles compossibles» ويرى شونبهور «Shopenhauer» أن العالم وهو بالالمانى «welt» ، هو الكون

---

[٤٩] كورنو (مارى الفرد) (١٨٤١ - ١٩٠٢) فيزيقى فرنسى أسهم فى علوم الصوتيات والبصريات والفلك .

المُكَوِّن ، والمُكَوِّن أى الشيء القائم بذاته الذى نفهمه بنفسه بدون الرجوع إلى شيء آخر لا وراءه ولا أمامه ؛ ولذلك يرى رينان «Renan» أن « الله » انما هو فى ذاته تصور نشأ من الفكر ويرتقى مع العلم .

وورد فى كتاب « فصوص الحكم » لابن عربى [a] . « عالم الأمر أو عالم الغيب وعالم الشهادة أو عالم الخلق » . إقتبس عالم الأمر من القرآن « الروح من أمر ربى » (الأفكار الثابتة فى الأزل) أما عالم الشهادة فهى الشهادة الصادرة فى الكون . وقد انتقل ذلك من الفلاسفة إلى المتأخرين من الصوفية مثل ابن عربى [راجع اللاهوت والناسوت (أى الأرواح والأجسام) فى مذهب ابن عربى] . وقد اقتبس اليهود من ذلك مذهبهم فى التصوف (مسألة القبلة Kabbala) وقالوا بوجود عوالم مختلفة منطبقة .

٢ – نظام العالم .

ومن الفلاسفة من يتحدث عن نظرية نظام العالم «système du monde» ويريدون جملة القوانين المتوافقة لدوام حركة الحوادث الطبيعية ، كدوام حركة ساعة كبيرة (شروطها الحاضرة فيها مشكلات مثلا فى ترتيب الساعة الدولية «l'heure internationale» فى الدرجة ١٨٠ من «Greenwich» يوجد فتحة ٢٤ ساعة بين جزائر «Viti» و «Tanga» .

تاريخ النظريات الخاصة بنظام العالم :

بطليموس «Ptolemée» : الأرض فى نظره عبارة عن مركز حركات العالم الشمسى . وقد بنى على مذهبه هذا جملة قواعد متممه بعضها لبعض لتأويل الحركات الفلكية كلها . ولكن أصوله كثيرة صعبة التركيب فلا إستعمال لها الآن وفُضل عليها قانون كوبرنيكوس «Copernicus» الذى عاش فى القرن السادس عشر لكماله . وكما قال بوانكاريه «Poincaré» فقد جدد أصول فيثاغورس « للسهولة » فى اثبات أن الشمس كالمركز لجميع الحركات فى عالمنا هذا . وعلى هذه الأصول أثبت كل من «Kepler» كبلر ، وجاليليو «Galilée» أن للسيارات حركات «elliptiques» أى على شكل القطع الناقص .

وقد سار على أثرهم نيوتن «Newton» ، وكانت «Kant» ولابلاس «Laplace» ، وقالوا بحركات

---

a) جاء فى الأصل « فصوص الحكمة » للفارابى .

السيارات على قواعد الحساب الجبرى . ويستعمل الآن جدول هانسن «Hansen» (٥٠) فى المراصد لتدقيق حركات القمر وفيه بعض النقص . والى وقتنا هذا لم يستدل على أصول حسابية لحل المشكل المشهور « مشكل الاجرام الثلاثة » «Problème des tricorps» أى تخصيص الإضافة الوصفية (فى كل وقت) بين الأجرام السماوية الثلاثة وهى الشمس والقمر والأرض مع فعل القوة الجاذبية بينها .

السديم «nébuleuse» : امبيدقليس «Empédocle» ولا بلاس «Laplace» يريان ان المادة المنقسمة الآن بين الشمس والسيارات كانت فى مجموع واحد غير منقبض كما هو فى السديمات الموجودة فى بعض أقسام المجرة ، ثم انقسمت تدريجيا لترق ولينشأ الإنقباض مع الدوران . وأقسام العشرة هى السيارات ، واللب هو الشمس .

مسألة كثرة العوالم «Pluralité des mondes» ومسألة اللانهايتين «deux infinis» : اى اللانهاية للعالم الصغير المكتشف بالميكروسكوب ، واللانهاية للعالم الكبير المرصود بالتلسكوب . لبسكال «Pascal» بحث فى هذا الموضوع فى كتاب « الأفكار » «Les pensées» ، وأيضا للانجليزى فورنى دالب «Fournier d'Albe» الآن فى كتابه العالمين «The two worlds» بحث فى هذا الموضوع ، يقول فيه إن فى العالم الصغير مقام الأيونات السالبة وسط الأيونات الموجبة ، كمقام الشمس وسط السيارات فى العالم الكبير . وهو يعتقد فى وجود عوالم لاتحصى ، وأن هناك تسوية تامة بينها وبين العالم الشمسى .

وللفيلسوف الانجليزى والاس «Wallace» (٥١) بحث فى كتابه « مكان الانسان من العالم » «Man's place in the universe» ، يقول فيه إن العالم الشمسى فى وسط المجرة ولا يوجد عالم أوفق منه للحياة وهو مركز العوالم كلها .

مسألة المسافات الفارغة السوداء فى القبة السماوية (٥٢) : يعتقد بعض الفلكيون الآن أن

---

(٥٠) Hansen (Peter Andreas) (١٧٩٠ — ١٨٧٤) فلكى ألمانى له مؤلف شهير هو «جداول القمر» ١٨٥٧ وله أيضا بالاشتراك مع ألافسون « جداول الشمس » ١٨٥٤ — ١٨٥٧ .

(٥١) Wallace (Alfred Russel) (١٨٢٣ — ١٩١٣) هو عالم طبيعى ساهم فى مجالات علمية عديدة وهو أحد رواد علم الجغرافيا الحيوانية الحديث وله أبحاث عن الانتخاب الطبيعى معاصرة لابحاث داروين .

(٥٢) أصبحنا نطلق على تلك المسافات الفارغة الآن اسم الثقوب السوداء .

السديمات اللولبية «spirales» المكتشفة فى بعض زوايا السماء كسديمة اوريون «Orion» وراء نجوم الجوزاء هى فى الحقيقة مجرات مثل المجرات التى فيها عوالم شمسية كثيرة ومنها عالمنا .

نظرية لورد كلفين «Lord Kelvin» [٥٣] : وهو من تلاميذ داروين وكان اسمه أولا «William Thomson» ويليام تومسون تقول « إن انتشار مادة عوالم المجرة «voie lactée» وشموسها فى الفضاء كإنتشار تلك الاهباء الرفيعة التى نراها أحيانا فى أشعة الشمس (الحال الرابع للمادة) فالمجرة لهذه الأهباء والشمس فى تصادم وتلاقى جاذبيتها كذرات الجزىء » .

تجربة ميخلسون «Michelson» وموررلاى «Morley» [٥٤] فى سرعة الضوء : وجد ان لكل جسم متحرك صورتين :

١) صورة للرجل الذى ينظر إلى ذلك الجسم وهو مرتبط به فى حركته .

٢) صورة للرجل الذى ينظر إليه وهو بعيد عنه ، وهذه صورة منقبضة فى جهة سرعة التحرك وتسمى عبد الطبيعيين «contraction de Lorentz» وذلك آخر ما توصلت إليه تجاربهم . على أن العلماء تختلف فى ذلك إختلافا شديدا فى نظرية مبادىء علم الطبيعة من هذه الوجهة . وقد زعم لانجفين «Langevin» [٥٥] أن نتيجة هذه التجارب هو لزوم اصلاح تصور (الزمان) عندنا وتبديل حده الاعتيادى . وعلى مذهبه ليس للمدة بين واقعتين مقدار واحد لكل رصد .

٣ - فائدتان للفلاسفة من تجارب الطبيعيين .

١) مسألة الغلطة المتوسطة «erreur moyenne» وحساب حدوث الاحتمالات «calcul des probabilités» [راجع نظريات افلاطون وبيكون وديكارت وليبنتز فى كتب مابعد الطبعة [الحقيقة والغلط] .

---

[٥٣] رياضى وعالم طبيعة انجليزى (١٨٢٤ - ١٩٠٧) . انصبت أبحاثه خاصة على الكهرباء والحرارة . وهو صاحب القياس المطلق للحرارة .

[٥٤] ميكلسون (البرت) (١٨٥٢ - ١٩٣١) عالم رياضى أمريكى ، قامت نظرية اينشتاين فى النسبية على أساس أبحاثه التجريبية وقد شارك مورلى (١٨٣٨ - ١٩٢٣) أبحاثه عن سرعة الضوء فى المجال المغناطيسى .

[٥٥] لانجفان (بول) (١٨٧٢ - ١٩٤٦) هو عالم فيزيقى فرنسى أسهم فى كثير من الابحاث والاكتشافات العلمية الحديثه .

الغلطة فى الحساب «error of observation» : البحث فى هذا الموضوع ليس بحثا فى حقيقة الغلطة بل المقصود بيان كيفية نظر العلماء الطبيعيين فى مسألة الغلطة ، وتحديد امكانها ، وتقدير قدرها لتصحيح محاصيل الرصد . وقد أسسوا قوانين تقريبية لهذا الغرض ، ودرجة ضبطها زائدة مع كثرة التجارب المتقابلة ، وقدر الأعداد المتوسطة مثل قانون «Gauss» [٥٦] فى زيادة الضبط كجذر عدد التجارب . ومثل قانون « كثرة الأعداد » «Loi des grands nombres» لمؤسسه بويسون «Poisson»[٥٧] لضبط قوانين الصدفة .

ومن ذلك قانون اللعب «pile ou face» (الطرة والباز) فقد وجد أن نسبة متوسط ربع الفرق على نصف مربع متوسط الفرق نسبة مطردة فى كل لعب ، وكذلك فى القنابل . وهذا قانون من قوانين حساب الإحتمالات . والقيمه هنا هى 2π أى ضعف النسبة التقريبية بين القطر والدائرة .

وقد بين لابلاس «Laplace» قانون فروق التجارب المكررة واجتهد كوندرست «Condorcet» [٥٧] فى إثبات بعض شروط حسابية على قواعد رياضية فى نظام محاكم الجنايات، يدرك فيها أقل مايمكن من الغلطات فى أحكام القضاة . وهذا تطرف غريب .

٢) جدول بيكون : أنشأ بيكون جدولا سماه « جدول المطلوبات » «instance table» بين فيه ثلاثة أشياء .

١) الحضور «présence» .

٢) الغيبة «absence» .

٣) الدرجة «degré» (وبالانجليزية degree) .

ويريد بهذا أننا إذا شاهدنا حادث من حوادث الطبيعيات يجب علينا أن نبحث فيه من وجوه ثلاثة : ١) ماحضر منه و٢) ما غاب و٣) لأى درجة هو .

---

(٥٦) جوس (كارل) (١٧٧٧ – ١٨٥٥) عالم رياضة المانى وهو مؤسس النظرية الرياضية للكهرباء وبإسمه سميت وحدة قياس كثافة المجال المغناطيسى .

(٥٧) كوندورسيه (١٧٤٣ – ١٧٩٤) عالم رياضة وفيلسوف فرنسى . كانت أبحاثه عن الاحتمالية مما لعب دورا عظيما فى هذه النظرية .

جدول ستيوارت ميل «Stuart Mill» أنشأ ميل جدولا فى الأصول التجريبية وبين فيه اربعة أشياء :

(١) الطرد «concordance» .

(٢) العكس «différence» .

(٣) السبر résidu .

(٤) المقابلة والموافقة «variations concomitantes» .

نتيجة لكل هذا يزعم «Minkowski» [٥٨] أن البشر يميلون فى بناء القوانين الطبيعية «lois physiques» إلى إفرادها عن الشروط الخاصة للناظرين فى الرصد . وكما انفرد الفضاء الهندسى «espace géométrique» (مع ترقى الهندسة) عن الشروط المحلية الخاصة لكل واحد من الهندسيين ، كذلك يمكن أن يبنى لعلم الطبيعيات بعض المقولات الثابتة «invariants» التى يكون قياس مقاديرها مستقلا عن خصوصيات المراصد وحركتها . فالحمل الكهربى «charge électrique» ، والضغط «pression» ، والإنكماش «entropie» والسرعة المطلقة (أى سرعة الضوء) كلها آحاد « ثابته » أى «invariants» على معنى هذا الاصطلاح فى مذهب «Minhowski» و «Langevin» .

---

[٥٨] منكوفسكى (هرمان) (١٨٦٤ — ١٩٠٩) عالم رياضة روسى اشترك فى تطوير نظرية الأعداد وهندسة المحاور الأربعة .

المحاضرة الخامسة عشرة

الحياة

الكلمات الأفرنجية لكلمة الحياة هى : «zoé» فى اليونانيه و «vita» فى اللاتينية . اختلف الطبيعيون والمتكلمون فى معنى هذه الكلمة فإستعمل الغزالى فى كتاب « المقصد الآسنى (صفحة ٦٣ طبعة مصر) كلمة الحياة (كصفة إلهية) [a] ، بمعنى عام خلافا لاستعمال علماء هذا العلم ، فقال : « الحى هو الفعال الدرَّاك » ، فتراه قد أدخل الادراك فى الحياة ، وترى أن الحياة عند الأطباء غير ذلك . فهم يقولون إن الأجسام لها موازنة ثابته تتغير بتغير الجسم ، فهم لايدخلون فى الحياة لا الادراك ولا الوجدان .

١ – معنى الحياة فى مذهب ألانيميسم (النفسانيون) «animisme»

وهو من «anima» باللاتينية ، أما باليونانية فهى «psyché» أو «entélechia» أو «archeia» . وفلاسفة هذا المذهب يعتقدون أن المادة الحيوية مركبة من سببين : ١) النفس و٢) العناصر المادية . والحياة متوقفة على النفس ، والنفس كروح المادة . وهذا الرأى يوافق رأى أرسطو تقريبا فإنه كان يقسم النفوس إلى ثلاثة أقسام :

١) النفس النباتية «âme végétative»

٢) النفس الحيوانية «âme sensitive» .

٣) نفس الناطقة «âme raisonnable» .

وكان يقول أيضا إنه توجد أربعة أحوال للحياة :

١) حال الحياة النباتية .

٢) حال الحياة الحيوانية .

٣) حال الحياة العقلية .

٤) حال الحياة فى محل

---

a) مابين القوسين جاء فى الهامش .

وكان يقول كذلك بخمسة قوى للحياة وهى :

١) القوة النباتية .

٢) القوة الحيوانية .

٣) القوة الشهوانية .

٤) القوة العقلية .

٥) القوة المتحركة فى محل .

وقد اتبع ارسطو فى ذلك كثير من الفلاسفة وخصوصا فى القرون المتوسطة عند المسلمين [راجع كتاب إخوان الصفا جزء ٢ : ٣٣٢ وكتاب « بيان الأسرار الربانية فى النبات والمعادن والخواص الحيوانية » أحمد ابن الحمد أفندى الاسكندرانى (وهو من مؤلفات زماننا هذا) [a] المطبوع فى مصر سنة ١٣٠٠ هـ] .

أما فى القرون الأخيرة فقد أُنكر وجود النفس الحيوانية ، و«ديكارت» «Descartes» وتلاميذه من هؤلاء الفلاسفة الذين زعموا أن الحيوان آلة فقط «machine animale» [وهناك من يقول الآن إن النبات يحيا بواسطة تأثير الضوء الشمسى فى تركيباته الكيماوية فقط] . وبخلافه فى ذلك يقول كل من « ليبنتز » «Leibnitz» واستاهل «Stahl» إن للحياة خصوصيات ودرجات على عكس الجمادات التى لها صورة كاملة والبذر الحى «germe» ينمو بالتغذية «croissance par intressusception» . وهذا البذر له صورة مرسومة ثابته تختار لنفسها مايلزمها والنبات والحيوان كلاهما مواد ثابتة هذامتمم لذاك ومادة النبات هى الكربون «carbone» ومادة الحيوان مولعة ؛ كأن النبات هوزينة المسرح وكأن الحيوان هو الممثل (راجع الحيل العجيبة فى غريزة الحيوانات) ، وللإنسان وحده المنطق أى اثبات الأشياء خارج الحوادث الحسية .

٢ – الميكانيزم «mécanisme» « الآلية » [b] :

وهو مشتق من الآلة وأصحاب هذا المذهب يعتقدون أن المادة لها حركة ذاتية وأن الحياة من حركات المادة . وهؤلاء الفلاسفة قسمان :

١) «atomistes» أى القائلون بالذرة «atome» .

---

a) مابين القوسين جاء فى الهامش فى الأصل .

b) جاء فى الأصل : « الآليون » وهو المصطلح الذى يشير إلى أصحاب المذهب وليس إلى المذهب ذاته .

٢) «énérgétistes» أى القائلون بأن المادة غير موجودة حقيقة وماهى إلا مجموع حركات . والمذهب الأول من المذاهب القديمة ومن أصحابه «Anaximandre» انكسماندر وجماعة ايونيا «école d'Ionie» ، وكذلك جالينوس «Galien» الذى يقول إن صحة الجسم تكون بالاعتدال بين الأخلاط الأربعة .

وهى الدم والبلغم والسودان والصفراء «la bile» «sang»,«pituite»,«l'atrabile» . وكذلك مذهب ديكارت «Descartes» وجاسندى «Gassendi» من القرن السابع عشر و«Buchner» (٥٩) الألمانى المتوفى من نحو ٢٠ سنة ومذهبه واضح فى كتاب « النشوء والارتقاء » ترجمة الدكتور شبلى شميل (من صفحة ٢٨٨ إلى ٢٩٦ ومن ٣٢٢ إلى ٣٤٢) وهو مذهب مادى محض وهو من تلاميذ داروين . أما المذهب الثانى فمن أصحابه أوسطولد «Ostwald»(٦٠) ولوب «Loeb»(٦١) وبرتيلوت «Berthelot» (٦٢) صاحب التجارب المشهورة فى تركيب المادة العضوية ، وجدول الأطعمة (لبيان درجة تحولات القوى الطبيعية والكيماوية فى القوة الحيوية على اختلاف أنواع الأطعمة) : هؤلاء الفلاسفة يقارنون جريان الدم والأخلاط فى الجسم الحى بحوادث المصاص «osmose» وينكرون وجود وظائف حيوية بل ينسبونها إلى حوادث كيماوية . تراهم يقابلون بين الحياة وبعض حوادث الجمادات مثل مقارنتهم بين الانتظام الهندى فى طبقات الأوراق «phyllotaxie» (وهو من حوادث الحياة عند النبات) وبين تعويض التبلّور وقابلية التهيج الكهربائى (وهو من حوادث الجمادات) [a] . ولكن مذهبهم انتقد بإنتقادين :

١) إن علم جرّ الأثقال مبنى على معادلات تفاضلية قابلة للقلب ، وحوادث الحياة لايمكن قلبها .

---

a) هذه الفقرة أعدنا صياغتها تماما ليتضح معناها .

---

(٥٩) بوتشنر (١٨٢٤ - ١٨٩٩) فيلسوف وعالم طبيعة ألمانى ، دافع عن المادية وعن مذهب داروين .

(٦٠) وليام أو زتولد (١٨٥٣ - ١٩٣٢) كيمائى وطبيعى صاحب نظرية جديدة فى اللون وحاصل على جائزة نوبل .

(٦١) جاك لوب (١٨٥٩ - ١٩٢٤) فسيولوجى ألمانى له العديد من الأبحاث عن ميكانيزم الفعل على الحيوانات الدنيا .

(٦٢) بيرتلو (بيير) (١٨٢٧ - ١٩٠٧) هو كيميائى فرنسى مؤسس الكيمياء العضوية الحديثة .

٢) إن مادة الأجسام الحيوية من الجنس المسمّى فى الكيمياء العضوية « زلاليات » «albumine» وصفتها الخاصة عدم ثبات تركيباتها ، وكيف يصح تولدها على أصول الاعتدالات الكيماوية وهى المؤسسة على مبدأ كلوسيوس «Clausius» ، ومعناه ان سلسلة تحولات الاعتدالات الكيماوية من أحوال ثابته تتم بالتدريج الدائم ؟

٣ – الأورجانيسم «organicisme» أى العضوية [a] :

ومن أصحاب هذا المذهب « كانت » «Kant» وهؤلاء لايعتقدون بوجود لا النفس ولا المادة أصلا ، بل هم على طريقة التجربة والاختبار وأكثرهم أطباء . وهم يقولون إذا نظرنا إلى حوادث الجسم فى النشوء وفى تجديد الأنسجة بعد مايجرح ، نجد أن وظيفة العضو المجروح تجدِّيد [b] ماجرح من هذا العضو كما قال كلود برنارد «Claude Bernard» (فالوظيفة بخلق العضو «la fonction crée l'organe» فوظائف الأعضاء فى الجسم الحى لها نظام عام ، وهذا النظام الكلى هو المتحكم فى تكوّن خاص فى الأجزاء مثل وظيفة التنفس وتجدد الرئة . وعند أصحاب هذا المذهب الحياة حاصل : قال «Bichat» [٦٣] بيشات : « إن الحياة هى مجموع الوظائف المقاومة للموت » . وقد انتقد هذا المذهب عند أفلاطون . قال سقراط : « ليست النفس أى الحياة كألحان أوتار العود لأنه ليس للألحان أن تحارب العود كما تتسلط النفس على الأعضاء فى وقت الضرورة » . وكما قال «Le Dantec» ليدانتيك : « لا توجد وظيفة خاصة للمادة الحية » .

٤) الفتياليسم «vitalisme» أى « الحيوية » [c] :

وهو مذهب قديم عند اليونان ومن أصحابه ايرازستراتوس «Erasistratus» [٦٤] الطبيب وهو يعتقد بوجود روح محسوس يجرى فى الوريد وهو أصل الحياة . ومن أصحابه أيضا براسيلسوس «Paracelsus» [٦٥] ، من

---

a) جاء فى الأصل « العضويين » ورأينا استبدالها بإسم المذهب لتتفق الترجمة العربية مع المصطلح الفرنسى . b) جاء فى الأصل « تخلق » ورأينا إستبدال تجدّد بها لأن المسألة هنا ليست خلقا من علم . c) جاء فى الأصل أن اسم المذهب هو الحيويون ورأينا استبدال « الحيوية » به .

---

[٦٣] بيشاه (مارى فرانسوا) (١٧٧١ – ١٨٠٢) هو فسيولوجى فرنسى مؤسس علم التشريح الحديث .

[٦٤] من القرن الثالث ق.م. وهو عالم طبيعى يونانى عاش فى الاسكندرية ودرس وظيفة الأعصاب بالذات .

[٦٥] براسيلسوس (فيليبوس أو ريلوس) (١٤٩٣ – ١٥٤١) فيزيقى وكيمائى سويسرى كان له تأثير عظيم على عصره والعصور التالية عليه .

القرن السادس عشر وهو فيلسوف معروف فى الشرق ترجم إلى اللغة العربية سنة ١٨٨٠ ، وهو القائل بأن الجسم الحى عبارة عن ثلاثة : ١) الجسد و٢) الروح و٣) الجسم النجمى . وهذا الأخير بمثابة الوساطة بين الأولين وهو المسمى بالمتوسط التصويرى «médiateur plastique» عند «Cudworth» (٦٦) كودورث وبالأود «Od» عند رشنباخ «Reichambach» وبقوة التمدد عند وليم كروكس «William Crookes» (٦٧) فى كتابه « تجارب فى السنوات من ٨٧١ إلى ١٨٧٤ » . ووجود هذا المتوسط ركن كبير من أركان علم الطب عند الأطباء الحيويين ، وعند المذهب الذى أسسه « بارتيز » «Barthez» (٦٨) ، وفى اركان عقيدة المذهب الدينى المسمى «spiritisme» الروحانيات .

وفى زماننا هذا جدد برغسون مذهب الحيويين ببراهين فلسفية فقال : « ان المادة ختامة الخلق متبلورة فى الموت أما المياه فهى النشوء الخلقى » وذلك فى «L'évolution créatrice» (أى ان الفعل الفعال «action qui se fait» يكون ضد المادة التى هى الفعل الهالك «action qui se défait» . [راجع ابن عربى فى مسألة « الخلق فى كل وقت » وتضاد « الفتق والرتق » .

---

(٦٦) رالف كودورث (١٦١٧ – ١٦٨٨) عالم لاهوت وفيلسوف انجليزى اعظم ممثل لجماعة فلاطونيى كمبريدج التى تكونت فى القرن السابع عشر ، ألد أعداء هوبز .

(٦٧) ويليام كروكس (١٨٣٢ – ١٩١٩) كيميائى انجليزى له دراسات عن المواد المشعة . أما فى مجال الطبيعة فأهم اختراعاته فى حقل الكهرباء « أمبوبة كروكس » .

(٦٨) أو «Barthès» (بول جوزيف) (١٧٣٤ – ١٨٠٦) طبيب فرنسى اهتم بالاساس النظرى للطب ؛ شرح فى كتابه الشهير « عناصر علم الإنسان » ظاهرة الحياة على أساس « المبدأ الحيوى » .

المحاضرة السادسة عشرة
الأعضاء والتناسل

١ – الوظيفة والعضو :

أ) تركيب الأعضاء : عند القدماء من فلاسفة اليونان والمسلمين تركب الأعضاء بنظام بإرادة خارجية ، وهذه الإرادة هى العلة الفاعلة والعلة المتممة (أى الغائية) . ووظيفة العضو كآلته (راجع كتاب إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٥١) . وعند القدماء الوظيفة هى القوة المختصة بالعضو وهى التى تديره وتدبره . على اننا قد ذكرنا فى المحاضرة الماضية ان الوظيفة تخلق العضو ، وقد كان القدماء ينظرون الى تركيب الجسم كما ننظر الى تمثال ساكت مع اعتقادهم فى ثبوت شكل كل عضو على الدوام (راجع كتاب إخوان الصفاج ٢ ص ٢٤٧ و ٢٥٧) . وقد ورد فى الكتاب السابق أن تركيب الجسم كبناء المنزل ، « بنى الخالق الجسم وقدره تقديرا » مثل اشتراك المهندس والبنّاء فى بناء البيت ؛ أن الجسد له أربعة أركان (وهم يريدون هنا الأخلاط الأربعة) وتسعة ملاك أى جواهر (يريدون العظام ، والمخ) ، والعصب ، والدم ، والعروق ، واللحم ، والجلد ، والأظافر ، والشعر ، وعشرة طبقات و٢٤٨ عمودا (أى العظام) و ٧٥٠ رباطا (أى الأعصاب) و١١ خزانة (الدماغ والنخاع والرئة والقلب الخ) و ٢٦٠ شارعا للسكان (أى العروق الغوار) و ٢٩٠ نهرا (أى الأوردة) و١٢ بابا (أى العيون ... الخ) و٧ صناع (قوة جاذبية ، وقوة ماسكة ، وهاضمة ، ودافعة ، ونامية ، ومغذية ، ومصورة) . وعلى هذا الرأى ، أى نظرية ثبوت شكل مخصوص لكل عضو إخترع اليونانيون قانون «Canon» نظام كمال النسب بين أقدار الأعضاء فى تركيب الجسم واشتهر فى ذلك التمثال المسمى بقانون « بوليكليت «Polyclète» [٦٩] وهو نقش على المرمر أو النحاس من القرن الخامس قبل الميلاد وهو تمثال شاب اسمه «Doryphore» « دوريفور » أى حامل الرمح . وهذا التمثال مصنوع بحيث أن طول الوجه يمثل $\frac{١}{١٠١}$ من طول

---

[٦٩] هو مثال يونانى (٤٥٠ – ٤٢٠ ق.م) إشتهر بإستخدام النحاس و بصنع عدد من تماثيل الأبطال التى برع فيها فى المحافظة على نسب الجسم الإنسانى . يقال إنه وضع كتابا هو « القانون » يفسر فيه مبدأه ، والتمثال المشار إليه هنا يطلق عليه « قانون بوليكليت » لتجسيده لهذا القانون أعظم تجسيد .

الجسم ، وطول الرأس $\frac{1}{8}$ من طول الجسم ، وطول الرأس مع الرقبة $\frac{1}{7}$ من طول الجسم أيضا ، ولطول الوجه ثلاثة أقسام متساوية : من الذقن إلى أول الأنف ومنها إلى آخر الأنف ثم من آخر الأنف إلى منبت الشعر (راجع أيضا التمثال المسمى «Apoxyomenus» أو «Canon of Lysippus» [٧٠]) .

ب) تركيب الأعضاء عند المتأخرين من فلاسفة الافرنج عبارة عن معمل متحرك فيه شغل لا يقف ، أو قوة محبوسة فى صورة محدودة من ضغط الأحوال الخارجية ، وهذه القوة تجتهد باجتهاد مستمر واحتراز دائم ، وتجدّد فى كل وقت بشرط اعتدالها الخارجى . ويهتم هؤلاء الفلاسفة غالبا بالبحث عن كيفية حركات الأعضاء وإختصاصاتها . وفى علم الهستلوجى «histologie» أى علم الأنسجة أن الذرة لها نمو منتظم خاص ، وفى رأى النفسانيين ان هذا من أعمال النفس وقد ظهرت فى الفلسفة الحديثة نظرية جديدة اسمها نظرية « الإتجاه » «tropisme» وتعنى أن لحركات النفس إتجاها خاصا ، وقد برهنوا على ذلك فى بعض النباتات مثل زهرة هيليانتوس «hélianthus» [a] فهذه الزهرة تتأثر بواسطة أشعة الشمس وتتجه دائما نحو الشمس ، والمقصود من هذه النظرية هو نفى كل سبب داخلى فى الجسم الحى لحركته . وإنما حركة الجسم كحركة ابرة البوصلة «boussole» مثلا وإنما متجهة نحو القطب الشمالى ، وأصحاب هذه النظرية يقولون إن الجسم الحى مركب أصلا من أربعة عناصر كيماوية : الأوكسجين ، والهيدروجين ، والكربون ، والأزوت ، والمركب من هذه العناصر هو مايسمى عند علماء الطبيعة بالكولويد «colloides» وعند علماء الكيمياء بالزلاليات . وهم ينكرون مطلقا وجود قوانين أو حركات (فى هذه المادة) مغايرة لقوانين وحركات الحوادث الطبيعية أو الكيماوية . وعندهم أن القوة الهاضمة نوع من المصاص «Osmosis» [b] وان التنفس نوع من

---

a) جاءت فى الأصل انها زهرة الهيلبوتروب . b) جاء فى الأصل «osmos» .

---

[٧٠] ليسيبوس هو مثال اغريقى من القرن الرابع ق.م كان المثال المفضل عند الاسكندر الأكبر ولقد كان فنه هو المدرسة التى تعلم فيها معظم المثالين الأغريق . غير من النسب التى سبق وأن وضعها بوليكليتوس . أهم تمثال يجسد فكرته هو المشار إليه هنا وهو موجود فى الفاتيكان .

التأكسد «oxydation» ومن براهينهم على ذلك أنهم ركبوا فى الكيمياء العضوية ، منذ اخترع برتلوت «Berthelot» الأسيتيلن «acétyline» أكثر التركيبات المركبة من وظائف أعضاء الحيوانات فى وقت حياتها . وقد انتقدوا فى آرائهم هذه بقول بعض المنتقدين أنهم إلى الآن لم يكتشفوا طريقة توصلهم لتركيب التخمير «levain» مثلا بدون ميكروبات حية .

٢ - الخلية :

هى كلمة مترجمة عن الفرنسية «cellule» وعن الانجليزية «cell» وهى كل سيج فى الحيوان أو النبات . وهى ثلاثة أجزاء :

١) القشرة «membrane» ، والقشرة فى الحيوان أرق منها فى النبات .

٢) المادة الشفافة «protoplasme» «cytoplasme» [a] .

٣) النواة «noyau» أو «nucleuse» . ويوجد فى الخلية من العناصر الكيماوية الحامض النواتى «nucléique» acide وهو نوع من الزلال «albumine» وهو على هذا القانون $C^{29}H^{41}Ag^{29}Ph^{3}O^{22}$ [٧١] وذلك فى كل نواة . ويوجد فيها أيضا كبريت وحديد ومركبات الأصفر المخضر «chlore» [٧٢] ، والفسفور مع البوتاسيوم ، والصوديوم والمنغانيز ، والكلسيوم وذلك فى المادة الشفافة . ويوجد فيها أيضا الملح وهو المركب من الأصفر المخضر والصوديوم . ولايمكن الحياة بدون الملح . وبنى كانتون «Quinton» مذهبه على ذلك فقال إن الملح موجود فى أصل الخلقة ففى دم الحيوان شرطان لحياته :

١) ثبات الحرارة . ٢) وبقاء الملح . وفى سائل الدم «plasma sanguin» فى كل جسم $\frac{٨}{١٠٠٠٠}$ من الملح . و٤٤ درجة حرارة هى الحد الأعلى للثبات (٣٧ درجة فى الانسان و٤٣ درجة فى الطير) .

---

a) المادة الشفافة هى البروتوبلازم وهى تشمل كل من النواة والسيتوبلازم .

---

[٧١] هذا القانون لم يعد مأخوذا به الآن ولا أثر له فى كتب البيولوجيا الحديثة .

[٧٢] لم تكن كلمة « الكلور » موجودة فى الأصل ، وتعبير « الأخضر المصفر » الذى يستعمله الأستاذ ماسينيون هو ترجمة الكلمة اليونانية «chloros» وهى تلك الكلمة التى استخدمها لأول مرة «Sir Humphry Davy» (١٧٧٨ - ١٨٢٩) الكيمائى الانجليزى عندما إستطاع تحديد طبيعة الكلور عام ١٨١٠ وذلك لأن الكلور فى حالته الطبيعية يكون بالفعل لونه أصفرا مخضرا .

٣ – مصطلح الطب وفلسفة الأمراض :

الطب معناه الآن معروف ومعناه عند القدماء أوسع مما هو الآن اذ يدخل فيه علم الحياة . لابد لنا من ذكر آراء الأطباء فى موضوعنا ؛ وان كان من الأمثال والأشعار ما أشتهر فى كراهة الأطباء للبحث فيما بعد الطبيعة . قال بعضهم إن الامام زين العابدين قال :

قال المنجم والطبيب كلاهما لاتحشر الأجسام قلت اليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالوبال عليكما

١) ابقراط «Hippocrate» المتوفى سنة ٤٦٠ ق.م . مذهبه فى الأمراض هو المذهب الطبيعى «naturisme» ، فهو مؤسس ١) الباثولوجى «pathologie» أى علم الأمراض الباطنية و٢) الترابتيك «thérapeutique» أى المعالجة . وهو يرى أن وظيفة الطب هى تفريغ الخلط فى قسم من أقسام البدن بالانتظار إلى اليوم الأوفق (وذلك طبيعى وقيل إن الطبيب مساعد الطبيعة) . وتفريغ الخلط هو النضج «coction» فهو لايعتقد كما يعتقد جالينوس فى مرضية اعتدال الطبائع الأربع فى الجسم .

٢) اجاطينوس «Agathinos» من أسبرطا Sparte صاحب المذهب الروحانى «pneumalisme» يقول إن المرض ناشىء عن تغيير سريان الروح فى البدن . وهو لايعتقد فى الروح بالمعنى الذى عند النفسانيين والدينيين بل عنده إنها شىء أخف من الدم وموزعة فى العروق . وهذا الرأى منتشر عند بعض الدينيين والمتصوفين ، وله تأثير عند بعض المتأخرين مثل مزمر «Mesmer» [٧٣] المتوفى سنة ١٩١٥ وهو صاحب القول بالمغناطيس الحيوانى والقائل بأن المرض ليس من المادة من الروح والروح عنده هى ذلك الجسم النجمى الذى ذكرناه فى المحاضرة السابقة (المتوسط الموجود للرابطة بين الجسم والنفس) . فالمعالجة بالمغناطيس هى معالجة تلك الواسطة التى بين الجسم والنفس بإستعمال التنويم .

ومن غرائب فلسفة الطب مذهب براكلسيوس «Paracelsus» مؤسس المعالجة الكيمياوية أى إستعمال دواء من عناصر الجمادات وهو القائل بأن كل مرض هو دية وكفارة «expiation»

---

[٧٣] مسمر (فريدريك) (١٧٣٣ – ١٨١٥) : صاحب نظرية تعرف باسمه وهى الـ «mesmerism» ، وكان يحاول معالجة الأمراض بالتنويم المغناطيسى .

لايمكن علاجه إلا بإرادة الله ، وهذا قريب من مذهب بعض الصوفية (النورى) وبعض الرهبان فى إمكان الإستبدال «substitution mystique»[a] .

٣) اسليبياد ده بتينى «Asclépiade de Bithynie» [٧٤] من الذرين «atomistes» القائلين بأن سبب الأمراض هو عدم التآلف بين ذرات الجسم ، وعدم نظام المسافات «pores interatomiques» ، بينها ، وذلك على أصول ديمقريطس «Démocrites» وأبيقور «Epicure» وليكرشيوس «Lucrèce» [b]

٤[c]) جالينوس «Galien» المتوفى سنة ١٩٨ ب.م . فى برجام «Pergame» وهو من الإنتخابيين «éclectique» القائلين بأن فى الجسم أربعة أخلاط ؛ والصحة من اعتدال هذه الأربعة ، وعندهم أن العلاج على ثلاثة أقسام

(١) المرض فى حال فجاجة .

(٢) نضج المرض «coction»

(٣) الاستعداد «évacuation» .

(٤) أصحاب التجارب «empiriques» [d] الناظرون إلى أعراض الأمراض فقط . ولنذكر من المذاهب الحديثة مذهبين مهمين .

٥) مذهب هاهنمان «Hahnemann» [٧٥] المتوفى سنة ١٨٤٣ والمذهب اسمه «homéopathie» ومعناه علاج الداء بالداء [e] .

فى حالة الصحة تجعل الإنسان ساخنا وهى الدواء وقت ما يسخن الإنسان . واستعمال السم ضد السم وهو المسمى ترياق وبالفارسى « بادزهير اى منظف السم .

---

a) كل هذه الفقرة جاءت فى الهامش b) جاءت أسماء هؤلاء الفلاسفة الثلاثة بطريقة مختلفة عما هو شائع الآن فعدلناها . c) جاء فى الأصل اسم المذهب وهو : «éclectisme» d) جاء فى الأصل اسم المذهب وهو : «empirisme» e) جاء فى الأصل : « القضاء على الداء بالداء » ورأينا تعديها الى « علاج الداء بالداء » لأن ذلك ترجمة للعبارة اللاتينية التى استخدمها «Hahnemann» نفسه ونعنى بها «similia similibus curantur» .

---

(٧٤) أسليبياد ده بتينى يونانى من القرن الثانى ق.م ، عارض نظرية أبقراط عن الأمراض ، وكان يحاول تطبيق مايسمى اليوم بالعلاج الطبيعى .

(٧٥) «Hahnemann» (صمويل) (١٧٥٥ — ١٨٤٣) طبيب ألمانى صاحب مبدأ أن الداء يداوى بذاته .

على أنه بإكتشاف الميكروسكوب ، وإمكان معرفة الميكروبات وفحصها ومعرفة وظائفها المفيدة ، ومحارباتها الغريبة ، وبإختراع تطعيم المصل «sérum» وبإستعمال التعفن «antisepsie» (راجع تجارب «Pasteur» ومتشنيكوف «Metchnikoff») بكل هذا حدث انقلاب عظيم ونجاح جديد لسير علم الطب .

المحاضرة السابعة عشرة
أصل الأنواع (النشوء والتناسخ)

١ – مسألة التناسل :

التناسل «reproduction» = الكسر للبيضة أو التلقيح «fécondation» والكسر معناه اللغوى الجمع بين الجنسين «sexes» . لقد إكتشف لوينهوك «Leuwen Hoek» [٧٦] الهولندى فى سنة ١٦٧٧ الميكرسكوب فأمكن به البحث فى مسألة التلقيح ومعرفة دقائقه . وممن حققوا فى المسألة سبالانزانى «Spallanzani» الذى قال إن التلقيح هو دخول الحيوان المنوى «spermatozoide» فى البويضة «ovule» . ومنهم «Barry» بارى سنة ١٨٤٣ الذى حقق فى المسألة وشاهد دخول الحيوان المنوى فى البويضة أيضا . والتلقيح هو الإمتزاج بين خليتين مخصوصتين (الذكر والأنثى) «gamètes mâle et femelle» فتتحد النواة بالنواة والبروتوبلازما بالبروتوبلازما . وبعد التلقيح هكذا تترقى الخلية بالانقسام الذاتى «division» . ولهذا الحيوان فعل إما ميكانيكى أو كيماوى . و« لوب » «Loeb» له تجارب عملية فى التلقيح (التلقيح الصناعى) ، فقد أخذ بويضة من قنفذ البحر «oursia» البحر ولقحها تلقيحا صناعيا كيماويا وليس بواسطة التلقيح المنوى ، إلا أنها لم تصل إلى حالة الكمال بل بقيت فى شكل دودة .

التولد الذاتى «génération spontanée» . أى أنه يمكن ابتداء الحياة بواسطة العناصر الكيماوية فى الجسم . ولباستير «Pasteur» تجارب ضد هذا المذهب وله انتقادات بشأنه .

مسألة النوع الطبيعى «espèce naturelle» فى الحيوانات والنباتات : عند القدماء النفسانيون يقولون إن النوع من وجود الصورة النوعية كما يقول الجرجانى فى كتاب « التعريفات » (ص ١٤١) : « جوهر بسيط لايتم وجوده بالفعل دون وجود ماحل فيه » . وعندهم أن التخصيص النوعى ناشىء من الروح لا من الجسم . وعند المتأخرين أن التخصيص النوعى ناشىء من عناصر المادة أو من

---

[٧٦] أنطون فان لوينهوك (١٦٣٢ – ١٧٢٣) : درس التاريخ الطبيعى وهو ما دفعه للتخصص فى صنع الميكرسكوبات .

قواها . ومذهب النشوء والارتقاء عند الهنود مذهب روحانى بخلافه عند داروين فهو مذهب مادى . «Dieterici» ألف كتاب أسماه « مذهب النشوء «darwinisme» [a] فى القرن العاشر » اشارة الى كتاب أخوان الصفا ، فرد عليه ده بور «De Boer» [b](ص ٨٥) قائلا ان مذهب اخوان الصفا روحانى ومذهب داروين مادى .

الهنود : مذهب « يوبانيكاد » «Upanishad» ٦٠٠ سنة ق.م يتكون من جملة الأغانى القائلة بتناسخ الأرواح ، فإنتقال الروح من الإنسان إلى الحيوان إنما هو انحطاط ، أما إنتقال روح الحيوان إلى الإنسان فهو ترقى (مسألة العقاب والثواب) . وعند الهنود كتاب شعر هو الـ «Baghàvadgita» « باغافاتجيدا » أى غناء الولى الذى وصل إلى كمال النعيم . وهذا الكتاب ترجمه البيرونى وسماه « فى تاريخ الهند » (راجع خطب أرجونة Arjúnà فى ذلك) .

اليونان : قال بعضهم بوحدة الأنواع بطريق روحانى (راجع كتاب الدكتور شبلى شميل من ص ١٧٢ إلى ص ٢١٥) . ومن هؤلاء أمبادقليس «Empédocle» من القرن ٦ ق.م ، فهو يعتقد فى هذا المذهب وقال شعرا ما معناه « لقد كنت شاباثم صرت جارية ثم شجيرة ، ثم باذا وفى البحر سمكة خرساء » . والمانوية (الزنادقة) يعتقدون فى الظلمة والنور وتصفية العنصر النورى بعد الذنوب بإدخال النفوس الجانيه فى أجسام الحيوانات .

التناسخ عند المسلمين : يقول الرازى الطبيب ، إنه يرى أن السبب الوحيد فى تحليل ذبح الحيوان ، أنه إنما هو لتخليص الروح من جسم الحيوان ، لتنقل إلى جسم إنسان (راجع كتاب ابن حزم ص ٩٠ ح ١) . وعند الباطنية وفرق المعتزلة مثل ابن حائط [c] تلميذ النظام أن لكل جنس من الحيوانات انبياء وإن الوحى ينتقل مع الروح من نوع إلى نوع وكذلك عند ابن بانوش والقحطى (راجع كتاب الفرق للبغدادى من ص ٢٥٦ إلى ص ٢٦٠) [d] .

---

a) المفروض هنا استخدام تعبير « مذهب داروين » لأنه الترجمة الدقيقة لكلمة «darwinisme» b) كتاب « ده بور » هو « تاريخ الفلسفة فى الإسلام » . c) جاء فى كتاب «الفرق» أنه ابن حائط وقد صححها المرحوم محمود الخضيرى وهو من المتخصصين فى علم الفرق ليصبح « ابن خابط » d) المقصود هنا تلك الطبعة التى حققها محمد بدر وصدرت فى مطبعة المعارف بمصر – بدون تاريخ .

٢ – مذهبا لامارك وداروين : النوع عند المتأخرين له معنيان ، معنى أعم وهو جملة أشخاص مشتركى النسبة والأوصاف والأشكال ولا يمكن إختلاطها إختلاطا ثابتا بمعنى إثبات نتاج أى نسل مع نوع آحر . وله معنى خاص كما هو عند علماء النبات النوع الجردانى «espèce jordanienne» أى كل صنف له أوصاف ثابته بالنسل . من هؤلاء لينى «Linné» [٧٧] عام ١٧٥٥ فى كتابه « فلسفة علم النبات يقول إنه لايوجد تغيير فى النوع الخلقى الأصلى أى أن بثمة للأنواع كلها على حالها وصفاتها من بدء الخليقة . ومثله كوفييه «Cuvier»[٧٨] فى ١٨٢٩ فى « علم الحيوان » . ومن معاصريه لا مارك «Lamarck» سنة ١٨٠٩ فى كتابه « فلسفة علم الحيوان » يرى ان النشوء أمر الهى أما الارتقاء من نوع إلى نوع فيكون بفعل الحى . وهو القائل بتكيف الحى مع الأحوال الخارجية تكيفا فعالا «adaptation active» [a] . أما داروين سنة ١٨٥٩ فى كتابه « أصل الأنواع » «Origin of species» فيرى أن الجسم الحى متغير بإنفعالات على حسب تغير الأحوال الخارجية وهذا هو التكيف المنفعل «adaptation passive» [b] . وعنده أن الطبيعة لها وجود حقى فى الدنيا ، ولها ارادة فى تسلسل الحوادث ، ولكن ارادتها عمياء لا تشعر ، وهى مستقلة عن الأشخاص والأجسام ، وتتسلط عليها بلا عقل ولا عدل ؛ ومن مذهبه نشأت النظريات بإصطلاحاتها الآتية :

تنازع البقاء «struggle for life» أو «lutte pour la vie» ، والانتخاب الطبيعى «sélection naturelle» ، وبقاء الأصلح «survivance des plus aptes» . وسنشرح هذه النظريات فى تاريخ الإصطلاحات فى دروس الأخلاق الاجتماعية والحقوق الدولية . ولو أن أكثر العلماء فى علم الحياة صاروا على مذهب النشوء والتحول إلا انهم لايعتقدون فى النظريات الثلاثة التى ذكرناها على مبادىء

---

a) يسمى ماسينيون هذا التعبير « بالمطابقة الفعالية » وهو تعبير أصبح غير مقبول بعدما اصطلح على استخدام كلمة « تكيف » كترجمة لـ adaptation . b) يسميه ماسينيون « بالمطابقة المنفعلة » ولنفس السبب السابق ذكره فضلنا عليه تعبيرنا .

---

(٧٧) كارل فون لينيه أو «Linnaeus» (١٧٠٧ – ١٧٧٨) عالم نبات سويدى مؤسس علم النبات الحديث صاحب التصنيف الثنائى لكل من النبات والحيوان .

(٧٨) جورج كوفييه (١٧٦٩ – ١٨٣٢) عالم طبيعة فرنسى وهو معارض لنظرية التطور .

داروين . لقد اتفقوا معه على فرض وحدة الأنواع ، وتسلسل أنسابها ، ولكنهم لم يقبلوا تفصيلاته لضعف دلائله وكثرة تأويله ، فمثلا إذا أخرجت من الجسم الحى كل قوة داخلية كما على مذهب داروين فإن هذا الجسم « يتقدم » (نظرية بقاء الأصلح) وهذا غير معقول وليس له معنى الإبقاء من يبقى حسب المصادفة .

٣ — وصف مشكلات المبحث ومناقشات الدكتورين شبلى شميل وتوفيق صدقى فى زماننا هذا :

(مذهب توفيق صدقى فى الأعضاء الاثرية وهو القائل ببقاء النوع مع تغير صفاته) .

المحاضرة الثامنة عشرة

النشوء والإرتقاء والغريزة

١ – المذاهب الجديدة فى معنى النشوء :

أ) قوانين منديل «Mendel» النمساوى الذى ألف كتابه [٧٩] سنة ١٨٦٦ [a] ، وله تجارب مهمة فى مسألة الهجين «hybridation» أى الاجتماع بين نوعين بالتلقيح . لقد قام بتجاربه على النباتات ، لأن النبات أكثر ثباتا ، قام بتجاربه بواسطة الحمص .

وقد رأى تشابها بين جنسين فى أوصاف النبات [وصف الكمية كطول الساق ووصف الكيفية كوجود عرض مثل بقعة] . أما تجاربه فى أوصاف الكيفية فكانت على الخشخاش . فقد أخذ بعضا مما فيه بقع والبعض الآخر مما ليس فيه بقع ثم جمع بالتلقيح بينهما ، فكان النتاج أن حفظ صفة النوع الأول فى ربع منه ، وصفة النوع الثانى فى ربع آخر ، وصفه النوعين فى النصف الباق منه (من النتاج) . وقد إستنتج من تجاربه هذه ثلاثة قوانين :

(١) الأوصاف الكيفية الغير مقسومة .

(٢) المستقلة .

(٣) القابلة للكون .

ب) مذهب دى فريس «Hugo de Vries» [٨٠] الهولندى الذى قام بعمل تجاربه من سنة

---

a) جاء فى الأصل سنة ١٨٦٥ والصواب هو ما اثبتناه .

---

[٧٩] هو «Cregor Johann» (١٨٢٢ – ١٨٨٤) الراهب الشهير صاحب قوانين أسس الوراثة وعمله الرئيسى المشار اليـــه هنــــا هو «Experiments in plant hybridisation» .

[٨٠] عالم نبات كرس جهده لتسليط الأضواء على نتائج ابحاث ماندل وبهذا خطا خطوة عظيمة فى الفكر التطورى . أهم اعماله «Mutation theory» و «Plant breeding» .

١٨٨٦ إلى سنة ١٩٠٠ فى مسألة أصل الأنواع وطبعت رسائله من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٠٥ . قام بهذه التجارب فى البستان النباتى فى مدينة أمستردام على فى نبات اسمه «Oenothera lamarchiana» ولعله المسمى بالعربية حشيشة الحمير . أخذ أصنافا كثيرة منه وأمكنه أن يستخرج من نوع واحد تسعة أنواع ثابته واعطى اسما لكل نوع وقد أثبت فى احدى كتبه نظرية جديدة وهى نظرية الانتقال «mutation»[a] . وذلك أنه لايمكن التغير إلا فجأة بخلاف رأى داروين من أن التغير يأتى بالتدريج ، على أن لكل ابتداء انتهاء . وفى أكثر حياة الأنواع لايمكن التغير إلا فى وقت مخصوص كما يلاحظ وقت الحيض عند النساء أو فى بعض الأمراض .

حـ) مذهب ويسمان «Weismann» [٨١] : صاحب المذهب الدروينى الحديث وقد طبع كتابه سنة ١٩٠٢ . يقول إن تنازع البقاء ثلاثة أقسام

(١) تنازع بين الخليات الطبيعية .

(٢) تنازع بين الأعضاء .

(٣) تنازع بين الأشخاص والأخير لداروين فهو يقول إن التنازع بين الأفراد أو الأنواع لا بين أجزاء الجسم .

د) مذهب برجسون صاحب الكتب المشهورة فى علم النفس وغيره من علوم الفلسفة . وقد طبع كتابه من عشر سنوات . ومن رأيه ان التغير نتيجة حركة حيويه داخل الجسم ، وهو يخالف جميع المذاهب السابقة مع أنه يستعمل تجاربهم .

٢ - مسألة أصل الحياة :

أولا : مذهب الخلق وفيه رأيان :

١) إن لكل نوع خلق خاص ومن فلاسفة هذا الرأى لينى «Linné» .

---

a) ربما يكون من الأفضل ترجمة كلمة «mutation» بالطفرة .

---

[٨١] أوجست ويسمان (١٨٣٤ - ١٩١٤) عالم بيولوجى ألمانى وهو صاحب نظرية ان الخصائص المكتسبة التى تؤثر فى خلايا الجسم وليس فى نواتها لا تورَّث .

٢) إن الخلية الأخرى هى التى خلقت فقط (على مذهب التحول على أصول ريزك «Riske» ولامارك «Lamark» .

ثانيا : مذهب القدم وفيه رأيان أيضا .

١) إن مادة الجمادات والحيوانات قديمتان .

٢) إن نمو الحياة من ذات الجماد (التولد الذاتى) .

وهذا الرأى معتبر عند أرسطو ونجد عكسه عند باستيير «Pasteur» .

قال سفانت ارهنياس «Svante Arrhenius» [٨٢] بإنتشار الجراثيم «panspermisme» فى الطبيعة الغير هوائية بين النجوم حيث درجة الحرارة ٢٧٣ تحت الصفر ، وحيث تحفظ الجراثيم حياتها بواسطة ضغط الضوء .

٣ - مسألة المشكلات الباقية :

إن مذهب النشوء فرض محض ولو أن أكثر العلماء متمسكون ويعتقدون فيه ، فإن العقل وهو آلة التمييز لا يمكن أن يفهم شيئا متصلا مطلقا (وهو النشوء) بواسطة شىء منفصل (وهو الاختلاف بين الأنواع) . وكما هو معروف فى « أخيلس والسلحفاة » ومسألة اللانهاية فإن كل معدود متميز ، وكل متميز محدود ، وكل محدود معدود منفصل .

تكوّن التباينات بين الأنواع «différenciation des caractères spécifiques» : قلنا إن التغير إما فجأة وإما بالتدريج بسلسلة درجات . فداروين الذى يعتقد فى التدريج يقول إن السبب فى التباين هو الانتخاب الطبيعى والذى يثبت التغييرات المفيدة . ولكن كما برهن برجسون فإنه لا توجد فائدة للحيوان فى أول درجات التغيير التدريجى فكيف يثبت الانتخاب الذى يكون كإرادة عاقلة لها غاية .

والمذهب القائل بأن التغير يأتى فجأة . هو مذهب دى فريس الذى يقول إنه فى وقت التغير يكون العضو كمثل البيت عند تجديده فإذا كان كذلك فأين الفائدة التى تثبت للإنتخاب الطبيعى .

---

[٨٢] عالم كيمائى سويدى (١٨٥٩ - ١٩٢٧) صاحب نظرية اطلاق الايونات أو التأين «ionization» .

أدلة مذهب التحول :

١) جغرافية الحياة «biogéographie» أى تخصيص أوصاف الأنواع مع الإنتقال من بلد إلى بلد (ولكن هذه الأوصاف ترجع إلى شكلها الأصلى بالرجوع إلى البلد الأصلى) .

٢) علم طبقات الأرض الذى يفسر ظهور الأنواع حسب ترتيب طبقات الأرض (ولكننا لا نجد ان العلماء تتفق فى تأسيس جدول تناسب النبات والحيوان .

٣) علم تولد الكائنات «embryologie»[a] فهم يشبهون سلسلة تدرج النوع فى العالم بسلسلة تدرج الجنين «foetus» [b] مثل خياشيم الجنين الإنسانى . ولكن هذا تشبيه فقط .

٤) علم صور الاعضاء «morphologie» [c] الذى يقول إن شكل اليد فى الإنسان أو الرجل فى الحصان أو الجناح فى الوطواط واحدة (ولكن مسألة الاعضاء الاثرية مشكوك فيها) . مثلا يرى برجسون أنه اذا كانت بعض الأعضاء المختلفة الشكل والوظيفة متولدة من خليات متشابهة فكيف خصصها الانتخاب الطبيعى بنظام يحفظ الحياة فى جملة الأعضاء ، مع عدم وجود نظام بالنسبة لمصادفات الحوادث والأعراض الخارجية . وقد دقق برجسون أيضا فى بلورية العين «cristallin» وفى القزحية «iris» فقال إنه اذا أخذنا ضفضعة وقطعنا عضوا من أعضاء العين وهو البلورية لنعرف بأى طريقة سيتجدد العضو المقطوع فإننا نجد ان التجديد من قبل خلايا [d] القزحية . ولكننا قد عرفنا من علم تولد الجنين أن قشرة جنين الضفضعة بها لحم البلورية وفى لبها لحم القزحية وليس من إختصاص القزحية تجديد عضو ليس له خلية أصلا من لب الجنين ولكن هذا من الاجتهاد الحيوى المنظم لحركات الجسم من أجل ابقاء التآلف والاعتدال الكلى .

٤ – تكون النباتات وحقيقة الغريزه «instinct» :

وتسمى البديهة أو ميل الطبيعة ، وأصله من غرز الإبرة فى الشيء أو العقلة فى الغض .

---

a) جاء فى الأصل «embryologie» أو «Ontogenèse» وفى الحقيقة هما علمان مختلفان ، فالاول هو علم تولد الكائنات (أو الأجنة) والثانى هو علم تدرج النوع .
b) «foetus» أو «fetus» هى الأصل اللاتينى الذى يعنى التوالد أو البيض أو الولادة أو النمو .
c) أصبحت كلمة «morphologie» تترجم بعلم الشكل .
d) يستخدم الأستاذ ماسينيون كلمة « الخليات » ونفضل عليها الخلايا الشائع إستخدامها الآن .

وفى الإصطلاح هى من الكلمة اليونانية «hormé» . يفرق أصحاب الرواق بين الغريزة والعقل ، فيقولون إن قانون الغريزة من الطبيعة وقانون العقل من حرية الإرادة . أما الغريزة عند فلاسفة العرب فمنهم من قال إنها الباعث الطبيعى للحيوان إلى تتميم بعض أفعاله بدون فكر ولا روية (راجع كتاب الشيخ محمد شريف فى علم النفس ص ٤٥٠) [a] ومنهم من قال إن كثيرا من الحيوانات تعمل صنعة طبيعية قد جلبت عليها بلا تعليم (راجع كتاب اخوان الصفا جزء رقم ١) .

والفرق بين حركات المواجهة «tropismes» أو الافعال المنعكسة «réflexes» والغريزة ، هو أن الأولى عبارة عن رد فعل بعد تهيج خارجى ؛ أما حركات الغريزة فهى متولدة من تهيج باطنى مثل الميل للمهاجرة عند الخطاف ، فإن هذا ليس برد فعل كما زعم داروين فإن الخطاب يهاجر قبل مجىء البرد (لداروين كتاب مستقل لمسألة غريزة محاليق الكروم) .

وجاء فى كتاب اخوان الصفا (ج١ ص ٥٠) فى غريزة النحل والعنكبوت ان : بيوت النحل مسدسة الاضلاع «hexagonales» ، وهذا الشكل اوسع من حيث الفضاء وأقل من حيث المنصرف من شمع العسل . نسج العنكبوت سداها على الإستقامة ولحمتها على الإستدارة لمافيه من سهولة العمل

والغريزة عند القدماء صفة ثابتة وهى من القوة النباتية والقوة الحيوانية فى النفس . وعند المتأخرين ثلاث نظريات فى الغريزة :

١) نظرية كوندياك «Condillac» الذى يقول إن أصل الغريزة اختيار محفوظ على حالة فى الإنسان ، وهذا كما هو عند داروين لما رتب فى أنساب النحل كل الأنواع من عائلة الحشرات ذوات الأجنحة الغشائية على قدر ترتيب غرائزها ليبين بالجدول نشوء غريزة النحل من البسيط إلى المركب .

٢) نظرية لأمارك وسنبسر «Lamarck» ، «Spencer» اللذين يقولان إن أصل الغريزة من انطباع الأحوال الخارجية التى تطبع فى الشخص وإن ثبات الغريزة وراثى (والغريزة تنقص مع التدريج فى طبقات الأنواع إلى الإنسان) .

٣) رأى برجسون وفابر «Fabre» [٨٣] ، والأخير من علماء علم الحشرات وهو يعيش الآن

---

a) جاءت فى الهامش .

---

[٨٣] «Jean Henri Fabre» (١٨٢٣ - ١٩١٥) : عالم حشرات فرنسى إشتهر بكتاباته عن حياة الحشرات وخاصة النحل والعناكب .

كفلاح فى جنوب فرنسا وله تجارب مهمة ، وقد دقق فى غريزة حيوان اسمه «sphex ammophile» لعله بالعربى زنبور ، أو نوع منه . ويقول ان له غريزة غريبة لايمكن فهمها بالمذهبين الأولين فهذا النوع من الزنابير يعيش سنة واحدة ، ولا يلتفت إلى أولاده ألا وهى بويضات . وذلك أنه قبل أن يموت يأخذ دودة فراشة ويذهب بها إلى بويضاته ، ويلسعها بابرة له تسعة مرات فى موضع مخصوص وهو المجاميع العصبية ، ويعض بأسنانه فى رأس هذه الدودة ، فتكون الدودة فى شلل كامل ، وبعد ذلك يموت هذا الزنبور وعند خروج أولاده من البويضة يجدون أكلهم (هو الدودة) غير فاسد . فيقول فابر بعد هذه الملاحظات إن هذا الحيوان اذا لم يكن دقيقا فى عمله لايمكنه ان يشل الدودة . له اذن غريزة ثابتة كاملة ونشوء هذه الغريزة شىء غير معقول ، لان الفائدة النوعية فيها هى إتمام الشروط كلها بالنظام الكامل . وهذا من أدلة برجسون فى أصول حصر مذهبه الحيوى .

المحاضرة التاسعة عشرة
فى معنى النفس : الإحساس – الفكر – الارادة

الغريزة هى الرابطة بين علم الحياة وعلم النفس . وأصول القدماء فى علم النفس إن الإنسان يطلع على نفسه بفحص باطنى وهذا هو المسمى الآن بطريقة المشاهدة الباطنية : «méthode subjective» أى «introspection» [a] . وهو أمر متروك تماما عند مذهب الوضعين «positivisme» ، فقد قال مؤسسه كونت «Comte» إنه لايصح تأسيس علم ما إلا بناء على أصول مشتركة ظاهرة بالخارج ، وهذه هى طريقة المشاهدة الخارجية ، وتسمى «méthode objective» [b] ولذلك استعملت الوسائط الخارجية فى علم النفس على الإطلاق عند المتأخرين منذ خمسين سنة كمراجعة فى علم وظائف الأعضاء مثل المخ .

مصطلح علم النفس عند اليونان ليس كالترتيب الحديث لأن بحثهم كان فى العقل «nous» فقط ، وعندهم أن جميع الإجساسات [c] شهوات «aisthêton» لاعقليات ، وعندهم أيضا أن مسألة اللذة والألم من فروع علم الأخلاق . وهم لا يقسمون البحث فى علم النفس مثلنا إلى ثلاثة أقسام :

١) الاحساس
٢) الفكر
٣) الارادة ؛ بل يرون ان الاحساس جزء من العقل .

علم النفس عند المحدثين : غالبا هم يقسمونه إلى ثلاثة وهى :

١) الاحساس «sensation» .
٢) الفكر أو العقليات «pensées» .

---

a) أصبح من المصطلح عليه ان الـ «introspection» تترجم بكلمة إستبطان ، أما تعبير «méthode subjective» فمن الأفضل إستخدام تعبير « المنهج الذاتى » ترجمة له .

b) يفضل ترجمة هذا المصطلح « بالمنهج الموضوعى » .

c) جاء فى الأصل « محسوسات » والمعروف ان المحسوسات هى ماتؤثر فى الحس فتنتج عنه الإحساسات والفارق بينهما جلى .

٣) الارادة «volonté» . وبعض الفلاسفة لايرى هذا التقسيم ، ومنهم ديكارت «Descartes» فإنه لايذكر الإحساس ، ويقول إن الإحساس ليس من النفس بل هو من آلات الإنسان . وهو يقسم هذا العلم كما يأتى :

(١) الفهم «entendement» وهو باليونانية «phrén» .

(٢) الارادة «volonté» .

وفى مذهب ليبنتز «Leibnitz» علم النفس قسمان

١) الإشتهاء «appétition» .

٢) الادراك «perception» وهو يرى أن الارادة تدخل ضمن الإشتهاء .

١ - الإحساس :

ذكرنا أن الكلمة الأفرنجية هى «sensation» ويشتق من هذه الكلمة جملة كلمات ، لكل كلمة معنى خاص نضع لها إصطلاحات عربية على قدر الإمكان وهى :

١) «sentiment» بالتركى هى احتساسيات فلعلها بالعربية إحتساس [a] ، أو تأثر ، أو شعور .

٢) «sens» حس .

٣) «sensible» حساس .

٤) «sensibilité» إحساسية [b] – ومن الإصطلاحات الخاصة بذلك فى علم النفس مايأتى :

(١) «passions» وهى بالتركى احتراسات بالعربية انفعالات أو اهواء .

(٢) «inclinations» : عواطف أو نزعات [c] .

(٣) «tendances» و «penchants» : أميال أو ميول .

---

a) تفضل التعبير الأخير الذى يقدمه وهو شعور فلم يعد لكلمة إحتساس وجود فى اللغة العربية . b) أصبح من المستقر عليه ترجمة هذا المصطلح بالحساسية وليس بالاحساسية . c) تفضل التعبير الثانى على الأول ترجمة لهذا المصطلح .

(٤) «conscience»[a] شعور .

(٥) «inconscience» اللاشعور أو غير شعور .

(٦) «attention» إصغاء أو انتباه [b] .

(٧) «hallucination» هذيان .

(٧) «émotion» تهيج أو هزات [c] .

(٨) «égoisme» أنانية .

(٩) «sympathie» (وبالانجليزية «sympathy») ألفة ، انعطاف (وضدها «antipathie» نفرة) .

(١٠) «contentement» إنشراح [d] .

(١١) «kindness» حنان [e] .

(١٢) «suggestion» إستهواء .

(١٣) «hypnotisme» تنويم .

(١٤) «plaisir» لذة .

(١٥) «douleur» الم .

وكان القدماء يعتبرون أن فى النفس ثلاث قوى فى تولد الانفعالات :

١) القوة النزوعية الشوقية «appétit sensitif» وهذه هى الأصل .

٢) القوة الشهوانية «appétit concupiscible» .

٣) القوة الغضبية «appétit irascible» وهذه وماقبلها فرعان . وسننظر فى آراء القدماء فى تحديد الانفعالات فى المحاضرة الثالثة والعشرين (الأخلاق) . وكلمة قوة باليونانى «dynamis» وباللاتينية «facultas» أو «potentia» . وكلمة نفس هى «psyché» . كان أرسطو يقول إن الانسان قسمان : الجسم «corpus»[f] والنفس «psyché» . والنفس قسمان العقل «nous» والقسم اللاعقلى وهو الإشتهاء «orexis» (راجع كتاب ارسطو «politéia» باب ٧ فصل ٣ ، وكذلك كتاب «Tusculanus»

---

a) يمكن أن تكون «Conscience» هى الوعى وفى مجال الأخلاق هى الضمير b) الإصغاء لاتكون ترجمة لكلمة «attention» إلا فى حالة الإنتباه لحديث . c) من الأفضل ترجمة «émotion» بإنفعال . d) يمكن ترجمتها ايضا بسرور . e) kindness هى المصطلح الانجليزى أما الفرنسى فهو tendresse . f) لم ترد فى الأصل

(Cicero)) . قال ابن سبعين مترجم رسالة ارسطو فى هذه المسألة : « النفس عند ارسطو كمال «entéléchia» (وقد ترجمت فى الأثولوجيا « بالتمام ») [a] اول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة » . وهذا هو المبدأ الأول عند ارسطو فى سبب إئتلاف الحركات . وقد تأثر تلاميذ ارسطو بمذهب افلاطون وقالوا بقوله . افلاطون يرى أن النفس «psyché» هى القسم اللاعقلى أو الإشتهائى عند ارسطو «orexis» ، وهذا كما هو عند الصوفية من أن النفس أصل الشهوة وتميل إلى وسوسة الشيطان . وللنفس الإنسانية عن مذهب إخوان الصفا معنى مخصوص وهو : النفس الإنسانية قوة من قوى النفس الكلية ، والنفس الكلية هى فيض فاض من العقل الكلى .

٢ – الفكر «pensée» :

الاصطلاح الاعم هو « الذهن » أى «intellect» وعلى ترتيبنا الجديد للمعقولات ثلاثة أقسام .

١) التجربة «expérience» . عند القدماء للتجارب العقلية اصلان :

أ) الصور «forma» أو «noémata» المحسوسة فى الإحساس . وهذا هو التصور («informatio» باللاتينيه أى إنطباع الصور) «espéces impresses» ، «images» أو المثل «eidôla» باليونانية .

ب) المعانى «intentiones» باللاتينية أى المعقولات المدركة بلا وساطة (بالبداهة «par intuition») عند القوة الوهمية «estimative» . وليس للوهمية عند القدماء هذا المعنى النقصى المنسوب اليها عندنا الآن .

وللحفظ المعقولات عند القدماء قوتان :

أولا : القوة الحافظه «mémoire» (الآن معنى الحافظة هو «mémoire spirituelle» والذاكرة «mémoire actuelle» راجع « علم النفس » لمحمد شريف ص ١٩٢) أو الخيالية «mémorative» للصور .

ثانيا : القوة الذاكرة souvenir للمعانى – أما القوة المتخيلة «cogitative» فإليها تنسب التركيبات بين الصور والمعانى (الخيالية الآن ترجمة لكلمة «imagination») والحس المشترك هو «sens commun» . وتداعى الخواطر أو الأفكار هو «association des idées» . التذكر هو «réminiscence» .

---

a) جاءت فى الهامش بخط الأستاذ ماسينيون .

٢) الفهم «entendement» :

إن الادراك : «conception» وهو وصول التصورات «concepts» إلى العقل تعميم : «généralisation» — تصديق : «jugement» أو حكم : باليونانية هو «synthesis noématon» وقد ترجم إلى اللاتينية فى القرن الـ ١٣ بكلمة «fides» أو «credulitas» . وضد التصديق هو الوهم «doxa» باليونانية أو عندنا «opinion» . أما الاصطلاح «raisonnements» فترجمته « براهين » . «abstraction», هى اضمار أو تجريد ، و«comparaison» هى تشبيه .

٣) العقل «raison» يدرك الضروريات ، وهو أصل المبادىء العقلية مثل مبدأ الوحدة «principe d'identité» ، ومبدأ العلية «causalité» ، ومبدأ الغائية «finalité» ، ومبدأ التوالى «continuité» ، ومقولة الجوهر «substance» . وللعقل كما قيل فى رسائل إخوان الصفا (ج ٣ ص ٣٧) معنيان :

(١) العقل أول موجود إخترعه البارى وهو جوهر بسيط روحانى محيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية (وهو بالاختصار مرآة الكمالات الالهية) [a] .

(٢) هو قوة من قوى النفس الانسانية التى فعلها التفكير والروية والنطق والتمييز والصنائع . وأصل المعنيين تمييز أرسطو بين عقلين

— العقل الفعال «noús poiétikos» أى intellectus agens (باللاتينية) .

— العقل المنفعل «nous pathétikos» أى «intellectus passibilis» (باللاتينية) .

٣ — الارادة :

من الإصطلاحات هنا : قدرة أو قوة فعالة «activité» وغريزة «instinct» ، وحال «diaphesis» (باللاتينية) أو «disposition» وملكة «habitus» (باللاتينية) أو «hexis» ، واعتياد «habitude» (بالفرنسية) ، وقدرة «puissance» [b] (وهى صفة إلاهية) وإختيار «liberté» [c] (وهى صفة إنسانية) على مذهب المعتزلة والماتريدية أو كسب مع إستطاعة عند الاشاعرة . و «déterminisme» جبر و «nécessité» ضرورة . أما فى مسألة القدرة الإلهية فقد فرق ابن سالم (و الحلاج) بعد المعتزلة (النظام ومعمر والخياط) بين الارادة (أى المشيئة فى القضاء) والأمر (بالمعروف) وقال الامر غير مخلوق وأما الارادة فهى مخلوقة (مشكلة وجود الشر) .

---

a) جاءت فى الهامش . b) كلمة «puissance» جاء بدلا منها فى الأصل «liberté» وفى الأغلب هذا خطأ الناسخ

c) كلمة «liberté» ترجمتها : « حرية » لا « إختيار » .

المحاضرة العشرون

تقليب الارادة (الصوفية) – الروح والعقل

١ – أهمية الإصطلاحات الصوفيه لتدقيق احوال الارادة

« علم القلوب » : كانت الفقهاء المتعصبون يعترضون على الصوفية مثل الطرطوشى المالكى على الغزالى (راجع طبقات السبكى جـ ٤ ص ١٢٣ – ١٢٨) يقول الطرطوشى « كان الغزالى من أهل العلم ثم بدا له الإنصراف عن طريق العلماء ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب » والصوفية قوم أرادوا أن يفهموا الناس بكيفية وصول التبديل فى أحوال الارادة ويستندون على ذلك بأحاديث وآيات . [وعلم القلوب عندهم هو علم التقليب أى التبديل فى أحوال الارادة] . وأول من دقق فى هذا العلم هو سهل بن عبد الله العشرى المتوفى سنة ٢٨٣ وهو من الصوفية المقبولين على إجماع فقهاء الاسلام وقد نظر إلى أهمية هذه المسألة .

وإذا رجعنا إلى ابن عربى فى كتابه « الفتوحات » المطبوع فى بولاق (ج ١ ص ٢٣٨) لوجدناه يقول : « وكان – سهل بن عبد الله – يدقق فى هذا الشأن وهو الذى نبه على نقر الخاطر ، وكان يقول إن النية هى ذلك الهاجس ، وإنها السبب الأول فى حدوث الهم والعزم والارادة والقصد ، فكان يعتمد عليه » .

وكان له فى أحوال الارادة ترتيب مخصوص لكثرة تجاربه مع المريدين ، وهو شيخ الصوفية أولا فى تستر ، وثانيا فى البصرة . ولسهل تلميذ يقال له أبو الحسن بن سالم المتوفى سنة ٣٠١ ، وهو مؤسس مذهب مخصوص عند المتكلمين اسمه السالمية ، مذهب إشتهر وكان ذيل لمذهب التسترى ومنه أبو طالب المكى مؤلف « قوت القلوب » الذى توفى سنة ٣٨ هـ وهو أصل لكثير من مادة كتاب احياء علوم الدين (راجع ضعف الشيخ الغزالى فى الاسانيد للاحاديث) . ومع ذلك فإن الغزالى لايذكر المكى إلا قليلا بل يذكره فى كتاب « المنقذ من الضلال » بإشارة خفيفة ، فكل هؤلاء لهم آراء فى علم القلوب . فللمكى وصف يدخل الخواطر فى الارادة (كانوا ينظرون إلى الارادة من وجه الاخلاق أيضا) . على هذا الجدول :

١) أول ظهور البشر فى الارادة كظهور البرقة ويسمى ذلك « همة » .

٢) واذا حفظ ذلك فى المخيلة صار خطرة .

٣) اذا ثبت سمى « الوسوسة » .

٤) اذا ماوجد للارادة سلطان على الوسوسة صارت « نية » وهذه أول درجة فى « المسؤلية » .
وبعد ذلك اذا تاب العبد عن نيته كان لها وإلا جاء مايسمى « بالعقد » ثم يصير « عزما » أو « قصدا » وبعد ذلك يخرج وتصير الأفعال من القلوب إلى الجوارح (راجع قوت القلوب ج ١ ص ١٢٧) .

وإذا رجعنا إلى « الإحياء » للغزالى وجدنا أربعه درجات :

١) خاطر

٢) ميل الطبع

٣) الاعتقاد

٤) قصد ، وذلك فى الإحياء (ج ٣ صفحة ٣١) وهذا الإصطلاحات من إختراع فلاسفة الإسلام ، وهذا أساس كبير عند الغزالى فى علاج امراض النفس والقلوب المعلولة . وأصل هذا المصطلح معتزلى ، فقد فرق ابو الهذيل العلاف بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح (راجع الفرق بين الفرق ص ١١٠) وقال ابن خابط بتفرقة القلب عن القالب (أى الجسم – راجع الفرق ص ٢٥٦) .

مابقى من مصطلح « أرباب القلوب » إلا ترتيب خواطر القلب (خواطر القلب ستة على مذهب الكيلانى : خاطر النفس للشهوة ، وخاطر الشيطان للكفر ، وخاطر الروح ، وخاطر الملك ، وخاطر العقل ، وخاطر اليقين (للأولياء) . وهذا قريب من الترتيب المذكور فى « القوت » للمكى (ج ١ ص ١٢٩) : « له الملك وله العدو وخاطر النفس ووسوسة الشيطان وعلم اليقين وفوادح العقل » .

٢ – العقل والروح :

إذا رجعنا إلى كتاب التعريفات للجرجانى (ص ١١٧ وص ١٥٦) وجدنا أن للعقل والروح أكثر من عشرين معنى مختلفة بل متضادة وهذا من الغريب ، لأن العقل و « الروح » من أشهر الإصطلاحات . وقد قيل إن فهم العقل بالعقل محال ، وهذا رأى الهنود قبل الميلاد بنحو ٦٠٠ سنة فى مجموعة تسمى «Upanishad» ، فكما لايمكن لنصل السيف أن يقطع نفسه فكيف نفهم بالعقل . عرضنا الآن تاريخ المعانى المنسوبة إلى العقل أولا لغة . يقول الجرجانى : العقل لغة من عقال البعير يمنع

من عدوله عن سواء السبيل . ثانيا : اصطلاحا نجد أن عقل ترجمة لكلمة يونانية «nous» (نوس) وبالفرنسية «raison» وبالانجليزية «reason» وبالالمانية «vernunft» . وإختلاف العرب فى معنى العقل ناشيء من اختلاف اليونان فى معنى العقل . نجد أن انكساجوراس يقول إن العقل هو مبدأ للكليات ، وهو مشترك بين كل الناس . وللغربيين تآليف كبيرة فى معنى العقل فى نظر انكساجوراس لأنه غامض [a] .

ونجد أن ارسطو فى كتاب «peri psyché» (النفس) الجزء الثانى والثالث يقول بوجود عقلين :
١) العقل الفعال .
٢) العقل المنفعل [٨٤] ، ويريد بالأول هذه القوة الذاتية التى بها تدرك الكليات ، لأن كل مادة تجرى فى الدنيا جريان السيل ، وذلك شيء ثابت خارج عن كل تجربة طبيعية . فإذا فقدت كل المبادىء الأولية مثل العلية والغائية بالتجربة الحسية فلابد من وجودها فى العقل الفعال فهو الذى يبنى به فى التصورات الترتيب المنتظم بعد تمييزها . وهو كما قال «Driesch» « هذا الركن التاريخى المتين الموجود فى الحى للدفاع » «base historique de reaction chez l'être vivant»[b] .

والعقل المنفعل أو «entendement» « الفهم » هو بمعنى استعداد النفس الإنسانية لإنطباع التصورات على ذهنها . وقد اختلفت تلاميذ ارسطو فى علم النفس حين شاع كتابه . فمن تلاميذه «Themistius» ثامسطيوس ، واسكندر الأفروديسى «Alexandre d'Aphorodisie» ، ولهما مذهبان متضادان فى العقل المنفعل أو الهيولانى [راجع « معيار العلم » للغزالى (ص ١٦٤) لحد العقل الفعال عنده أما عند الفلاسفة مثل ابن سينا « كتاب النجاة » فالعقل الفعال هو الأدنى من حيث الدرجة من عقول الافلاك التى تنتهى سلسلتها إليه وهو الذى يدبر أنفسنا] [c] .

قال الافروديسى بوحدة العقل المنفعل فى كل الأشخاص ، وهذا هدم لنظرية الابدية

---

a) جاء فى الأصل « معمّى » وفضلنا تغييرها بكلمة أكثر شيوعا وأبسط . b) نعتقد أن الترجمة الدقيقة لهذه العبارة هى : « الأساس التاريخى للإستجابة (أو لرد الفعل) عند الكائن الحى) . c) جاءت فى الهامش .

---

[٨٤] ينتشر إستخدام تعبير العقـل كترجمة لتعبير «intellect passif» وترجمته الدقيقة العقل السلبى إذ كيف يكون هذا منفعلا وارسطو نفسه يقول عنه انه « لا ينفعل مع قدرته على قبول الصورة » وذلك فى كتاب النفس (الكتاب الثالث - ٤ - ٤٢٩ ب سطر ١٦) .

الشخصية «immortalité personnelle» وللثواب والعقاب فى الآخرة ، لأن كل العواطف والأعمال الشخصية راجعة الى العقل المنفعل ، وهو إستعداد الشخص لإنطباع التصورات فى القوة الذاكرة والحافظة . أما العقل الفعال الأبدى فما فيه شخصية لأنه جملة المبادىء العقلية الكلية فقط من حيث هى كلية . وكان ابن اشد يعتقد بأفضلية شرح الأفروديسى على شرح ثامسطيوس لتبيان رأى ارسطو ، ولذلك كتب سيجر دى برابنت «Siger de Brabant» وهو رئيس تلاميذ ابن رشد فى الغرب اللاتينى (وتوفى سنة ٢٨٢ ب.م) . كتابه فى وحدة العقل «de unitate intellectus» .

كان مذهب ارسطو فى مسألة العقل مذهبا منطقيا مبنيا على براهين منطقية فقط فلما جاء أفلوطين وهو مجدد مذهب أفلاطون خلط مسألة العقل مع إفتراضات فى الفيوضات الإلهية . وعند أفلوطين البارى والعقل والنفس ثلاث درجات فى فيض الذات الالهية . العقل الكلى هو أول ما فاض من البارى ، والنفس الكلية هى فيض فاض من العقل الأول الكلى ، وهذا بعينه هو مذهب الباطنية فى القرون الأول والثانى والثالث .

ولما أراد الفارابى تحقيق إتصال الفلسفة مع دين الإسلام بتساوى المصطلحين زعم أن اللوح المحفوظ هو النفس والقلم هو العقل .

وعند المتصوفين المتفلسفين فى القرن الثالث مثل ابن عطاء (المتوفى سنة ٣٠٩) العقل آلة للعبودية ، لا للإشراق على الربوبية . وقصد الصوفية هو ذلك الإشراق ، وهذا سبب كراهيتهم القديمة للعقليات عكس المعتزلة . وكانوا يفضلون الروح الناطقة ويذمون العقل . واعترض عِليهم الفقهاء لتفضيلهم المعرفة على العلم أى الروح على العقل .

أما الصوفية المتأخرون مثل ابن عربى فإنهم يجمعون بين العقل والروح .

ولتاريخ معانى العقل أزمنة ثلاثة :

١) عند اليونان .

٢) عند الصوفية الأولى .

٣) عند الصوفية المتأخرين .

أما فى الغرب فعند «Descartes» أن العقل المنفعل غير موجود ، ولا يوجد إلا العقل الفعال

فقط . والنتيجة عنده أن الحيوان آلى فقط أى ميكانيكى «animal machine» وهذا مذهب الـ «rationalisme» . وكان ليبنتز ينتقده فى نظريته « أقدمية التأليف » «harmonie préétablie» [a] .

وفى مذهب أصحاب التجارب أى «empiristes» أن الكليات مقتبسة من التجارب لا من العقل وأن العقل فى ذاته غير موجود بل هو موجود نتيجة التجارب . ومن أقطابه «Mill» ، و «Spencer» ، و «Loche» ، و «Hume» و «Concillac» ، و «Protagoras» . قال «William James» مؤسس مذهب الـ «pragmatisme» « العمل » ، إن أصل القوانين العقلية تنازع البقاء والانتخاب الطبيعى ولا نحكم على شىء بالعقل أنه خير أو شر بل نقول إن هذا أنسب . وعنده أن دليل الحق هو مايمكن إستعماله «workableness» وسنفهم أهمية حد العقل فى مسألة ماهية الحق .

---

a) ربما تكون الترجمة الدقيقة لتعبير «harmonie préetablie» هى التآلف (أو الإنسجام) القائم قبلا .

المحاضرة الحادية والعشرون
الروح الناطقة والكلام – أصل اللغات

١ – الروح الناطقة والكلام .

تاريخ لفظ الروح – الروح فى اللغات السامية (راجع العبرى) بمعنى الريح نعنى به حركة خفيفة ، أى حركة محضة ، وفعل مجرد ، فعل بسيط . هناك صله بين علم النفس وعلم مابعد الطبيعية .

فى سورة الإسراء آيه ٨٤ أن « الروح من أمر ربى » .

فى فلسفة اليونان للروح معنيان :

١) جسم خفيف يجرى فى الأوردة ، وهو أصل الحياة .

٢) جوهر مجرد عن المادة ، وهو غير متحيز ، وهو صورة الجسم فى المعنى الأول يسمى «pneuma» وفى المعنى الثانى يسمى «pneuma» أيضا أو «psyché» . نظرية الروح عند النصارى بمعنى الأقنوم الثانى (الروح القدس) وعند فلاسفة المسلمين هى بمعنى كل جوهر مجرد مثل الملائكة الروحانيون (أى أرواح النجوم والسماوات) . وفى الإنسان الروح متيقن بداهة الشعور والوجدان .

مشكلات الروح :

١) تعلقه بالبدن الحى وهذه هى مسألة الحلول . وليراجع هنا البحث المشهور فى ذلك المنسوب للغزالى « فى المضنون الصغير » ، وهو كما قال ابن عربى من تأليفات أبى على المسفرّ السبتى المتوفى بعد الستمائه .

٢) حالة الأرواح المفارقة عن الأجسام : قال الأشعرى : « يموت الروح مع الجسم واحياؤه معه » . [راجع فخر الدين الرازى وابن القيم الجوزية فى مادية الروح] .

٣) وحدة الروح عند الانسانية : قال النظام الروح جنس واحد (الفرق ص ١١٩) [a] [راجع نظرية «Crookes» [b] .

---

a) البغدادى : الفرق بين الفرق السابع ذكره   b) جاءت فى الهامش .

٤) اثنينية [a] الذات الإنسانية : قال ابن خابط . بالقالب (وهو الجسم) ، والقلب (وهو الروح) ؛ وقال الحلاج بالطول والعرض .

٥) حقيقة الانسان : قال النظام « الانسان هو الروح » وهذا ماقاله أيضا مذهب البكرية (الفرق ص ٢٠٠) . وهذا هو عين مذهب Descartes بخلاف نظرية اثنينية الصورة (وهى الروح) والهيولى (وهو الجسم) . [راجع التفسير الكبير للرازى ج ٥ ص ٤٤٨) [b] .

٦) مشكلة الروح الناطقة بمعنى الـ «logos» فى اليونان وفيها الآراء المشهورة . راجع «Philon» وبداية إنجيل القديس يوحنا وتاسوعات افلوطين «Plotin» . ومن تأثير اختلاف المذاهب القديمة فى الـ «logos» جاءت مناقشات المتكلمين الاسلاميين فى « كلام الله » .

تاريخ مسألة « كلام الله » :

(١) قالت المعتزلة والحنابلة أن « كلام الله هو نص القرآن » . وهو مخلوق عند المعتزلة وغير مخلوق عند الحنابلة .

(٢) قال ابن كرّام بل نميز بين « الكلام » غير المخلوق و « القول » الذى أحدثه الله فى ذاته . [الأشعرى هو الأول فى متكلمى أهل السنة الذى أشار الى « الصفات السبع وهى عنده : قدرة - علم - حياة - سمع - بصر - كلام - ارادة حرة - راجع تبصرة العوام لابن الدامى الأمامى (ص ٣٩٦) - وقال الحلاج إن اسماء الله من حيث الادراك اسم ومن حيث الحق حقيقة] [c] .

(٣) قال ابن كُلّاب : « كلام الله غير مخلوق » بمعنى الكلام النفسى فقط وهذا ما إختاره الأشعرى لكن زاد عليه ابن كُلّاب والقلانسى بنظرية « الكلام النفسى قائم بالذات » مثل الأقنوم الثانى عند النصارى .

٢ - مسألة الاسم والتسمية والمسمى

ظهرت فى تاريخ الأمة الإسلامية لاختلاف المذاهب فى تسمية المؤمن صاحب الكبيرة كافرا أو منافقا أو فاسقا أو مؤمنا . قالت الحنابلة الاسم هو المسمى وهذا هو الـ «réalisme» . وقالت المعتزلة الاسم هو التسمية وهذا هو الـ «nominalisme» . وقال الأشعرى بل الاسم غير المسمى وغير التسمية وهذا هو الـ «conceptualisme» .

---

a) اصبح مصطلح « الثنائية » هو المستعمل حاليا .   b) جاء فى الهامش .   b) جاءت كل هذه الفقرة فى الهامش بخط الاستاذ ماسينيون .

بيان المذاهب الغربية :

١) «nominalisme» : الاسم اى المعنى لفظ فقط ، وهو تسمية بلا وجود حقيقى (مذهب «Occam» و «Mill») .

٢) «conceptualisme» الاسم صورة ضرورية للعقليات وله وجود حقيقى فى الذهن . هذا مذهب «Abélard» و «Kant» (ابيلار وكانت) .

٣) «Réalisme» :

(١) الاسم هو الشيء المسمى مطلقا (وهذا إعتقاد أصحاب السحر والطلسمات)[a] . وهذا مذهب هيجل «Hegel» وأصحاب الوحدة المطلقة مثل «Bradley» (راجع كتاب «Appearance and reality») .

(٢) الاسم هو الكلى المطبوع على الشيء وهو أصل الشخصية الحقيقية ولكن لا وجود له قبل الإنطباع «principe d'individualité» [b] . وهذا مذهب «St Thomas d'Aquin» .

(٣) الاسم له وجود خاص خارج عن الشيء وهذا مذهب Platon [عالم المثل] و Descartes [les idées claires] .

أما فى مذهب النحويين فلهذه المسألة شكل آخر وهو : مسألة دلالة الألفاظ على المعانى (راجع آيات الكتاب سورة البقرة آية ٢٩ – والرحمٰن آية ٣) .

١) بذواتها (réalisme absolu) : قال عباد بن سليمان « دالة بذواتها » .

٢) دالة بوضع الله [مذهب التوقيف أى أن الله أوقف الناس على اللغات بتعليم الانبياء وهذا رأى ابن فارس النحوى . ورأى «De Bonald» فى الغرب (اللغة شرط للتفكر)] . راجع المزهر للسيوطى ص ١٠ – ١٥ – [c] .

٣) دالة بوضع الناس فقط (مذهب الإصطلاح أى أن كل أمة هى التى وضعت لغتها بالاصطلاح على الفاظ جعلتها بارزة المعانى . وهذا هو مذهب الـ nominalistes والمعتزلة وابن جنّى .

٤) البعض بوضع الله والبعض بوضع الناس . وهذا هو مذهب الاسفرائينى والغزالى وعند الغربيين يقسم هذا المذهب على الترتيب الآتى :

---

a) جاءت فى الهامش   b) نعتقد أن ترجمة هذا التعبير هو « مبدأ الفردية »   c) جاءت فى الهامش .

أ) أصل اللغات هو الوحى (الكلام اقدم من الفكر - راجع إختلاف الصوفية فى أفضلية الذكر على الفكر) وهذا هو مذهب «Héraclite» و «Bonald» .

ب) اصل اللغات هو وضع الناس ومشارطة صناعية . وهذا مذهب «Démocrite» .

جـ) أصل اللغات غريزة خاصة للإنسانية . وهذا هو مذهب «Max Müller» [٨٥] (راجع . ما قال فى وحدة اللغات الآرية) و «Renan» [٨٦] .

د) أصل اللغات ترق من لسان الحال (طبيعى) «expressions des émotions» [a] إلى لسان القول (صناعى) . وهذا مذهب «Romanès» [٨٧] تلميذ «Darwin» .

---

a) نعتقد ان ترجمتها العربية هى : « التعبيرات عن الانفعالات » .

---

(٨٥) كما جاء فى مؤلفه «Science of language» .

(٨٦) مؤلفات رينان المشار إليها هنا هى : «Histoire générale des langues-sémétiques» ، و «De l'origine du language» .

(٨٧) عالم بيولوجى انجليزى (١٨٤٨ - ١٨٩٤) كتب عن نظريتى التطور والوراثة .

المحاضرة الثانية والعشرون
العشق والمحبة

١ – العشق الطبيعى : «amour physique»

١) لسان حال العشاق [راجع « انيس العشاق » لشرف الدين رامى] للعشق درجات سبع فى مذهب ستاندال «Stendhal» (راجع كتابه «De l'amour» « فى الحب ») وهى :

(١) التعجب «admiration simple» [a] .

(٢) الحنان «admiration»tendre» [b] ، «kindness» .

(٣) الرجاء «espérance» .

(٤) اللذة فى الشعور «plaisir à sentir» .

(٥) التبلور الأول (خيالى «imaginaire»)«première cristallisation» .

(٦) الشك «doute» .

(٧) التبلور الثانى .

وفى روايات الهنود مثل روايات «Kàlidàsa» تدقيق فى تسمية أحوال الارادة المائلة أى العشق . وقد قالت الشعراء ، العشق خدعة الطبيعة على الشخص لابقاء النوع بالتناسل (راجع إخوان الصفا ج ٣ ص ٦٩) . وقال روجاس «Rojas» فى الرواية الاسبانية المشهورة «La celestina» (القرن الـ ١٥) العشق سنارة الطبيعة . وهذا موافق لرأى أصحاب النشوء والارتقاء (راجع كتاب «Remy de Gourmont»[٨٨] المسمى بفزيقا الحب [c] «physique de l'amour» يذكر فيه الغرائب مثل

---

a) نعتقد أن الترجمة الدقيقة لتعبير admiration simple هى « الاعجاب البسيط » b) هذا التعبير ترجمته « الاعجاب الحنون » وليس الحنان c) جاء فى الأصل « سيكولوجيا الحب » ورأينا تغييرها على النحو المذكور .

---

[٨٨] (١٨٥٨ – ١٩١٥) كاتب فرنسى وروائى استخدم اسما مستعارا هو Richard de bury عند ما شارك فى الكتابة الى مجلة Mercure de France أهم أعماله «La culture des idées» .

موت زهرة «Vallisneria» المذكرة لتلقيح زوجتها على وجه الماء ، وموت العنكبوت المذكر المفترس بواسطة زوجته فى وقت الجمع) . ولكن العشق الطبيعى أقل درجة فى الحب . وقد شرح أفلاطون هذه المسألة أحسن شرح فى رسالة النادى «Symposium» أو «Banquet» [a] وبين فيها تدرج النفس فى مقامات الحب . راجع أيضا فى رسائل إخوان الصفا الأبيات المشهورة لابن الرومى (ج ٣ ص ٦٤ — ٦٦) فى عجز العشق الطبيعى وشدة الشوق الى الاتحاد الحقيقى .

أعانقها والنفس بعد مشوقه   اليها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاها كى تزول صبابتى   فيزداد ماألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله   سوى أن يرى روحان ممتزجان

المذاهب فى اصل العشق [راجع كتاب « الزهرة » لابن داود الاصفهانى (وقد مات سنة ٢٩٧ هـ وهو ابن مؤسس مذهب الظاهرية] :

(١) مذهب المغناطيس (المذكور فى «النادى» [b] لأفلاطون) فى الأبيات المشهورة لجميل العذرى :

تعلق روحى روحها قبل خلقنا   ومن بعد ما كنا نطافا وفى المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا   وليس اذا متنا من انتصاف العهد
ولكنه باق على كل حادث   وزائرنا فى ظلمة والقبر واللحد

(٢) مذهب طالع النجوم (تسديس أو تربيع) وهذا مذهب بطليموس .

(٣) مذهب الطبائع (الحزن من السوداء يحترق بها الدم والصفراء) وهذا مذهب جالينوس .

(٤) أصل الحب الهى (راجع البحث الثالث) .

٢ – الحب العذرى «amour platonique» [c] .

حكاية القبيلة (بنى عذرة) :

مشهورة قوم اذا عشقوا ماتوا   لأن فى نسائهم صباحة وفى فتيانهم عفة

---

a) يسمى الاستاذ ماسينيون محاورة المأدبة برسالة النادى وهو ما لم يجر العرف عليه .   b) المأدبة   c) الحب العذرى هو المقابل للحب الأفلاطونى .

وراجع الحديث : « من عشق فكتم وعف وصبر ومات فمات شهيدا » . (جمع له ابن الجوزى فى الباب الثامن والعشرون من كتابه ذم الهوى ١٢ اسنادا) . قال ابن داوود الأصفهانى الظاهرى على هذا المذهب بالتفرقة بين اللذة المحظورة والنظر المباح (وهذا فاسد) وأنشد شعرا :

أحب الى من الصبر عنك فؤاد جريح وطـــرف قريح
اذا ما سألتك عطفـــا تريح به مهجتى فأنـــا المستـــريح
ولا تنجز الوعد خوف السلوى فأنـــا على زفـــرتى شحيـــح

ومذهب العذرين هو عين مذهب شعراء القرون المتوسطة المسمى بـ «amour courtois» . وقد بين «Ribeiro»[a] حقيقة إقتباسه من العرب ، فى زمان ابن قزمان القربى . ومن أشهر عذرىّ الغرب «Guido Guinizelli» وهو أستاذ «Dante» و «Dante» نفسه فى ديوانه «Vita Nova» و «Jaufra Rudel» الذى مات من حبه للملكة «Mélisanda» وهى فى طرابلس الشام وهو فى فرنسا .

٣ – المحبة فى الصوفيه «amour mystique» [b]

قال ابن داوود الأصفهانى فى كتاب « الزهرة » : « وقد زعم بعض المتصوفين ان الله جل ثناؤه انما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه وليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستبدلوا بذلك على قدر طاعة الله عز وجل اذ كان لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج اليهم ورازقهم مبتديا غير ممتن عليهم فإن أوجبوا على أنفسهم طاعة من سواه كان هو تعالى أحرى بأن يتبع رضاه » . (وقد سرق منه المسعودى هذا البحث فى المروج ج ٨ ص ٣٨٤) والمتصوف المومأ إليه هذا هو أبو حمزة البغدادى وهو الأول الذى تكلم ظاهرا فى وجوب الحب الإلهى بخلاف الفقهاء (عندهم الحب بمعنى المجد) . وكان فى مذهبه نوع من الخطر وهو اباحة النظر إلى الوجوه الجميلة ومن تلاميذه من كان يسجد لكل صورة حسنة (مذهب الحلمانيين) .

المذهب الثانى فى المحبة مذهب الحلاج وهو شهيد المحبة وقتيل الإشتياق . والمحبه عنده ذات

---

a) جاء فى الأصل أنه «Ribera» وفى الحقيقة هو Ribeiro (Bernardim) (١٤٨٢ – ١٥٥٢) شاعر وكاتب برتغالى ، جدد فى الشعر أهم رواياته «Book of yearnings» و «Menina e Moca» .

b) هذا التعبير ترجمته الدقيق « الحب الصوفى » .

الذات الإلهية ومحبة العبد الى الرب عز وجل أفضل عملا من الإيمان بالله (بخلاف الرأى العام عند العلماء فى زمانه) [راجع كتاب الشطحيات لروزبهان البقلى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ) . وقد أشار الى حقيقة مذهبه علما بأشعاره وعملاً فى محنته وصلبه على الخشبة فى بغداد وهو القائل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتنى ابصرته واذا أبصرته ابصرتنا

وله أيضا :

لم اسلم النفس للاسقام تتلفها لعلمى بأن الوصل يحييها
ونظرة منك ياسؤلى ويا أملى أشهى إلىّ من الدنيا وما فيها
نفس المحب على الآلام صابرة لعل متلفها يوما بعداويها

وله :

لبيك لبيك ياسرى ونجواى لبيك لبيك ياقصدى ومعناى
ادعوك بل أنت تدعونى إليك فهل ناديت اياك ام ناديت اياى

وله :

يالائمى فى هواه كم تلوم فلو عنيت منه الذى عنيت لم تلم
للناس حج ولى حج الى سكنى فهدى الأضاحى واهدى مهجتى ودمى
تطوف بالبيت قوم لا بجارحة بالله طافوا فأغناهم عن الحرم

ومن المهم أنه لا يوجد فى شعره مع شدة الشوق إشارات إلى محاسن النساء أو الغلمان مثلما يوجد فى أكثر رباعيات أبى سعيد بن أبى الخير وشعره حب صرف ، مجرد وذاتى .

المذهب الثالث هو مذهب الامام الغزالى (راجع فى الأحياء ج ٤ ص ٢١٤) : الباب فى البيان ان المستحق للمحبة هو الله وحده ولذلك شرح دلائل أربعة والدليل الرابع هو « حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال » المذهب الرابع مذهب المصرى ابن الفارض وقصائده مثل « نظم السلوى » أشهر من أن يذكر إلا ابتداؤها « شربنا على ذكر الحبيب » ، و « هو الحب فأسلم بالحشا » وفوقها كلها الآتية :

قلبى يحدثنى بأنك متلفى روحى فداك عرفت أم لم تعرف

أما من حكم الصوفية فى المحبة الحكم الآتية للجنيد : « المحبة دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب » (الرسالة للقشيرى ج ٤ ص ٩٠) ولأبى يعقوب السوسى « لاتصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة » [رسالة القشيرى أيضا ج ٤ ص ٩٨] قيل للنصراباذى ليس لك من المحبة شيء فقال صدقوا ولكن لى حسراتهم فهو إذا احترق فيه (أى فى الله) [رسالة القشيرى ج ٤ ص ٩٤) .

إنتسب للمحبة فى مذاهب الصوفية الالحاد من جهتين :

١) من جهة الاباحة والقول بإسقاط الشريعة ولكن كما قال التسترى « الحب معانقة الطاعة » وكما قال الحلاج : « الأمر عين الجمع » .

٢) من جهة الوحدة والقول بالفناء المطلق على مذهب ابن عربى وكان ابن الفارض يميل إلى ذلك ولكن حقيقة المحبة تفرقة المحب من المحبوب لابقاء المحبة وتفرقة المخلوق من الخالق لإبقاء وجوده وقوامه لأنه « وجودنا سنة وقوامنا به » . « فلمن كان له قلب أو لقى السمع فهو شهيد » (الآية) .

ونختم بإقتباسات التوراة من نشيد الأنشاد «Cantique des cantiques» ، ترجمة أبى على البصرى فصل ٨ باب ٦ « اجعلى كالخاتم على قلبك كالخاتم على ذراعك فإن المحبة قوية مثل الموت والمحبة ، صعبة مثل الثرى الغيرة وشرارها كشرر نار ملتهبة المياه الكثيرة لاتقدر على اطفاء المحبة والأنهر لا تجرفها وأن يعط الإنسان كل مال بيته بالمحبة حقرية يحقرون له » [a] .

---

a) لغموض النص المذكور هنا نرى ذكر النص الذى ظبطته « جمعية التوراة البريطانية والأجنبية » : الاصحاح الثامن الآية ٦ و ٧ : « واجعلنى كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك لأن المحبة قوة كالموت . الغيرة قاسية كالهاوية لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها . إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا » .

المحاضرة الثالثة والعشرون
فى العلوم الاجتماعية

الفلسفة فى المسائل الاجتماعية فائدتها ظاهرة وذلك لأنها كيفية نسبة الناس والأشياء الخارجية .

بعض الناس من ينكر العلوم الاجتماعية ولذلك ننظر أولا إلى الآراء القديمة التى تسمى بالأخلاق أو بالأدب (ولكن الأدب اصطلاح عربى صرف ولا يقبل الترجمة بكلمة من كلمات اللغات الغربية) .

الأخلاق : بالانجليزية «ethics» وبالفرنسية «morale» وبالألمانية «sittenlehne» وباليونانية «ethica» .

كانوا قديما ينظرون إلى أخلاق الأشخاص فابتداء العلوم الاجتماعية قديما كانت فى الأخلاق أى فى الفضائل والرذائل والقوة الإنسانية من حيث شهواتها وغير ذلك فلا يمكننا أن نمسك عليهم مذهبا خاصا فى الاجتماعيات لأنهم أخلاقيون محض .

إن بعض الناس من يدخل الأخلاقيات فى علم النفس ولكن الأصوب أن تكون فى الاجتماعيات .

ومن الإصطلاحات الأخلاقية : «Obligation» أى تكليف أو تعهد [a] ومعناه الإجبار الأدبى بشرط الحرية النفسية .

المذاهب فى الأخلاق :

١) عند اليونان أولهم السفسطائية مثل الفيلسوف « جورجياس » : لكثرة الإختلاف بين المذاهب الفلسفية ظهر بعض الشك فى نفوس الناس فى فائدة الإشتغال بالمسائل الفلسفية كالطبيعيات والرياضيات وذلك لأن أكثر الكلام فى الفلسفة عند الفلاسفة لقصد الفائدة الحقيقية .

---

a) كلمة Obligation تترجم عادة الآن بالإلزام .

ولذلك قال Gorgias بوجوب البحث فى الأخلاقيات حتى نحصل على الفائدة . وهؤلاء هم السفسطائية . ولذلك فإنه وان كان سقراط ضد السوفسطانية فإنه تلميذهم ، لأنه ترك المسائل والبحث فى المبادىء الفلسفية الطبيعية والتفت إلى ماينجم عن الفائدة من الفلسفة وهى الأخلاق . والفائدة عند سقراط أعلى منزلة من الفائدة عند السوفسطائية فهى حقيقة الخير المعلق . ثم جاء بعد سقراط أفلاطون وأرسطو ثم جاءت الفلاسفة الذين يختلفون فى معنى الفائدة فقال بعضهم إن الفائدة هى اللذة ومنهم «Hegesias» (هيجسياس) وهو من برقة ، وضدهم الكلبين «Cyniques» ومنهم «Diogène» ديوجين ، والأفضل عنده الاجتهاد بالفكر . أما على الترتيب المنطقى فى المذاهب الفلسفية فى علم الاخلاق فالترتيب الحديث هو :

المذاهب فى الأخلاق :

١) الطبيعيون : ومنهم «Epicure» أبيقور الذى قيل إنه من أصحاب مذهب اللذة الشخصية ولكن هذا ليس بصحيح . وهو يقول إن فائدة الانسان هى لذة الأعضاء لذة منتظمة . فالإنسان بفعل اللذات ولكن بترتيب ونظام وهذا « أدب اللذات » .

ويذكر ثلاثة أشياء فى الشوق :

(١) الشوق الطبيعى الضرورى .

(٢) الشوق الطبيعى اللاضرورى .

(٣) الشوق المباح neutre .

ومنهم «Bentham» ومذهبه المنفعة : يعمل الإنسان بكيفية خاصة ويمكن أن يوجد ترتيب اجتماعى بكمية مخصوصة ويكون لكل واحد قسم وحصة . وكذلك مذهب أهل الصين : «Confusius» . ويسمى هذا « بكمية اللذة » ، ويقانون حساب اللأنانية الجماعية [a] «égoisme collectif» .

---

a) جاء فى الأصل « الأنانية الأكثرية » وهى ترجمة غريبة .

أما «Stuart Mill» ستيوارت ميل فيرى أن أصلها كيفية اللذات وهى مرتبة فى طبقات وفقا لرأى أصحاب الاختصاص «gens compétents» . ويقول سبنسر «Spencer» . إن فى إجتماع جماعة من الناس تتحق روح إجتماعية «hyperzoaire» تنقسم بتفرقهم . فأصل الأخلاق عند الإنسان من روح الجماعات . وهذا مذهب أدب الترقى «progrès» الذى يقول بتغير مادة الفضائل والرذائل على مرور الدهور .

٢) مذاهب مابعد الطبيعة : منهم أفلاطون الذى يقول إن كل إنسان يقلد الخير المطلق بالعدل ، وهذا العدل هو استعمال الفضائل الثلاث وهى الحكمة «nous» والشجاعة والعفة «tempérance» [a] ، ومنهم كذلك الهنود مع « نظرية فناء الانفعال » بوساطة مشاهدة الفضائل الثلاث «guinà» .

ومنهم أرسطو الذى يقول إن الخير ثلاثة أصناف :

(١) الخير الحيوانى أى اللذة .

(٢) الخير العقلى أى الفضيلة (أى الوساطة) .

(٣) الخير الاجتماعى أى الصداقة .

٣) مذاهب الأدب الصورى : «morale formelle»

منهم اصحاب الرواق stoiciens الذين لا ينظرون إلى الأخلاق وقوانينها من حيث الخير المطلق والمنفعة وغيرها ولكن ينظرون إلى حال الموافقة التامة بين الارادة الشخصية وقوانين الطبيعة وماهى إلا عقلهم المجرد . ومن هؤلاء «Marc Aurèle» الذى يقول : وما هذا المذهب كما قيل إلا « حب الذات خاليا من المنفعة » (فناء الارادات) ومنهم «Kant» (impératif catégorique) وعنده مبدأ الوظيفة القطعية ، وهذا قريب من مذهب أصحاب الرواق وذلك إن الوظيفة وظيفة فقط بدون سبب عقلى ولا غاية مفهومة .

٤) مذاهب الأدب الاجتماعى «morale sociologique» أو مذهب «Durkheim»

---

a) تترجم tempérance الآن بالاعتدال وهذه الترجمة التى يعطيها لنا ماسينيون ربما تكون هى المستعملة فى ترجمات العرب القديمة .

« دوركايم » . وهذا نهاية نظرية «Spencer» فى سلطة الروح على الأشخاص . فعلى أصول Durkheim أن الجانى ليس بجانى بل الأمة كلها مجرَّمة . وكما قيل فى مثل مشهور (موت (d'Assas) إنه لا فرق بين شهادة الشهيد «martyre» وانتحار المنتحر «suicide» ، وهذا انهدام لكل القوانين المحكمة فى المدينة الحاضرة والتمسك بمسئولية الشخص دون الجماعة . وهذا رجوع إلى قانون الدية العامة .

المحاضرة الرابعة والعشرون
فى العلوم الاجتماعية (تكملة)

١ – علم الاجتماع :

ولو أن القول بالعلوم الاجتماعية حديث إلا أنه قد بحث فيه قبل ذلك . الكلمة الأفرنجية «sociology» من اختراع «Auguste Comte» الذى وضع كتابا أسماه «Discours sur l'esprit primitif» ومعناه « مقالات فى العقل البدائى » [a] . وهذا هو أول ما وضعه فى العلوم الاجتماعية . وقد نظر «Comte» إلى الاجتماع من حيث هو إجتماع لا بالنظر إلى شىء آخر كالاخلاق أو التاريخ أو غيرهما . وقد كان اليونان يسمون هذا المعنى « بالحكمة العملية » ومنها « الأخلاق » ، وتدبير المنزل و« السياسة المدنية » . وكما ذكر الحاجى خليفة فى « كشف الظنون » [b] ، علم السياسات وفعلها منها سياسة النبوة والسياسة المليكية والسياسة المدنية والسياسة الخاصة أى تدبير المنزل وسياسة الذات أى الأخلاق .

وقد قيل فى عصر «Comte» ، إنه لايمكن تأسيس علم مستقل بقوانين فى الإجتماع لوجود الاختيار فى الارادة الشخصية .

وهذا الاعتراض أصبح غير معقول لأن علم الاجتماع أصبح معروفا ، وله قوانين ظاهرة إقتصادية مثل قانون Goeshan [٨٩] « يغلب الزيف على النقد الصحيح » .

ومن المذاهب فى معنى العلوم الاجتماعية ما يأتى :

١) مذهب «Montesquieu» و «Buckle» اللذين يقولان إن الإجتماع يتأثر بالوسط الطبيعى ، بالوضع الجغرافى مثلا .

---

a) جاء فى الأصل « مقالات فى الأفكار » ورأينا تغييرها على النحو المذكور .   b) المقصود هنا بالطبع « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » .

---

[٨٩] هو جورج جوشن (١٨٣١ – ١٩٠٧) السياسى المالى الانجليزى الذى ساهم فى وضع خطة لتنظيم الديون المصرية (١٨٧٦) ، وكان من أنصار حرية التجارة .

٢) مذهب «Spencer» وهو مذهب الـ «Organisme» أى المذهب العضوى الذى يقول ، إن الأحوال الاجتماعية مثلها كمثل جسم الإنسان الذى له روح ، فكل جماعة لها روح خاصة على أساس خاص .

ومن تشبيهاته مايأتى :

ان الخلية = الشخص .

النسيج المنظم [a] «tissu animatif» = العائلة .

المدينة = العضلات .

دورة الخيبوس = التجارة .

دورة الدم = الصناعة .

دورة عصبية عضوية «système du grand sympathique» = الطبقات والشركات .

الأعصاب = الحكومة .

مركز المخ = العقائد .

٣) المذهب النفسانى : «psychologique» وهو القائل بأن الأصل فى الاجتماع هو النفس وهو فرقتان :

(١) فرقة تذهب إلى أن الاجتماع يحدث نتيجة لتهيجات نفسية (راجع كتاب Le Bon « روح الاجتماع » «psychologie des foules» .

(٢) وفرقة تذهب إلى أن حياة الاجتماع إنما هى نتيجة جهد العقول ، وأصحابها ينظرون نظر المصلحين ويرون إمكان الترقى الإجتماعى بإجتهاد العلماء (نظرية الرابطة الاجتماعية عند روسو «Roussean») .

٢ - الرابطة الاجتماعية : «lien social» أو «bund» (بالألمانية) .

يقول بعض الفلاسفة إن الرابطة الإجتماعية أصلها الإقتصاد وتقسيم الأشغال «division du travail» [b] . وآخرون يقولون إن أصلها السياسة فى الحكومة لأن الحكومة هى جمع القوة (الجند)

---

a) الترجمة الدقيقة لهذا التعبير نعتقد أنها « النسيج المحرك »

b) أصبح من المتفق عليه الآن أن هذا المصطلح يترجم « بتقسيم العمل » .

للدفاع عن الطبيعة (راجع مذهب أفلاطون فى الاشتراكية «communisme») .

ومنهم مذهب الأصوليين أو المشرعين القائلين بأن أصل الرابطة الاجتماعية هو المعاونة المتبادلة «aide mutuelle» .

ومنهم مذهب النفسانيين القائلين بأن الرابطة أصلها التضامن «solidarité» والألفة كما قالت «Antigone» فى رواية «Sophocles» « خلقت للألفة لا للتباغض » (بيت ٨٣٠) .

٣ - الاصطلاحات : الفقه (التشريع)

يقال فى مذهب النشوء والارتقاء إن ميل النشوء من حال الحكم «statut» إلى حال التعهد «contrat» . (وهذا مذهب «Spencer» سبنسر) ، أو من تقليد الأعلى إلى مبادلة التقليد بين الأسواء (وهذا مذهب «Tarde» تارد) ، أو من إنتزاع حربى إلى مزاحمة صلحية (وهذا مذهب «Novicou» نوفيكو) .

وقد أسس مذهب النشوء أفكارا جديدة فى تاريخ الفقه وأصل التشريع . فمثلا فى تاريخ مسألة عقوبة القتل :

١) مسئولية جملة عائلة القاتل فى الانتقام

٢) تشخيص المسئولية للقاتل وحده ومنع الحروب الانتقامية بين العائلات (دفع الدية لعائلة القتيل والجزء النقدى للحكومة ... الخ) .

مسألة القصاص «talion» والمبادلة «échange» والعرض «honneur» أو الشرف (اعمل أنت بمقتضى طبيعتك) .

ويوجد أيضا فى المصطلح الفقهى اصطلاح مهم وهو الـ «valeur» أى القيمة . والقيمة قيمتان : قيمة الاستعمال «valeur d'usage» (الخبز للجائع) وقيمة المبادلة «valeur d'usage» (الخبز للبائع أى الخباز) . وهذا أصل علم الاقتصاد مع العرض والطلب «offre et demande» .

ويزعم الآن بعض علماء العلوم الاجتماعية مثل دوركايم أن اصطلاحات الفقه الآن

أفسدت [a] بخيالات فلسفية مثل ذكر الشخصية وتحقيق مسئولية الشخص فى قانون الجنايات وغير ذلك .

والنظر فى اصطلاحات الفقه عند المسلمين يكون فى مسائل الاجماع (والنص آية وحديث) . والرأى والقياس والإستحسان (الحنفية) والاستصلاح (المالكية) والاجتهاد والاختلاف .

٤ - معانى العدل :

(راجع الفارابى « آراء أهل المدينة الفاضلة - طبع مصر ص ١١٢) عند القدماء الالهيين منهم أن العدل صفة من صفات الإله وعند أكثر المتأخرين أنه من فعل الناس أى ترق فى عقول الناس من القوانين القديمة الى قوانين جديدة . وقد بين «Platon» فى كتابه (القوانين) الباب ٧ الفرق بين حدّى العدل ، وفضل الأقدم ، وذلك بالكلمة المشهورة «agripha nomina» أى القوانين الحقيقية الغير مكتوبة (راجع : «J. de Maistre» : [٩٠] «Essai sur le principe générateur des constitutions politiques»

١) وأول من وضع هذه الكلمة عند المسلمين هم المعتزلة لأنه هو الركن الأول للأحكام الأربعة عندهم : « الله لا يحب الفساد » . وكان مذهب الأشاعرة ضدهم ورأى ابن رشد فى مسألة العدل قريب لرأى المعتزلة (راجع كلام محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتاب الدعوة الاسلامية . طبع بغداد ١٣٢٨ هـ ص ٢٠٩) وقيل العدل بمعنى وضع الشيء فى محله وإعطاء الحق لمستحقه وكما قد قال ابن برجان السالمى : « العدل هو المخلوق به » . وهذا الاختلاف مشهور بين الأشاعرة وأهل السنة والامامية وغيرهم .

٢) ومصطلح الأنصارى ابن زكريا هو ان العدل مصدره من العدالة وهى الاعتدال والثبات على الحق (راجع اللؤلؤ النظيم فى دوم التعلم والتعليم ص ٢٣) .

٣) الغزالى ميزان العمل ص ٩٠ قال العدل هو حالة للقوى الثلاث (وذلك راجع إلى مذهب

---

a) جاء فى الأصل « منفسدة » وهى تعبير غير شائع .

---

[٩٠] (١٨٥٤ - ١٨٢١) كاتب فرنسى ودبلوماسى عارض بشدة فلسفة القرن الثامن عشر وكان ملكيا متعصبا .

أفلاطون) : الحكمة والشجاعة والفقه . وقال الغزالى فى ميزان العمل : العدل فى المعاملة وسط (راجع أرسطو : «Méson») بين رذيلتى الغبن والتغابن .

٤) العدل السالبى وهو البدء من التكليف أى أن ندفع الحق الذى علينا وهذا ليس بكافى لإبقاء الحياة الاجتماعية . والعدل الموجبى [a] «justice positive» هو حب الكمال لله وهدية فى سبيل الله والبذل والإيثار بدون نظر إلى الجزاء . وهذا أصل الحياة الاجتماعية الحقيقية . أما من المشكلات المشهورة للفيلسوف فى مسألة العدل فهى هل ثمة فضلية النظام الأمة على العدل للشخص أم لا . وقد دُقق فيها بفرنسا فى زمان قضية القائد «Dreyfus» . وكان الفيلسوف الوضعى «positiviste» «Maurras» يقول بأفضلية النظام العام . والاصح ماقاله «Chesterton» من أن العدل للشخص أفضل من النظام للأمة . «Justice for individual is more important than discipline for society» .

a) نعتقد أن الترجمة الدقيقة لهذا التعبير هى « العدل الايجابى » .

المحاضرة الخامسة والعشرون
الأمة والحكومة

١ - كلمة الأمة :

هى من الإصطلاحات العربية

آراء الفلاسفة : الأمة جملة من الناس تجمعهم جامعة . فمنهم من يقول إن الجامعة هى اللسان والنسب . ومنهم من يقول ان الجامعة المكان ومن ذلك مسألة الوطن التى تقلد فيها مصر الغربيين وين الغربيين تأسست تلك المسألة منذ ٥٠٠ سنة ؛ ومنهم من يقول إن الجامعة هى الشرائع ؛ كما أعتبر فى إهداء حقوق المدنية الرومانية تدرجا إلى سكان العالم الرومانى فى عهد الامبراطوريين .

ولكل من هذه الآراء براهين تثبتها فلاسفتها . ولكن رينان قال إنه لايصح اعتبار هذه الآراء . فعن الأولى قال إن إيرلندا لا تتفق مع انجلترا . وعن الثانية إنه لايمكن أيضا لأن كثيرا ما تنتقل . وكذلك فى الثالثة فيقول إن حقيقة الأمة هى ارادة الحياة معا «La volonté de vivre ensemble» انظر : (Renan : Qu'est-ce qu'une nation? dans : «Discours et conférences-1887 n° 277, p. 310).

تخصيص معنى الأمة والضروريات للحياة الاجتماعية للأمة أو إسم الخلية الاجتماعية «cellule sociale» هو :

١) القبيلة «tribue» وهذه خلية الشعب أو الأمة «nation»

٢) ناحية أو خطة «pays» باللاتينية «pagus» وهذه خلية الوطن «patrie» .

٣) المدينة cité وهذه خلية الدولة état . والأخيرة أرقى الاصطلاحات الثلاثة لأن المدينة على برهان الاشتقاق موضع المحسب [a] والادارات والدواوين .

(١) والقبيلة تحكمها حكومة رؤساء العائلات أو الحكومة الأبوية patriarcal .

(٢) والناحية تحكمها الحكومة الإقطاعية féodal .

(٣) والمدينة تحكمها حكومة مدنية أو بلدية municipale أى جماعة أصحاب الصنائع .

---

a) المحسب هو البنك .

وهذه التقاسيم هى باعتبار الحياة الاجتماعية ، ويخرج من هذا قسمان :

١) الحكومة الجندية [a] militaire .

٢) والحكومة الدينية théocratique . وهذا الترتيب من صنع Cournot المتوفى منذ عشر سنوات .

٢ - نشوء الأمة الإسلامية :

عند السياسيين الغربيين أن أسباب نشوء الأمة الاسلامية تاريخى كما يتضح من البيان الآتى : الخوارج كانوا يعتقدون أن الأمة الإسلامية شيء واحد (انظر مبحث الخوارج فى الكامل للمبرد باب ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤) ، وقالوا : لاتكفى حالة الأمة فى عهد على وإنه يجب أن يكون كل مسلم مؤمنا ، مع وجود رابطة اجتماعية أشد تمنع النفاق قطعا ، ولكنهم طردوا من الأمة . ترى إذن أن الخوارج قد دققوا فى السياسة تدقيقا (انظر كلام الجاحظ فى ذلك [٩١]) وقد نشأ من بحثهم كثير من العلوم والفنون وهم أول فرقة اشتغلت إشتغالا أفاد . فقد كان من رأيهم المساواة بين أعضاء الأمة . نشأ من هؤلاء الزيدية المنتسبين إلى زيد بن على زين العابدين ، وهو صاحب رأى فى إتحاد الأمة ، وزيد هذا كان يريد الاتفاق بين أهل الشيعة وأهل السنة كما كانت قبل وفى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان . وهو يتفضل على علىّ بأسباب وبراهين عقلية فقط ، مثل كونه أزهد الصحابة وأتقاهم (كما هو وارد ببعض كتب الزيدية والمعتزلة) . إلا أن مسألة الاتحاد تركت عند أهل السنة والشيعة بعد ما قتل زيد بالكوفة . ومذهب الزيدية موجود إلى الآن فى اليمن ، وأهل السنة تستحسن الزيدية لأنهم أقرب اليهم من فرق أخرى من الشيعة . أكثر القضاة الحنفية فى الدولة العباسية يفضلون الدعوة الزيدية ، منهم الاشنانى ، قاضى القضاة فى بغداد فى عهد المقتدر . وللزيدية تأثير عظيم فى الفلسفة السياسية فى عهد العباسيين ، اقتبس منهم كثير من الشافعية . الباطنية : فكرة الزيدية سليمة بالنسبة إلى الدين ، وقد كان لهم فكرة الاتحاد بحق وشروط مخصوصته . أما الباطنية فقد كانوا يميلون إلى الاتحاد بين عناصر الدولة كلها مع اختلاف عقائدهم وأفكارهم . وهذا موجود إلى الآن إذا رجعنا إلى التاريخ . فعند اليونان نجد أنه قد وجدت حركة إشتراكية ضد الرق وميل عظيم إلى إتحاد العناصر . وقد كان ذلك

---

a) نعتقد أن كلمة العسكرية أفضل من الجندية هنا .

---

[٩١] نعتقد ان كتاب الجاحظ المشار اليه هنا هو « البيان والتبيين » .

سببا فى هدم الحالة السياسية القديمة فى اليونان (مثل جماعة Eleusis الدينية وميلها إلى الاتحاد) وكذلك فى أواخر الدولة الرومانية حين دخلت البرابرة هناك وتتداخلوا فى اللاتين وسببوا القضاء على الرومان ، ظهرت بعض المذاهب مثل المانوية «manichéanisme» التى تشبه المذاهب الباطنية والتى تميل إلى الإتحاد . وقد يوجد فى العالم الآن أيضا مايشبه ذلك لا سيما عند الفوضويين ومؤسس ذلك Babeuf [٩٢] . ومنهم الماسونيه لأنه وإن كان مبدأهم لا بأس به إلا أن به بعض النقص ، لأنهم يعتقدون فى وحدة نياتهم وضمائرهم المختلفة أصلا . وكما قيل فى عنوان خطوطهم «ordo ab chao» أى « صدور النظام عن ضده » [a] ومن نقائص الماسونية أن أسماء أُولى الأمر مجهولة وهم « رجال الغيب » ، وهذا نتيجة للتدرج فى كشف أسرار الجمعية وفقا للمراتب [b] . وما نشأت هذه الجمعيات والفرق إلا من تأثير الاضطهاد والظلم . وقد وجد فى مذهب الباطنية كثير من الأفاضل كإبن هانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب وغيرهما . ولذلك يدخل مثلا فى الماسونية الآن كثير من الأفاضل وهم لا يدخلون بعد التدقيق فى المبادىء وبعد معرفة الواجبات ، بل هم يتخيلون أنه فى الامكان اجتماع الاجتهادات المختلفة فى نتيجة مفيدة للإنسانية ، وهذا غير معقول لأن فى علم جرّ الأثقال يوجد مبدأ مشهور هو «principe du parallélogramme des forces» يظهر منه أن حاصل جمع القوى يكون قدره على حسب توازى القوى فى المقاصد . وتطبيقا لهذا نقول إن الحكومة قوة تحصل من إجتماع طائفة من الأمة لإمضاء مقتضيات الطبيعة على وجه يقرب من رضا الكافة (رسالة الكلم الثمان للمرصفى) .

٣ - الحكومة وعلم السياسة فى اليونان :

١) أفلاطون فى كتاب الجمهورية فى الفصل الثامن يذكر الأجناس الخمسة من الحكومة :

(١) حكومة الأفاضل عند اليونان «gouvernement aristocratique»[c] .

---

a) نعتقد ان الترجمة الدقيقة لهذا التعبير اللاتينى هى : « صدور النظام عن العماء » b) هذه العبارة جاءت فى الهامش . c) جرى العرف على تسميتها حاليا بالحكومة الارستقراطية .

---

[٩٢] هو François Noël Babeuf (١٧٦٠ - ١٧٩٧) اشتراكى فرنسى سمى نفسه Grachus Babeuf ناصر الثورة الفرنسية بشدة وأصدر جريدة La tribune du peuple وعبر فيها عن موقفة الإشتراكى وهو أول من حاول تطبيق الاشتراكية عمليا هناك مذهب يعرف باسمه هو الـ Babouvism .

(٢) حكومة الأشراف (الوجهاء) «gouvernement timocratique» .

(٣) حكومة الأغنياء «oligarchie» .

(٤) الشعب «démocratie» .

(٥) حكومة الإستبداد «tyrannie» وهو يفضل الأولى (ترتيبنا هذا من الأعلى إلى الأدنى حتى نصل إلى الأخيرة) .

٢) أرسطو فى كتابه « نظام أثينا » [a] «Constitution of Athens» وفى «Morale à Nicomaque» يقول إن الحكومات تكون :

(١) «royauté» الملكية .

(٢) «aristocratie» حكومة الأشراف .

(٣) «timocratie» [b]حكومة الملاك أو أصحاب المصالح . وهو يقول إن هذه الحكومات صالحة ولكن لها أشكال غير صالحة وهى على الترتيب :

ــ الاستبداد بالنسبة للملكية tyrannie .

ــ والأقلية بالنسبة للأشراف oligarchie .

ــ السفلية بالنسبة لحكومة الملاك «démocratie» .

٣) أما المؤرخ «Polybe» بوليب فقال فى الباب السادس من تاريخه إن للحكومة ستة أشكال ، ثلاثة عادلة وثلاثة ظالمة : الملكية والاستبداد والإشرافية والأقلية الشعبية والسفلية .

أما السياسات عند العرب فتأثير لتأليفات اليونانية لايظهر عليها إلا قليلا . راجع كتب « أخلاق الملوك وأدب السلطنة » لابن مسكويه وتأليفات الماوردى « وسياسة نامة » للوزير نظام الملك ، وإن كان التأثير ظاهرا على الفارابى فى « آراء المدنية الفاضلة » .

٤ – الخلافة والسلطنة

أما الدولة الإسلامية فليس من غرضنا الفلسفى ان ندقق فى خصوصيات وظائف خلافة

---

a) نعتقد ان الترجمة الدقيقة لهذا المؤلف وهى الشائعة الآن هى « دستور أثينا » . b) جاءت فى الأصل بالانجليزية Tymocraty ورأينا ذكرها بالفرنسية كما فعل بالنسبة لبقية الحكومات ، وهى أيضا الـ Politia .

خليفة رسول الله ، فى مسألة علامات الإمامة أو فى الحسبة (أى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) والبيعة والتفويض والمظالم ، يكفى أن نشير إلى إحتكار العناصر الثلاثة ، أى العربى للفقه ، والفارسى للدواوين ، والتركى للجند فى دولة العباسيين فالخليفة أولا إمام ، وفى إمامته الدينية إعانة من الفقهاء (وأكثرهم عرب) ، ثانيا هو سلطان ، وفى إمارته العسكرية [a] إعانة من الأمراء (وأكثرهم ترك) وهو ثالثا : ملك ، وفى مملكته إعانة من الوزراء وأصحاب الدواوين (وأكثرهم فرس) .

٥ – نظرية العقد الاجتماعى Contrat social

وقد زعم روسو ف القرن الثامن عشر ب.م. ان أصل القوانين الاجتماعية وضع عقد بين الناس بلا تكليف باختيار محض وهذه النظرية أصل الحركة الاجتماعية المدهشة المسماة « الإختلال الفرنسى » [b] «révolution française» وهى سبب تأسيس الجمهوريات ، أو على الأقل هى ذات تأييد مطلق [c] «suffrage universel» فى أكثر الأوطان وهذه النظرية مع فضلها (أهم الأموال للناس أعمها إستعمالا بينهم) ، ناقصة من جهة الأمر والقانون وعدم المسئولية . وقد صدرت عنها نظرية الفوضويين «anarchisme» على أيدى Bakunin و kropotkine [٩٣] وهى التى ينفى فيها كل نظام اجتماعى مع الإفراط فى الحرية .

٦ – نظرية الحقوق الدولية droit international :

نريد بها هذا الفقه الاجتماعى المومأ إليه فى تأليفات «Grotius» [٩٤] منذ مائتين سنة ، لتأسيس قوانين عامة للحياة الدولية بين الأوطان فى وقت الصلح إلى وقت الحرب .. وأول عقد دولى هو عقد «Westphalia» (١٦٤٨) ؛ وأشهر عقد دولى عقد فى باريز فى ١٨١٥ بعد انهدام الدولة النابوليونية ،

---

a) استعمل الأستاذ ماسينيون كلمة « الجيشية » ونعتقد أن « العسكرية » أفضل لأنها أكثر شيوعا . b) يقصد : « الثورة الفرنسية » . c) استعمل فى الأصل تعبير غير شائع الآن وهو « مشهورة عمومية » ومعناه غامض بالنسبة لنا .

---

(٩٣) Mikhail Bakunin (١٨١٤ – ١٨٧٦) : فوضوى روسى مؤسس « العدمية » شارك ماركس وانجلز حركتهما الإشتراكية أما بيتر كروبوتكين (١٨٤٢ – ١٩٢١) فهو أيضا فوضوى روسى عارض البلشفيين بعد ثورة سنة ١٩١٧ فى روسيا .

(٩٤) «Hugo Grotius» (١٥٨٣ – ١٦٤٥) : رجل قانون ألمانى أهم أعماله «De jure belli» .

فكان فى ذلك العقد عدد الدول الكبرى أربع ، هى النمسا وانجلترا وروسيا وبروسيا والخامسة فرنسا (عقد ١٨١٨) والسادسة ايطاليا (عقد ١٨٦٧) . وهناك الدول المشتركة فى مؤتمر الصلح الكلى فى لاهاى «La Haye» منذ ١٥ سنة . وفى هذه الحقوق الدولية إصطلاحات مشهورة مثل « الاعتدال الأوروبى » ومبدأ الوطنية «Principe des nationalités» مثل مبدأ «Monroe» بأمريكا .

المحاضرة السادسة والعشرون

أصول التاريخ «Méthode historique»[a]

١ – فى معانى التاريخ ومذاهب القدماء :

كان التاريخ فرع من فروع الآداب والآن أخذ وجها جديدا ، وصار علما خاصا ، وله علم يسمى بفلسفة التاريخ . وهناك فرق بين علم الاجتماع وعلم أصول التاريخ ، فإن الأول ينظر فيه فى تدرجات حياة الاجتماع ، أما علم أصول التاريخ فينظر فيه فى تدرجات الحوادث وسيرها . كلمة تاريخ الغربية هى «histoire» بالفرنسية ، «history» بالانجليزية و «geschichte» بالألمانية . وأصل الكلمة الفرنسية هو كلمة «historia» فى اللغة اليونانية ومعناها الفحص ومن ذلك نجد أن :

١) أرسطو له كتاب اسمه تاريخ الحيوانات وهو ليس بالمعنى المصطلح عليه ، بل ينظر فى أصل حياة الحيوانات ، فهو يريد بكلمة « تاريخ » الفحص فى هذه المشكلة ، والكتاب يحتوى على جملة مباحث فى علم الحيوان . وقد اتبع هذا المعنى مؤرخو اليونان والمقصود هو البحث فى الأشياء على أساس سلسلة وقوع الحوادث لا على أساس النظام المنطقى .

٢) «Bacon» بيكون حدّ التاريخ بمعنى البحث فى تدرج الشخصيات .

٣) كورنو «Cournot» نظر فى مسألة ترتيب العلوم فقال إنها :

(١) علوم نظرية . (٢) وعلوم عملية أو صناعية . (٣) وعلوم كوسمولوجية أو خاصيات العالم أو « التاريخ » .

وأصل الإصطلاح عند العرب « تاريخ » مأخوذ من كلمة قديمة سامية قيل إنها اسم نجم [انظر مبحث معنى التاريخ من مباحث شكرى الألوسى فى كتابه « بلوغ الأدب » (ج ٣ ص ٢١٢) فهو بحث مستوف فى هذه المسألة ومنه أن معنى التاريخ غاية الشىء أو حدّة فلا يمكن أن نجد الحوادث قديما إلا بواسطة الكواكب ، ولذلك أصل التاريخ التقاويم «calendriers»].

---

a) نعتقد ان تعبير «méthode historique» من الأفضل ترجمته بالمنهج التاريخى .

والفرق بين العلوم التاريخية وبقية العلوم أن علم التاريخ لايمكن ان نرجع به إلى ماقبل الحوادث بخلاف بقية العلوم .

كان التاريخ أولا عبارة عن إشارات عن تحديد سنوات بالآثار الباقية بواسطة الخسوف أو الكسوف . وأشهر المؤرخين فى الصين هو «Sse Matsien» فى القرن الثالث ق.م . جمع من علوم النجوم كل حوادث الكسوف والخسوف ثم رجع إلى الكتب وأمكن على هذا الأساس أن ينشىء تاريخ الصين .

ثم تقدم التاريخ قليلا ودُوِّن على لوائح مخصوصة تسمى «liste d'éponymes» وهو لقب للسنة التى تسمى باسم رئيس من الرؤساء ، وذلك أن اللوحة توضع مبدئيا للتاريخ لأحد الرؤساء ، ثم تبنى عليها الناس تواريخهم ، وذلك موجود فى أثينا وهى تسمى لوائح «archontes» . وهى موجودة أيضا عند ملوك أشور وتسمى «limmou» وفى روما تسمى لوحة الـ consuls .

وهذا هو حال التاريخ عند الرسميين وأصحاب العقول قديما ، أما عند العامة منهم فإن التاريخ عندهم كان كان عبارة عن شعر يسمى «épopèe» ، وتعريبه بالعربية الشعر القصصى ، وسماه بعضهم الحماسى .

ولقد وجد عند اليونان أنواع من التاريخ مثل مجموعة أسانيد عن الحوادث التاريخية ، وهذا غير مهم . أما ما يأتى فهو المعتبر عندهم :

١) تاريخ هو عبارة عن قسم من أدب اللغة وإظهار البلاغة فيها : فما كان التاريخ عبارة عن ترتيب سلسلة الحوادث بل كان يراد به التأثير وما يأتى التأثير إلا من جمال الإنشاء ، فكانوا يرتبون الحوادث على شكل حكايات بليغة مؤثرة مثل «Hérodote» هيرودوت .

٢) تاريخ عملى مثل تاريخ «Polybe» وهو يقول فى مقدمته إن غرضه من وضع كتابه أن يكون مقدمة فى علم السياسة العملية .

٣) التاريخ الأخلاقى : كان المؤرخ مثل «Salluste» (٦٠ سنة ق.م) يكتب بإنشاء مؤثر يحتوى على مباحث اخلاقية ، ومثل «Tite Live» الذى كان يرى أن تقدم الرومان لايمكن أن يكون إلا بسبب الفضائل وحسن الاخلاق . ومثل «Tacite» تاسيت أيضا وله الحجج المشهورة على فظائع أباطرة روما وهؤلاء المؤرخون رومان .

وكذلك طريقة «Plutarchos» وهى عدة تراجم كل ترجمة عبارة عن مقارنة بين عظيمين من العظماء ، وكتابه من أحسن الكتب التى بحثت فى نفوس المترجم لهم .

٤) التاريخ الفلسفى مثل «Euhémère» [٩٥] الذى بحث فى فلسفة الأديان تاريخيا و Thucydide الذى فحص أسباب الحوادث الاجتماعية فى جمهورية أثينا .

٢ - فلسفة التاريخ فى الإسلام :

علم الأنساب وعلم الطبقات (أنظر كتاب الفهرست لابن النديم) .

لا اذكر هنا إلا بعض الفوائد من التواريخ الاسلامية :

١) « كتاب عجائب الهند » لأحد رؤساء السفن اسمه بزرى بن شهريار فى القرن الرابع كان يسمع حكايات البحارة [a] عن الناس ويدونها .

وقد وجد فى الصين قبل زمن عائلة Thang تحقيق حكاية الأشجار ذات الورق المصنوع من الحرير كما ذكرها المؤلف : (Mayer's Chinesa Reader's manual, no 572)

٢) وكتاب « المنقذ من الضلال » للغزالى لأنه تاريخ أحوال النفس ، وهو من أحسن الكتب المسماة بالـ autobiographie psychologique [b] ، وللأتراك فضل عظيم فى التراجم النفسية مثل كتاب تيمورلنك وتاريخ Baber وأبو الغازى وغيره .

وكل سلطان من سلاطين المغول فى الهند له تاريخ من تأليفه . ويوجد نوع من أنواع التراجم ، وهو نوع جميل الإنشاء كالنوع الأول عند اليونان مثل « كتاب اليمين » للعتبى ، وكتاب « ابن عرب شاه فى تاريخ تيمورلنك » . وهناك أيضا نوع كالنوع العملى عند اليونان مثل « سياسة نامة » لنظام الملك (وزير مليك شاه) وهو بالفارسية .

---

a) جاء فى الأصل « المراكبية » . b) ترجمتها العربية هى : السيرة الذاتية النفسية .

---

(٩٥) Euhemerus (القرن الرابع ق.م.) فيلسوف قورينائى له نظرية فى الميثولوجيا وفى فلسفة التاريخ تعرف باسمه وتضمنها مؤلفه « التاريخ المقدس » ، تحمس لها بعض مفكرى القرن الثامن عشر من الفرنسيين وكذلك سبنسر الانجليزى .

وهناك كتاب الذهبى فى « تاريخ الإسلام » ، وكتاب « طبقات الشافعية » للسبكى ، والأخير أصح من الأول . والمؤلف الثالث هو لابن خلدون ، ومقدمته أشهر من أن تذكر ، وهو يدقق فى نشوء الدول البدوية .

أما فى النوع الفلسفى فما وجد إلا البيرونى الذى كتب على الأسلوب الحديث [٩٦] ، وله فى فلسفة التاريخ كتابان : « الآثار الباقية » والثانى كتاب « تاريخ الهند » .

٣ - المذاهب الحديثة فى فلسفة التاريخ :

(١) مسألة تقسيم العلوم التاريخية (٢) قوانين التاريخ . (٣) النظريات الحديثة .

١ - تقسيم العلوم التاريخية :

أ ـــ علم الآثار «archéologie» إما فى الفنون الجميلة وإما فى الصنائع وله أقسام للنقود «numismatique» والخواتم «sigillographie» ، والعلائم «héraldique» ، والشعارات «blason» .

ب ـــ علم الكتابات (على الحجر épigraphie وعلى القرطاس palléographie) .

حـ ـــ علم الفرامين «diplomatique» ، وتصحيح الإسناد «critique des sources» ، أى المتون والشهود .

د ـــ علم الطقوس «Comput» أى السنوات ، وعلم الأنساب «généalogie» .

هـ ـــ علم الجغرافيا التاريخية وعلم الأساطير mythologie comparée .

أما تقسيم الحوادث التاريخية فهو كالآتى : حوادث سياسية «politiques» ، واجتماعية «sociales» ، واقتصادية «économiques» ، مثل كتاب d'Arsenal فى تاريخ الأجر «histoire des salaires» ، وتاريخ الدساتير «constitutions» ، وتاريخ الفنون الجميلة «beaux arts» .
والتجارة «commerce» ، والأدب «littérature» ، والعلوم ، وتاريخ الأخلاق ، والأزياء «vêtements» ، والرقص «orchestique» .

---

(٩٦) أصبح من المتفق عليه الآن بين الباحثين فى فلسفة التاريخ أن ابن خلدون صاحب فلسفة للتاريخ بل هو عند الكثيرين مؤسس هذا الفرع من فروع الفلسفة وليس فيكوفى القرن الثامن عشر .

٢) قوانين التاريخ :

قال «De Maistre» بوجود قوانين ثلاثة أى قال بضرورية القوانين :

(١) الرابطة بين الأشخاص بالنسب ، وهى رابطة الدم «lois du sang» (وهى منكرة عند الاشتراكيين Communistes) .

(٢) الرابطة بين الأمم بالحرب سياسية كانت أو اقتصادية (بخلاف السلميين «pacifistes» .

(٣) الرابطة بين المنفعة العامة والبذل الشخصى (الإيثار مثل إيثار «Decius» فى زمان الجمهورية الرومانية) .

وعند المتأخرين :

(١) قانون ارتباط الأعضاء (مثل العرض والطلب – استبدال الحاجات ... الخ) .

(٢) تسلسل الحوادث بأسباب مختلفة وقد فضلوا بعضها على بعض مثل الوسط الخارجى «milieu extérieur» أو الأدب والأخلاق والطبقات ، أو التنازع للبقاء والجنس «race» [a] (أفضلية الآريين على الساميين عند «Renan» ، أفضلية الجرمانيين عند «Gobineau») أو التقليد الاجتماعى والتضامن التاريخى عند «Tarde» . وقد زعم «Hegel» أن التاريخ فى تسلسل حوادثه « منطق محسوس وحى » . إلا أن هذا المذهب تزكية لكل مستبد وظالم .

٣) النظريات الحديثة :

(١) نفى التاريخ بإثبات إمكان رجوع الماضى فى المستقبل . وهذا نظر الهنود التى تقول « بالرجوع السرمدى » لأنه لايمكن أن نرجع بالتاريخ إلى الزمن الأول الذى نؤرخ له . وقد تكلم الإسماعيلية عن أدوار النجوم وتأثيرها على الإنسانية قرن بعد قرن ، وأعاد هذا المذهب «Nietzsche» .

(٢) ويقرب من هذا المذهب شوبنهور «Schopenhauer» ، الذى يقول بمذهب التدنى الواجب «pessimisme» [b] .

---

a) جاء فى الأصل « بالشعب » b) هذا التعبير « التدنى الواجب » مصطلح اسلامى وحديثا نستخدم تعبير « التشائم » .

(٣) مذهب السياسة الإلهية «La providence» أو «optimisme» « وجوب الأصلح على الله تعالى »[a] راجع «St Augustin» ، و «Joachim de Flore» وكتاب «Bossuet» « خطبة فى التاريخ العام » وهو يقول ان لسلسلة الحوادث سياسة الهٰية مثل نبوة شعب اليهود .

[راجع ايضا «Vico» ، و«De Maistre» ، و «Cournot» ، و «De Play» ، و«Léon Bloy» .
وراجع أيضا H. Wronski : Philosophie absolue de l'histoire-Paris 1852[b] .

وقريب منهم مذهب «Carlyle» فى عبادة الأبطال] .

(٤) مذهب الإجبار الروحانى «fatalisme spirituel» مثلما نجد عند «Machiavel» المتوفى سنة ١٥٢٧ فى قوة إرادة الأمير[c] ، وعند «Spinoza» فى «traité de théologie politique» ، و «Herder» ، و «Hegel» ، وما التاريخ عندهم إلا إيجاد العقل الكلى بنفسه .

(٥) مذهب الإجبار المادى مثل «Descartes» ، و«Montesquieu» ، و «Comte» ، و «Proudhon» ، و «Spencer» ، و «Taine» ، و «Flint» ، و «Benedetto Croce» ، وخاصة «Karl Marx» وهو مؤسس فلسفة مذهب الاشتراكيين «socialisme» .

(٦) مذهب الترقى «progrès» أو الإجبار الاخلاقى «déterminisme moral» ، ومؤسسه «Fontenelle» (القرن الـ ١٧ ب.م.) فى المناقشة المشهورة فى أفضلية المتأخرين على المتقدمين ، وأصحاب هذا المذهب «Turgot» ، و «Rousseau» ، و «Condorcet» ، و «Kant» ، و «Renouvier» ، و «Thierry» ، و «Michelet» ، و «Renan» ، و «Tarde» وأكثرهم جبريين .
وسبب الترقى عندهم غلبة الشوق الى الأبدع «idéal»[d] على الإنسانية .

وأشهر هذه المذاهب مذهبان :

مذهب «Vico» وعنده أن للإنسانية أدوار ثلاثة : دورة الآلهة «Dieux» ، ودورة الأبطال «héros» و دورة الناس «humains» .

---

a) هذا التعبير أيضا مصطلح إسلامى فحديثا نستخدم تعبير « التفاؤل » .

b) جاءت هذه العبارة فى الهامش

c) كتاب ماكيافللى هو « الأمير » .

d) أصبح من الشائع استخدام كلمة « المثالى » ترجمة لمصطلح idéal والأبدع هو المصطلح العربى القديم .

ـــ ومذهب «Auguste Comte» وعنده أن للإنسانية أحوال ثلاثة متوالية :

١) حال الالهيات[a] «état théologique» أو دورة الخيالات «fictions» .

٢) حال المابعد الطبيعة «état métaphysique» ، أو دورة التجريد «abstraction» .

٣) حال الوضعيات «état positif» أو دورة البرهنة «démonstration» وهذا التقسيم هو بعينه تقسيم أهل البراهين فى نظرية ابن رشد إلى ١) عوام ٢) متكلمين ٣) خواص .

---

a) الحالة اللاهوتية أو الثيولوجية .

المحاضرة السابعة والعشرون

فى الالهيات

١ - الإله :

١) الإله فى اللغات السامية : إله بالعبرى والسريانى : «eloh» ، وبالأشورى «ilu» وبالكلدانى elâh . هذا فى اللغات السامية وكل هذه المصطلحات معناها واجب الوجود .

٢) باللغلت الآرية : بالسنسكريتى هو ديفا Déva ، وباللاتينى هو «divus» أو «deus» وباليونانى هو تيوس «theos» ، وبالالمانى هو «zott» وبالانجليزية هو «God» ، وبالايطالى هو «Iddio» ، وبالفرنسى هو «Dieu» . زعم «Anatole France» – وله أفكار غريبة فى معانى الاله – أن أسماءه كالنقود تندرس صورتها الأصلية ، وما تجريد الاسماء الكلية المجردة الا نتيجة لكثرة إستعمالها .

فمثلا « إله » أصلا اسم « للسماء » كذلك إصطلاحات فيما بعد الطبيعة كلها صور طبيعية مندرسة [ولكن النقود البالية لا تقبل عند الصراف وأهم من المادة الصورة الأصلية] . و «deva» أى «dyoús» أى « ذو سماء » نسبتها من حيث المعنى إلى الشخصية الإلاهية مثل ضرب شكل فى دار سكة على مادة النقود .

وعند النحويين من العرب مذاهب كثيرة فى إشتقاق اسم الاله . (راجع كتاب الكيلانى « أغنية لطالبى طريق الحق » ج ١ ص ٩٩ حيث ذكر جدولا بأسماء الاله) .

١) قال النصر بن شميل الاله من التأله أى التعبد .

٢) أو من الاعتماد .

٣) قال أبو عمرو بن العال من ألهت الشيء أى تحيرت فيه .

٤) قال المبرّد من ألهت اليه أى سكنت إليه .

٥) قيل من « وله » أى ذهاب العقل بالحب .

٦) وقيل من لاهت أى احتجبت .

٧) وقيل الإله بمعنى المتعال من لاه مثل الاهت الشمس .

٨) وقيل الإله بمعنى القادر أو السيد . وهذا الإصطلاح « إله » أصل علم الالٰهيات أى علم مابعد الطبيعة «la métaphysique» وكما بينا اعتراضات الرياضيين على إستقلال علم الطبيعيات ، واعتراضات الطبيعيين على استقلال علم الحياة ، واعتراضات الأطباء على إستقلال علم الاخلاق الاجتماعية ، لذلك يلزم الآن أن نفهم إعتراضات العلماء على إستقلال علم الإلٰهيات ولو أن ذلك مقبول عند أكثر المتكلمين من النصرانية والإسلام مثله مثل مقدمة ومدخل للوحى والإلهام .

أركان علم الإلهيات مؤسسة منذ زمن أفلاطون وأرسطو وعندهما هى علم الصفة الالهية ومعناها صفة مبدأ أول متعال على المادة «premier principe transcendantal» [a] وعن الأكوان ، وهذا قريب من معنى « الخالق » «créateur» فى الأديان . وهذا الحد تفرقة بين الأشياء كلها ومبدأها بخلاف المتقدمين من اليونان ، مثل مذهب Eléates [b] من بلدة Elée وأشهرهم هو Zénon (زينون الأول) .

٢ - أعتراضات زينون « وكانت » «Kant» .

مذهب زينون هو مذهب الوحدة المطلقة فى الوجود . والموجود عنده واحد ، والحركة وكل صيرورة عند خيالات لاحقيقة لها بخلاف تفرقة الخلق بين الخالق والمخلوق .

وبراهين زينون أربعة مشهورة وهى مسماة «aporiai» أى «antinomies» أى المناقضات الأربع :

١) أخيلس والسحلفاة .

٢) السهم الطائر .

٣) حبة الدخن .

٤) المحركان .

وقد زعم فى الأول أن فى المسابقة بين أخيلس « سريع القدمين » والسلحفاة المشهورة بالبطء

---

a) جاء فى الأصل : « مبدأ واحد خارج عن المادة » ونعتقد أن الترجمة التى قدمناها أدق .

b) هو مذهب الايليين .

اذا منحنا للسلحفاة أقل مايكون من تقدم فى الزمان لابد أن تقسم المدة إلى مالانهاية من قبل أن نصل إلى وقت اللقاء . وقد قبل النظّام هذه النتيجة وقال بمقالة « الطفرة » للنجاة من إستحالة الحركة . وقد زعم فى الثانى أن السهم الطائر فى الهواء هو فى حال سكون مطلق ، لأن موضعه الوقتى نقطة بين نقطتين وكل مسافة نقط مجتمعة بعدد غير متناهى ، والعبور من النقطة إلى النقطة المجاورة ومن الموضع إلى الموضع المجاور ، غير معقول طالما ماحسبنا عدد النقط المتوسطة ، وهذا العدد غير متناهى . وقد زعم فى الثالث أن حسيس حبوب الدخن millet [a] إذا نشرناها على وجه الأرض هو صوت خيالى وحادثة غير معقولة لأن لا حسيس لحبة واحدة ، وكيف يصح أن نسمع حسيسا اذا زدنا بحبة واحدة على عدد الحبوب المنثورة بغير حسيس محسوس . وقد زعم فى الرابعة أن حركة المحركين المتقابلين فى الطريق خيالية لا حقيقة لها ، لأنه لايمكن أن نحقق حركة الأول إلا بنسبة إلى الآخر وكأنه أصل ساكن ولكن هذا محال (المحال أن تكون المسافة ونصفها متساويتان) . هذه المناقضات مشهورة فى تاريخ الفلسفة لنفى الكثرة والأكوان وإثبات الوحدة المطلقة بطريق القياس . كذلك قال «Spinoza» : واجب الوجود موجود على شرط الاطلاق فقط لأن كل عبارة تمييز وكل تمييز نفى .

وكذلك يزعم «Kant» « كانت » أن وجود علم لما بعد الطبيعة محال واستعمل لتحقيق رأيه البراهين الأربعة المسماة «antinomies de la raison pure» أى مناقضات العقل المجرد ، كل واحدة منها ذات جملتين متضادتين الـ thése والـ antithèse على شكل قضية منفصلة dilemme لكنها لا نتيجة لها والاختيار محال :

١) العالم إما قديم وإما حادث (فى الزمان) ، وإما محدود وإما غير متناهى (فى المكان) .
٢) أجزاء العالم إما قابلة التجزىء إلى لا نهاية ، وإما ذرات لا تتجزأ .
٣) تسلسل العلل إما متوالى ، وإما منقطع (مسألة حقيقة حرية إرادة الخالق والمخلوق) .
٤) جملة الكل إما ضرورية بذاتها ، وإما غير ضرورية .

وزاد عليها بخامسة وهى « مناقضة العقل العملى » «antinomie de la raison pratique» ، ومعناها « اتحاد خير الممكنات والخير المحض إما جائز وإما محال » .

---

a) حبوب الدخن هى حبوب القرطم .

هذه المشكلة من أهم المشكلات الفلسفية ، وقد زعم بعض الفلاسفة أن فيها تحقيق تنازع خفى فى تشغيل آلة الفكر نفسه بين الضروريات المحفوظة فى العقل الفعال والممكنات المدركة بالعقل المنفعل أى بين العقل «raison» والفهم «entendement» أو «intelligence» .

١) على حكم العقل لايمكن أن يزيد ولو بواحد على نسبة ما . ان سلسلة العلل متوالية والعالم دار مغلقة ومملكة الجبر يتسلط عليها مبدأ حفظ القوى «principe de la conservation de l'énergie» .

٢) على رأى الفهم « الله لايزال يغلق على الدوام » [« فتوحات » ابن عربى جـ ٤ ص ٢٣ وجـ ١ ص ٢١١) « فى كل نفس » ؛ وجملة الموجودات زائدة وقت بوقت (نظرية برجسون «durée créatrice» أى أنه يلزم للفهم تحقيق فقدان الاستكمال الى الآن الحاضر وتحقيق أمل لإمكان الزيادة والتكملة فى المستقبل .

وفى هذا المعنى تستعمل « اللانهاية » فى معاملات الرياضيين ويعنى بها الإشارة إلى « اللانهاية بالقوة » «infini potentiel» أى دوام إمكان الزيادة إلى المفروضات بواحد على أى نسبة كان «possibilité d'ajouter un toujours» [a] . للعقل أن يفترض إفتراض التناهى (مثل نظرية الجزء الذى لم يتجزأ) . وللفهم أن يوصى بإمكان إستمرار التجزىء مثلما الحال فى قسمة الزاوية «section de l'angle») . والأصح أن جملة الكل «univers» [b] إلى وقتنا هذا ناقصة مائلة فى جهة المستقبل لأنه هو الذى يعرف بكمالها بالتدريج « إلى يوم الحساب » على الإصطلاح الدينى أى إلى انقضاء الدهور فى كمال الابد .

أصل المشكلات فى هذا التمييز :

١) اللانهاية بالفعل «infini actuel» بالكمية أو بالكيفية محال على حكم العقل .

٢) اللانهاية بالقوة «infini potentiel» ممكن الظهور بالفعل إلى الدوام على رأى الفهم والوهم .

٣ - البراهين الهندسية فى مسألة اللانهاية بالفعل (الأبعاد) لابن سينا :

مؤسس الهندسة هو فيثاغورس . كان أصحابه يقولون إن كل خط هو سلسلة من نقط

---

a) جاء فى الأصل فوق possibilité كلمة faculté والأولى هى الصواب . b) هذا المصطلح يعنى الكل بالطبع وإن كانت ترجمته الدقيقة هى الكون أو « العالم » كما كان يطلق عليه فلاسفة العصور الوسطى المسلمون منهم والمسحيون واليهود على السواء .

مجتمعة ، وعدد هذه النقط متناهى بلاشك . ولكن لما دققوا فى هندسة المربع وجدوا ان نسبة القطر للضلع نسبة تقريبية (جذر ٢) اى عدد متناهى وهذا بخلاف نظريتهم .

فلما جدد الاشاعرة مذهب «Démocrite» فى الجزء الذى لم يتجزأ وفى الآن الذى لا ينقسم رجع خصمهم ابن سينا إلى براهين هندسية تخالف ذلك المذهب وهى مشهورة فى المصطلح الفلسفى :

برهان الموازاة (مفروض فيه اللانهاية فى الزمان) . ولو فرضنا الخط (دز) بلانهاية وحركنا الخط (أ ب) حركة مستديرة من موضعه الأصلى إلى جهة الخط (دز) من الموازاة إلى المسامتة فلابد من وجود نقطة « ث » على (دز) هى أول نقط المسامته ولكن هذا محال لأنه لا توجد على الخط الغير متناهى نقطة هى « أول » النقط وكل نقطة فرضت للمسامتة أولا فلابد لها نقطة من قبلها إلى اللانهاية (إمكان قسمة الزاوية إلى اللانهاية) [راجع الغزالى : « مقاصد الفلاسفة » ص ١٢٦ والجرجانى : شرح على المواقف ص ٤٥٠ - ٤٥٦] [a] .

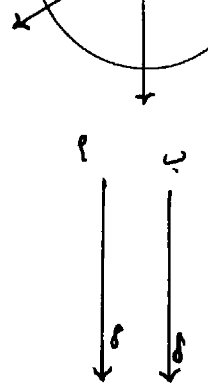
البرهان السلمى : هذا مثلث متناهى ومن شروط المثلث أن يكون كل واحد من الاضلاع أصغر من جملة الضلعين الآخرين . ولكن اذا طولنا ساق المثلث فى جهة السهمين إلى اللانهاية فكيف يمكن أن يحصر الضلع بين الضلعين ؟ .

برهان الترس = السلمى فى كل الأسطح .

برهان التطبيق : النقطة «أ» من قبل «ب» .

الخطان « أ ى » و « ب و » يتجهان إلى اللانهاية من جهة السهم . ما هما ؟ متساويان أو غير متناهيان ؟ .

هاتان إستحالتان .



a) جاءت هذه العبارة فى الهامش .

٤ - البراهين على الوجود الإلهى :

وفى نظر الفلاسفة ان علم الوجود الإلهى من الضرورى وبراهينه من العقل فقط . [راجع « دلالة الحائرين » لابن ميمون لتدقيق طرق البراهين] [a] .

١) برهان حدوث العالم (من القياس) بالفرنسية «preuve cosmologique» وباللاتينية «a Contingentia mundi» مخترعه أرسطو يقول إن كل تغير له علة . وسلسلة علل الحوادث ظاهرة لكل سلسلة من الترتيب . والترتيب من العلة الأولى إلى الثانية ومن الثانية إلى الثالثة .. الخ ، إذا أبطلنا العلة الأولى أبطلنا العلة الثانية وجميع الوسائط إلى الغائية . واذا قلنا بل يمكن الرجوع بتسلسل العلل إلى اللانهاية التى لا يوجد فيها علة أولى لكان هذا انهداما للترتيب والنظام ، لذلك قلنا الله هو العلة الفاعلة الأولى (معنى هذا البرهان أن كل تمييز لابد فيه من النظام وليس للمركب قيام بذاته) . هذه النتيجة مسماة باليونانية «ananké stenai» أى « لابد من الوقوف » وقد انتقدها «Kant» وقال كيف لزمنا أن نوقف به . وكان الغزالى (فى أواخر المشكاة) يقول إن الله منزه عن أن يكون « العلة الفاعلة الأولى » بل هو منزة عن كل تكليف .

٢) برهان الكمال (من الاستقراء) بالفرنسية هو «perfection» . هذا البرهان بنى على حد واجب الوجود ، وهو عند الهنود « اللانهاية » «infini» ، وعند اليونان هو « الكمال » ، وعند «Kant» هو « المطلق » . وهذا البرهان من وضع «St Anselme» و «Descartes» اللذين قالا إن الكامل المحق لابد له من القيام بذاته حقيقة «perseité» . ودلل « كانت » «Kant» على أن للكمال المحق وجودا ذهنيا فقط وأن هذا البرهان مغالطة يغالط بها بين « الفكر » و « الوجود » .

٣) برهان العلل الغائية «physico-téléologique» (بالقياس) وهو بالفرنسية «causes finales» ، أو برهان تآلف الكون «harmonie du monde»[b] . هذا البرهان من وضع أصحاب

---

a) يمكن الرجوع لدلالة الحائرين إما فى ترجمته الفرنسية العظيمة التى قام بها مونك : Maimonide : Le gûide des : égarés-Traduction et notes dé S.Munk. 3volumes-Franck Librairie, Paris 1856-1866 et éditions Maison Neuve-Paris 1960. أو لترجمة فريدلاندر الإنجليزية وهى أحدث من السابقة Maîmonide (Moses) : The guide for the perplexed-Translated by M. Friedlander-second edition-Dover publication. New York. 1956. وبالنسبة للقضية التى نحن بصددها يمكن الرجوع للجزء الثانى من دلالة الحائرين من الفصل التاسع عشر الى الفصل الخامس والعشرين .

b) جاء فى الأصل ترجمة لهذا التعبير الفرنسى : « تأليف الاكوان » .

الرواق «stoiciens» . كان نظام الكواكب وتركيب الأعضاء من المادة الحية دلائل على وجود الرب عندهم .

٤) برهان الأدب «morale» . هذا البرهان غير مقبول عند الحكماء ، لأنه فى الوجدان الشخصى بدون قياس ولا إستقراء . وهو الوحيد المقبول عند مذهب «Kant» ، وعند مذهب أهل الكمون «immanence» مثل «Edouard le Roy» [٩٧] . وهو مقبول أيضا عند الصوفية وأصحاب الإلهام والذوق (راجع الغزالى فى المنقذ) . إنتقده «Guyau» وقال ليس من الضرورى فى الأدب وجود شعور التكليف (راجع كتابه «Esquisse d'une morale sans obligation ni sanction») . وعلى كل حال هذا البرهان الأخير ناقص وقد قيل إن مستعمليه من المتكلمين مثل الغزالى ليسوا بعلماء علم الإلهيات ، بل هم روافض اهل الارتياب «sceptiques» (راجع ابن طفيل فى مقدمتة حى بن يقظان وابن رشد فى الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص ٧٢) [a] و (راجع أيضا «Pascal» فى كتابه «Les Pensées» فإنما بينه وبين المنقذ للغزالى تشابه غريب) .

أما العمليون «pragmatistes» فلا حاجة عندهم إلى برهان عقلى والبرهان الكافى هو « الاستعمال » كما قال «J.H. Leuba» [٩٨] : « ولو ان الله غير معروف فهو مستعمل » «God is not known, he is used» [b] .

---

a) أنظر « فلسفة ابن رشد » مطبعة الجمالية – الطبعة الثانية ١٣٢٨ هـ b) جاءت هذه الفقرة فى الهامش .

---

[٩٧] هو «Marie Jean» أبرز أعلام مدرسة العقليين الفرنسية (+ ١٨٨٨) .

[٩٨] Leuba (James Henry) (١٨٦٨ – ١٩٤٦) عالم نفس وتربية سويسرى اهتم خاصة بتأثير المعتقدات الدينية . أهم اعماله «The psychological origin and the nature of religion» و «God or Man»

المحاضرة الثامنة والعشرون

الوجود ، الوحدة والاتحاديون

١ - معانى الوجود والوحدة :

الوجود من أهم المسائل الإلٰهيه وما بعد الطبيعة . والناس تختلف فى تحديد معناه . فإذا تكلمنا عن حيوان من الحيوانات الآن فى هذه الجامعة فإن وجوده يكون ذهنيا فهو غير موجود حقيقة فى وقت الكلام . فهناك شيئان : الوجود الذهنى والوجود الخارجى . نفرق بينهما مثلما نفرق بين الممكن «possible» والضرورى «nécessaire» . والناس تختلف أيضا (وهذا عند الاديان) هل لحقيقة الأشياء وجود فى علم الإله قبل الخلق أم لا . وقد قالوا لابد لها من الوجود الذهنى عند الخالق ، ولكن هذا الوجود الذهنى له وجود حقيقى (عالم المثال عند أفلاطون) فى الكلام عن البحث فى هل العدم شيء كالوجود أم لا وغير ذلك فى المباحث الغربية .

الوجود هو «l'être» بالفرنسية و «to be» بالانجليزية و «Seyn» أو «Wesen» (الكون) بالالمانية . الوجود هو الجنس الأعلى ولا يصح أن يكون إلا محمولا كليا «attribut universel» فقط ولا موضوعا .

معانى الوجود :

١) فى الكلام النحوى : الوجود ما يوجد وهو أنية الشيء أو ماهيته أو كيفيته أو عليته أو هويته أو حقيقته .

أما أنية الشيء فهى تعيين الشيء بلا شرط باللاتينية «hecceitas» وباليونانية «to oti» أما الماهية فمعناها وضع الشيء بلا صفة «détermination» بما به وهى باليونانية «to ti» وباللاتينيه «quidditas» . أما الكيفية فهى باليونانية «to poion» وهى من أبواب الوجود ، ومسألة العلية كذلك «causalité» .

ومن الصرف نفهم الأصل اللغوى للاختلاف فى معانى الوجود . مثلا اذا سئل « أين » «ubi»

فهذه هى الماهية من حيث الحركة ، وإذا سئل « الى أين » «quo» فهذه هى الأينية ، واذا سئل « من أين » unde فهذه هى الكيفية (أصل القياس) ، واذا سئل « لماذا » qua فهذه هى العلية الغائية (أصل الاستقراء) .

من كلمة «هو» جاءت « الهوية » أو الجوهر ، أى الجواب للسؤال « أهو هو » ومن غرائب المصطلح « فهو أنية » من وضع ابن عربى بمعنى « خطاب الحق فى طريق المكان فى عالم المثال » .

وإذا رجعنا فى أواخر كتب المنطق (والمباحث فى الالهيات هى نتيجة المنطق) مثل « مقاصد الفلاسفة » ، أو « معيار العلم » للغزالى ، لوجدنا أن الوجود ينقسم إلى :

١) وجود بالقوة ووجود بالفعل ، ٢) إلى الوجود المقدم والوجود المتأخر ، ٣) إلى الوجود بالزمان ، ٤) وبالشرف ، ٥) وبالتناهى ، ٦) والى الممكن والواجب (وللأخير أهم المسائل فى علم الإلٰهيات . فهذا مقتبس من كل أنواع الفلسفة بلا نظام أصلى) .

ويقسم الوجود فى الوحدة والكثرة . أما معانى الوحدة المختلفة فهى :

١) الوحدة الحقيقية أى من جهة العدد «unité numérique» [a] مثل النقطة ، فهى فى حدها بسيطة ، ومثل خط واحد وإن كان مركبا ، ومثل وحدة الشخص وإن كانت مركبة . ويرجع هذا إلى بحث العلماء فى حقيقة الوحدة وأقسامها .

٢) أما الوحدة مجازيا فهذا يكون فى النوع والعرض والنسبة والموضوع والجنس .

فقد قال ابن رشد « معنى النفس واحد بالعدد فى الأشخاص » وهذا يدل على استحالة الأبد الشخصى والعقاب والثواب (راجع تهافت التهافت ص ١٣٢) [b] .

أما الكثرة فتوجد بالكثرة الغيرية والخلافة والتقابل (نفى وإثبات وإضافة وعدم ، وملكة وتشابه وتوازى وتضاد وتساوى وتماثل) .

وعلى الجملة فلكمتى الوجود والوحدة معان كثيرة . ولكن بعض الفلاسفة قالوا بوحدة المعانى كلها . وهذا الرأى قديم وكذلك نجده عند ابن جبيرول Ibn Gabirol من أسبانيا والذى أثر كثيرا على

---

a) يمكن ترجمة هذا التعبير بالوحدة العددية . b) نفس المصدر السابق .

المسلمين ، مات سنة ١٠٥٨ هـ وهو يهودى ، فعنده الوجود أصلا واحد وله مراتب بالتدريج من الماهية إلى الأنية ، إلى الكيفية ، إلى العلية . وليس هذا تقسيما منطقيا عنده ، بل هذا هو الفيض الحقيقى من المطلق إلى المعين .

ولمسألة وحدة الوجود اختلافات كثيرة فإذا رجعنا إلى كتاب السيد الشريف الجرجانى ، وجدنا لها أقساما متنوعة .

وعند الغربيين (متكلمى القرون المتوسطة) الماهية والوجود شيئان وهما لا يتحدا إلا فى الخالق .

أما فى الأكوان فالماهية هى الوجود بمعنى عام ، فهو ذهنية عقلية أما الوجود فهو الوجود فى الخارج .

٢ – تاريخ مذهب وحدة الوجود :

١) عند القدماء : هذا المذهب قديم فى الهند : نجدهم فى بعض كتبهم يقولون (أنا = أنت = هو كله واحد) ولهم إصطلاح بالسنسكريتية مشهور هو «tat twam asi» وترجمته « هو الكون أنت هذا » أى « أنت هو هذا » . وهو فى الجيتا = «Baghúnadîta» فهذا الإصطلاح أصل مذهب الوجود عند الهنود الذين هم أصل هذا المذهب فى العالم .

وقد تأسست على ذلك آزاء كثيرة مثل التناسخ ، ونجد ذلك فى كثير من حكاياتهم حتى يكاد يكون طبيعيا عندهم (راجع خرافات العامة فى الهند واليابان) . (يوجد فى كتاب « تاريخ الهند » للبيرونى مبحث راق فى ذلك الموضوع) .

أما عند اليونان فإن مذهب وحدة الوجود موجود عند زينون الأول وبرهانه فى حكاية أخيلس والسلحفاة ؛ إلا أن وحدة الوجود أنشأت فى هذا المذهب على المنطق دون أن تتسع كما هو الحال عند الهنود .

أما عند المسلمين فلابن تيمية تأليفات مهمة يرد بها على وحدة الوجود [٩٨] (مات ابن تيمية

---

[٩٨] من هذه المؤلفات مجموعة فتاواه ورسائله التى نشرها الشيخ محمد رشيد رضا تحت عنوان « مجموعة الرسائل والمسائل » ، وكتاب « الرد على المنطقيين » .

سنة ٧٢٨ هـ وكان فى زمانه يرد على مؤلفات ابن عربى فى موضوع وحدة الوجود لأن ذلك من أساسات مذهبه فى التصوف) . ويزعم ابن تيميه أن أصل مذهب الوحدة قديم ويرجع إلى الجهمية فى عهد الدولة الأموية . اشتهر المذهب الجهمى بتنزيه الذات الإلهية .

ثم يذكر ابن تيمية النجارية (أصحاب حسين النجار) .

ثم يذكر السالمية مثل ابن برجان فلهم فى مذهب الوحدة : ورد فى « قوت القلوب » للمكى وهو من أئمة السالمية أن « لايتجلى الله فى صورة مرتين ولا يتجلى فى صورة لأثنين » . [راجع فتوى ابن تيمية فى الرد على الحريرية فى تفسير الكواكب . نسخة الكتبخانة الظاهرية بدمشق ج ٢٦ . ومنها إقتباسات مطبوعة فى جلاء العينين لابن الآلوسى ص ٥٤ الخ) .

ثم يذكر لابن عربى تأليفات مشهورة ظهر فيها مذهب وحدة الوجود مثل « الفتوحات المكية » و « الفصوص » ؛ ومذهبه أقرب المذاهب للدين . فهو يقول إن هناك فرق بين الظاهر والمظهر : فنحن المظهر والرب هو الظاهر أو نحن الوجود والله هو الماهية . والاثنان متميزان عن بعضهما . وقال إن عباد الأصنام كان خطأهم أنهم اقتصروا على عبادة بعض . وقال : « العبد رب والرب عبد ياليت شعرى من المكلف المظاهر دون بعض » . ولذلك إعترض على جملة مشهورة لأحد المتصوفين وهو الجنيد البغدادى من متقدمى الصوفية وهى : « إفراد القدم عن الحدث » (فهذا حد التصوف عنده) . قال ابن عربى هذا غير صحيح لأن بين القدم والحدث تكليفا ضروريا ولايمكن إفراد الواحد بدون الآخر .

ومن نتائج مذهب ابن عربى : « ان المعدوم شىء » لأن المعدوم عين الموجود . ومن تلاميذه الصدر الرومى [٩٩] الذى قال بوحدة الواجب (أى الوجود المطلق لا يشترط فى الأذهان) والوجود المعين (فى الأعيان) . وقال ابن سبعين : الوجود الواجب هو المادة والوجود الممكن هو الصورة (وهذه من إصطلاحات ارسطو) . وقال على الحريرى (من تلاميذ ابن عربى) : « تركت التوحيد لأن مثل المحبة من الغير إلى الغير فلا غيرا » .

---

[٩٩] هو جلال الدين الرومى (١٢٠٧ - ١٢٧٣) أكبر شعراء الصوفية الايرانيين أهم مؤلفاته ديوانه « المثنوى » وكتابه « فيه مافيه » .

وجاء أيضا عفيف الدين التلمسانى فقال بالوحدة المطلقة أى بوحدة الثبوت والوجود والمطلق والمعين . فالدنيا والحق مثل البحر والامواج . له شعر قال عنه ابن تيمية إنه « لحم خنزير بطبق صينى » .

وقد قبل اكثر متأخرى المتكلمين مثل السيد الشريف الجرجانى مذهب الوحدة لإتفاق مبائه مع مبادىء الكلام الأشعرى .

٣ - المذاهب عند الغربيين (وحدة الوجود) .

مذاهب ثلاثة فى وحدة الوجود monisme عند متأخرى الفلاسفة :

١) هيجل Hegel .

٢) هيكل Haeckel ؛ الأول عنده الوحدة راجعة الى الفكر والثانى راجعة عنده إلى المادة .

٣) ومنهم P. Carus وهو مدرس فى شيكاغو ولكن هذا عنده وحدة الفلسفة لا فلسفة الوحدة مثل مذهب عبد البهاء [١٠٠] فى الشرق . وأول من تكلم عن الوحدة المطلقة فى الغرب بعد «Scot Erigène» هو اليهودى «Benedict Spinoza» (من القرن ١٧) . و «Erigène» من مفسرى أرسطو فى القرن التاسع ب.م ؛ وفى القرن الـ ١٣ ب.م هناك «Amaury de Bène» [١٠١]

معنى وحدة الوجود عند الغربيين :

معناها إمكان اتحاد الحوادث كلها أى إيجاد تفسير واحد للعالم كله . وبعض المذاهب تنكر وجود المسألة مثل الـ «positivistes» ومنهم « كونت » الذى يقول إنه لايمكن إيجاد مبدأ واحد للمسائل كلها بل يجب النظر فى المسائل على حدتها .

أما مذهب كانت Kant فهو أن الكليات من شروط الفكر ، والوحدة راجعة إلى الكليات .

---

(١٠٠) اسمه عباس افندى (١٨٤٤ - ١٩٢١) وهو ابن ميرزا حسين على الذى جدد البابية فأصبحت على يديه البهائية . وعبد البهاء صاحب فكرة ان الله يتجلى للبشر فى أنبيائه بدءًا من ابراهيم وانتهاءً به هو ، أى عبد البهاء . عاش ودفن فى حيفا ؛ جاء الى مصر وأثار الكثير من المناقشات وتصدى له ضمن من تصدى له الشيخ رشيد رضا . لاقت حركة البهائية نجاحا فى أمريكا .

(١٠١) اموری دی بين ممن اتهموا بالهرطقة وحرمت قراءة مؤلفاتهم فى القرن الثالث عشر .

ومذهب العمليين pragmatistes يرى أن حقيقة العالم كثرة فلايمكن أن نبحث عن الوحدة : (William James) .

٤ – نتائج مذهب الوحدة :

لقد إعترف بعضهم وهو «F. Le Dantec» بإعتراف جيد ، بأنه لايمكن أن يتكلم بلسان الوحدة وهذا صحيح ، فلا بد من السكوت . فإنما هى انهدام المنطق لأنهم لا ينسبون للأثنينية أصلا بين الظهور والاحتجاب والظاهر والمظاهر . أما قول ابن سبعين « رب مالك وعبد هالك وأنتم ذلك الله فقط والكثرة وهم » فيدل أيضا على أن اثنينية هى بين المتوهم والوهم .

من نتائج حدة الوجود أيضا انهدام الدين الصحيح لأن أصحاب هذا المذهب قالوا : عباد الأصنام خطأهم أنهم اقتصروا على عبادة بعض المظاهر دون البعض الآخر ، ومن الغريب أن للشيخ عبد الغنى النابلسى ، كلاما فى الوحدة يزعم به أنه « يجب على السلطان جبر الناس على القول بها على كل حال » .

أما نتائج مذهب الوحدة فى الأخلاق فظاهرة . قال على الحريرى وهو من تلاميذ الرفاعى : المحبة من غير لغير ؛ وكذلك التوحيد لأن التوحيد من الغير الى الغير ، أى من العبد الى الرب ، وفى الحقيقة لاغير . (راجع فتوى ابن تيمية فى الرد على الحريرية فى الكواكب ج ٢٦ فصل ٢) .

لا يفهم الاتحاديون حدّ الشخصية personnalité ولا تقديسها (بالأزل فى العلم إلالهى ، بالأبد فى الخلق) .

المحاضرة التاسعة والعشرون
الحق والدين والإنسانية

من أهم المسائل الفلسفية مسألة الإتفاق بين العقل والوحي . وفى تاريخ الفلسفة العربية لذلك مذهبان :

١) مذهب الحكماء الذى مبدأه العقل وعلم الوجود كما هو معقول مثل المشاؤن : «Abélard» فى النصرانية ، وموسى بن ميمون فى اليهودية ، وابن سينا وابن رشد فى الإسلام .

٢) مذهب المتكلمين القائلين بأفضلية الارادة الإلهٰية على إستحالات العقل الإنسانى مثل يحيى بن عدى فى النصرانية ، وأبو الحسيب يهوذا هللوى [١٠٢] فى اليهودية ، والاشاعرة فى الإسلام .

١ – الحق والوجدان la vérité et la conscience .

الحق فى اليونانية هو alêtheria ، وفى اللاتينية هو veritas ، وفى الفرنسية هو vérité ، وفى الانجليزية هو truth ، وفى الألمانية هو «wahrheit» . الحق فى الاستعمال القديم اللغوى هو المعادلة أو الموافقة بين الشيء الخارجى وبين الذهن (العقل) ، وهذا أستعمل أيضا فى القرون المتوسطة وأحيانا فى القرون الحديثة إلى «Kant» .

الحق باللغة العربية لها جملة معانى مهمة للفيلسوف ، إذ أن الحق من أسماء الله الحسنى . والحق بمعنى الدين (له أو عليه) .

أما فى الصوفية بعد القرن الثالث الهجرى ، فالحق يراد به الذات الإلهٰية ، ومن الصوفية معروف الكرخى (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ) يريد بالحق الذات الإلهٰية ؛ وكذلك الحلاج فى الكلمة المشهورة « أنا الحق » ، وكذلك ابن طفيل الحق عنده بالمعنى الصوفى .

---

a) تعبير وجدان ليس هو الترجمة الدقيقة لكلمة «conscience» وفى رأينا أن كلمة وعى أفضل .

---

[١٠٢] هو المشهور بحالفى Halevi (١٠٨٥ – ١١٤٠) وهو فيلسوف يهودى أسبانى أعلى من شأن الحقيقة الدينية التى نتوصل إليها بالحدس ورفعها فوق الحقيقة الفلسفية والتأملية التى نتوصل إليها بالمنطق .

الانتقالات الفلسفية فى معنى الحق قسمان ١) الحق الذهنى vérité formelle أى اتفاق المقدمتين مع النتيجة . ٢) الحق الخارجى (فى العيان) vérité naturelle أى بالنظر إلى الاعتبار الخارجى أو الاعتبار الذهنى فقط .

مسألة الباطل «erreur» : ماهو الباطل ؟ هو ظاهر الحقائق (أفلاطون) ، أو أصنام الوهم (Descartes, Bacon) ، أو تفاوت بين العقل (المحدود فى تصوره للأفكار) والارادة (الحرة الغير محدودة) ، أو نفى محض (Spinoza) أو إتفاق ناقص بين التصور ونفسه (Kant) [(a)] .

اليقين كما قيل هو رابطة العقل والحق . قال Protagoras إن الإنسان مقياس كل شىء ، أى لكل رأى حقيقة ؛ ورد عليه أرسطو وقال هذا محال ، لأن هذا يدل على حقيقة الحق والباطل معا والصدق sincérité والكذب معا) .

«les critères de la certitude» مقاييس أو موازين اليقين : (قال المتشككون (sceptiques) مثل «Sextus Empiricus» بعدم المقاييس مطلقا) .

١) النقل tradition أو الأمر (autorité) أخذ بهذا عند أكثر الدينيين وأيضا عند Stuart Mill إذ يعتقد فى أصحاب الصنائع gens compétents ، إلا أن هذا الميزان خارجى ناقص (يمكن أن نسميه تقليدا أو تواترا) .

٢) الإجماع العام consentement universel وهو الاعتماد على جمهور الناس فى زمن من الأزمنة اتفقوا على شىء (Lamennais) . وإن كان هذا القياس حسن ، إلا أنه ناقص ، اذ أن الإجماع يكون أحيانا مخطئا .

٣) الحس المشترك «sens commun» (Hamilton Reid) [(١٠٣)] والفرق بينه وبين الإجماع أنه طبيعى لا يحتاج إلى قياس . قد يكون هذا ناقصا أيضا «préjugés» [(b)] .

---

a) جاءت كل هذه الفقرة فى الهامش . b) الـ préjugés هى الأفكار المسبقة .

[(١٠٣)] سبق لنا ذكرها هاميلتون ويهمنا ونحن بهذا الصدد تحقيقه ونشره لأعمال Thomas Reid : «The works of Thomas Reid» عام ١٨٤٦ .

٤) التجربة expérience أو الاختبار ، وهو معتبر عند كثير من الفلاسفة إلا أن به بعض الخطأ فقد يكون الحاصل من طريق التجربة نفس المقصود ، ولكن الطريق المختار غير حقيقى (راجع نظرية Fresnel [١٠٤] فى علم الضوء) . وهذه الأربعة من الأشياء الخارجية ويشترك فيها أكثر الناس . (راجع عبادة النجاح le culte du succès عند بعض الجهلاء) .

أما المقاييس العقلية فهى :

٥) مبدأ التناقض «principe de contradiction» (Wolf) .

٦) العلة الفاعلة [a] «cause efficiente, raison d'être suffisante» (Leibnitz)

٧) الظاهر أو الواضح أو البديهى [c] «principe de l'évidence» [b] وهو المختار عند Descartes (الفكرة المجردة idée claire) وعند الوجدان Conscience :

الوجدان Conscience :

يجب التفرقة بين «conscience psychologique» (الوجدان الذهنى) ووظيفته تمييز الشعور ، وبين الوجدان الأدبى conscience morale ووظيفته التمييز بين الخير والشر discernement du bien et du mal . نظرية «Hartmann» [١٠٥] اسمها الأصلى « فى اللاشعور » [d] «L'inconscient» . قال Mansel [١٠٦] الوجدان ليس له رابطة مع الحوادث فهو فوق الحوادث أى épiphénomène ، وليس للإنسان أن ينظر فيه بل يجب ترك البحث فيه على أنه لايمكن إنكار الوجدان .

---

a) العلة الفاعلة هى ترجمة cause efficiente أما ترجمة raison d'être suffisante فهى العلة الكافيــة .

b) «principe de l'évidence» هو مبدأ البداهة وليس الصفة كما يقول الأستاذ ماسينيون . c) idée claire هى الفكرة الواضحة (الجلية) وليست المجردة كما يقول الأستاذ ماسينيون . d) يسمى الأستاذ ماسينيون l'inconscient اللاشعورى ولقد أصبحت الصفة فى اللغات الاجنبية تدل على المصدر .

---

(١٠٤) هو Augustin Fresnel (١٧٨٨ - ١٨٢٧) عالم طبيعة فرنسى أيدت أعماله فكرة تنقال الذبذبات .

(١٠٥) Karl Hartmann (١٨٤٢ - ١٩٠٦) الفيلسوف الألمانى صاحب « فلسفة اللاشعور » عام ١٨٦٩ ؛ واللاشعور عنده هو كل ظاهرة طبيعية ليس لها تفسير طبيعى أو علة طبيعية ظاهرة . كان متشائما ويشترك فى الكثير مع البوذية .

(١٠٦) هو Henry Mansel (١٨٢٠ - ١٨٧١) وليس Mandsley كما جاء فى هذه المحاضرات وهو فيلسوف انجليزى نهج نهج هاميلتون وطبقه على اللاهوت . أهم اعماله «The limits of religious thought examined» ، ١٨٥٨ «Methaphysics», ، ١٨٦٠ ، و «Philosophy of the conditioned» ١٨٦٦ .

٢ - تاريخ مذهب وحدة الأديان : monisme

اشتهر قديما وخصوصا عند اليونان بكثرة الآلهة والأصنام ، ولكن ظهر بعض الفلاسفة وقالوا إنه لابد من مبدأ واحد وهو المعبود فى الأعياد المسماة «Mystère initiatiques d'Eleusis» أو الأسرار المكتومة فى ايليسيس (بلدة بالقرب من أثينا) . وقد وجد هذا المبدأ عند بعض المتصوفين فهو « إختلاف فى طرق العقيدة إلا ان المقصد واحد » . فكل الأديان وإن اختلفت كما نراها الآن إلا أن كل تعبداتهم واحدة ، وكل فرقة هى الناجية قال الحلاج « لكل حق حقيقة ولكل خلق طريقة ولكل عهد وثيقة » ونسب إلى هذا المذهب الذى يقول إن العقائد وسائط والمعانى العقلية حقائق . وقال ابن عربى : « عقد الخلائق فى الإله عقائد ، وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه » . وقد استحسنه عبد الغنى النابلسى فى شرح الطريقة المحمدية (طبع الآستانه ج ١ ص ١٦٩ – ١٧٠) . لذلك إنشاء الماسونية كان على هذا المبدأ ، فمذهبها أن الترقى إلى الخير المطلق ممكن مع اختلاف الديانات وذلك خدمة للإنسانية على وهمهم . [راجع فى الغــرب الآن مذهب H.P.Blavatsky [١٠٧] : «théosophie»]

٣ - مسألة الوحى والعقل conflit de la révélation et de la raison [a] .

١) مذهب الاعتقاديين fidéistes . هل يمكن أن يعقل كل شيء من النصوص القرآنية ؟ فقال الاعتقاديون إنه يجب الاعتقاد بكل شيء ولو أنه لايمكن قبول كل شيء بالعقل . ومن ذلك عند المسلمين مذهب الحشوية ويعتقدون أن ذلك أفضل . والصوفية أيضا يرون هذا المذهب فيفضلون الإلهام والكشف على العقل . وكذلك تعليم الباطنية عن إمام معصوم . كذلك مذهب الرياضى الفرنسى Pascal فى الإلهام (راجع السهروردى فى الاشراق) . الرهان «pari» على مذهب «Pascal»

---

a) ترجمة conflit هى الصراع وبالتالى فالعنوان يجب أن يكون الصراع بين الوحى والعقل .

---

[١٠٧] هى Helena Blavatsky (١٨٣١ – ١٨٩١) روسية صاحبة نظرية فى التصوف الاشراق أو النظرى وهو «théosophie» وأسست جمعية بهذا الاسم أهم أعمالها الذى أصبح المرجع الأساسى لأتباعها هو «Isis Unveiled» ١٨٧٧ .

هو مانجده فى معنى البيتين :

قال المنجـم والطبـيب كلاهما   لا يحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخسر   لو صح قول فالوبال عليكما [a]

وقد وجد مذهب جديد «subjectivisme»[b] فى القرن الـ ١٩ ب.م . «Renouvier» قال إن كل فكر راجع إلى العقيدة قبل التعقل ، ويقول أيضا اليقين نوع من الاعتقاد «la certitude rationnelle est une forme de la croyance» الغزالى يظهر من مؤلفاته أنه ليس له تمسك بمذهب اذ أنه يوافق تارة على العقيدة foi وتارة على العقل وتارة على الكشف (راجع اعتراضات ابن طفيل فى حى ابن يقظان وابن رشد فى الكشف عن مناهج الأدلة ص ٧٦) .

٢) مذهب المتكلمين : إن للقياس فضل وحق ولكن حقائق الوحى فى مقام أعلى وذلك رأى الأشاعرة .

٣) مذهب الحكماء : مثل ابن سينا وابن رشد ، الذين يعتقدون بأفضلية العقل وصحة التجربة الحسية (بخلاف الأشاعرة) . وعند ابن رشد أن أصحاب البراهين ثلاثة أقسام :

(١) العوام الذين لا يفهمون إلا البراهين الخطابية مثل الوحوش المتعودة على الإشارات .

(٢) المتكلمون الذين يمكن لهم فهم البرهان الجدلى فقط .

(٣) الخواص وهم أصحاب البرهان المنطقى وهذا هو البرهان الوحيد الحقيقى . وأما البرهان الجدلى والبرهان الخطابى فهما « إقناعيان » لا حقيقة ، (راجع « حكايه حى بن يقظان » ، « حى » بمعنى الفلسفة و« أميال » بمعنى « ايمان المتكلم المنوّر » و « سلامان » بمعنى « إيمان المقلّد » . (راجع أيضا المقابسات لأبى حيان التوحيدى ص ٤٦)[c] .

---

a) جاءت هذه الفقرة فى الهامش .   b) subjectivisme هو الذاتية .   c) جاءت فى الهامش .

المحاضرة الثلاثون
مذهب أصل الأديان

١ – معنى الدين :

Nöldeke [١٠٨] نولدكى يقول إن كلمة الدين فى معناه الدينى ليست عربية أصلا ، وهى معربة عن العبرانى بمعنى الحكم أو يوم الدين .

والدين كلمة أصلية عند العرب بمعنى العادة أو العرف ، ولذلك قالوا كما تدين تدان .

وأخذت العرب الدين بمعنى الملة من الفرس (بالفارسى daènà) وعند الغرب دين religion أخذ من اللاتينية religio . وهذه الكلمة فى اللاتينية بمعنى حفظ الفروض بالتدقيق relegere ، أو الرابطة religare . والإصطلاح الفلسفى فى هذه الكلمة ، هو بخلاف وضع الدينيين الذين حددوا الدين بصفة dogme أى الاعتقاد ، وعندهم « الدين » هو عاطفة اجتماعية فقط بدون صورة منطقية .

١) Kant «كانت» يقول إن الدين هو شعور بالأمر الإلهى sentiment de l'ordre divin وليس بواسطة العقل إذ أن العقل عنده ربما لا يوافق حقيقة الأشياء . وعلى ذلك يكون الدين بهذا المعنى شعورا إلهاميا محضا . وبناء عليه نرى أن خلفاء الأنبياء مقلدون لعدم تحقيق الإلهام الذى يوجد عند النبوة . وهذا الرأى قديم عند اليهود فى إسبانيا (راجع تأليفات موسى بن ميمون) .

٢) ريناخ «S.Reinach» [١٠٩] مايزال على قيد الحياة للآن وهو يقول فى كتابه أورفيوس «Orpheus» إن الدين عبارة عن مجموعة وساوس وخيالات تمنع النفس من حريتها . قال «Guyau» فى كتابه «L'irreligion de l'avenir» : « الدين تصور إجتماعى كلى » «sociomorphisme universel» ، وهذا المذهب يجب ألا يأخذ به فى مصطلح الدين بل يجب الرجوع إلى آراء الدينيين . تاريخ أساطير الأولين histoire de la mythologie أو القصص الخرافى وعلى رأى فلاسفة هذا

---

[١٠٨] هونيودور نولدكى (١٨٣٦ – ١٩٣٠) مستشرق ألمانى تخصص فى تاريخ العرب وثقافتهم أشهر مؤلفاته « تاريخ القرآن » و « دراسات فى الشعر العربى القديم » .

[١٠٩] سليمان ريناخ (١٨٥٨ – ١٩٣٢) عالم آثار فرنسى إهتم بتاريخ الأديان وقدم مادة علمية عظيمة فى هذا المجال . أهم أعماله « أورفيوس (تاريخ الدين) » ١٩٠٩ .

العلم فهو قسم من علم تاريخ أدب العامة folklore (ورد فى كتاب الفهرست ص ٣٠٥ كثيرا من عناوين كتب الحكايات الخرافية عن الجن والعفاريت وغير ذلك) .

جملة مذاهب فى أصل حكايات العامة :

١) مذهب Max Müller [١١٠] : يقول إن أصلها عن الشعوب الآرية فقط ، تفرسوا بها أحوال الشمس لكثرة نظرهم إلى الشمس (ومع ذلك فإن فى زمن الإنسان الأول ماكانت العامة تنظر إلى الشمس بل الشمس هى التى تنظر اليهم) . وعلى كل حال فإنه يقول إن كل الحكايات مؤسسة على نظام الشمس غروبها أو شروقها ، وتسمى نظرية الأساطير الشمسية mythes solaires [انتقاد : ليس من شجاعة الإنسان الأمى الأصلى أن يسجد إلى الشمس بل من مزيته أن يمسكها ويملكها ويعطيها إلى إله قبيلته ويرسهما بين أملاكه على شعاره] [a] .

وقد أعترض عليه ، بتفسير ترجمة Napoléon على أصوله الشمسية ، مذهب Cosquin كوسكين ، الذى يقول إن حكايات العامة الغربية عبارة عن ترجمة مذهب التناسخ إقتباسا وأخذا عن كتب هندية (دين بوذا Bouddhisme) اسمها جاتاكا Jatakas لأن كثيرا منها فيه معنى التناسخ .

٢) مذهب Andrew Lang [١١١] يقول إن عقل الإنسان قبل التاريخ préhistorique له شكل آخر ، فكل الخرافات الموجودة الآن عبارة عن قوانين صادرة عن الإنسان الأول . وهى تسمى نظرية « آثار ماقبل التاريخ » «survivance des moeurs préhistoriques» [b] .

٣) مذهب Euhémère و Spencer اللذين يقولان إن الخرافات عبارة عن المبالغة فى حكايات الأبطال القديمة .

إذا قابلنا الآن مذاهب الـ folklore بمذاهب « أساطير الأولين » mythologie فهى :

---

a) جاءت فى الهامش .　　b) الترجمة الدقيقة لهذه النظرية هى : « بقاء تقاليد ماقبل التاريخ » .

---

[١١٠] ماكس مولر (١٨٢٣ - ١٩٠٠) عالم لغوى ألمانى اهتم بالأساطير ونجح فى جذب الاهتمام إليها . أصدر «sacred books of the East» فى واحد وخمسين جزء بعد رائد التأويل الرمزى للأساطير .

[١١١] هو انـدرى لانج (١٨٤٤ - ١٩١٢) كاتب أسكتلندى إهتم بالفلكلور والأساطير أهم مؤلفاته فى ذلك المجال «Myth, ritual and religion» و «Magic and religion» .

١) مذهب الوحى révélation primitive : إن اساطير الأولين هى آثار الإلهام فى قلوب الناس . ومن أعلامه F.Lenormont و Gladstone . إن الأساطير هى إنعكاس فى عقول الناس للحقائق الأزلية .

٢) مذهب « الكذب » fourberie ومن أعلامه Voltaire ، وذلك أنه من بدء الإنسانية وجد قوم من طبيعتهم الكذب للمنفعة . وكانوا يؤثرون على الناس بانتخاب الحكايات . ولكن هذا المذهب فاسد وغير معمول به الآن .

٣) مذهب الأمثال symboles منهم Creuzer الذى يقول إن الأساطير نشأت عن الفلاسفة الذين أرادوا أن يفهِّموا العامة العقائد الدينية فاخترعوا الأساطير تسهيلا . ويتفق مع هذا المذهب ابن رشد .

٤) المذهب القائل إن الأساطير راجعة الى عبادة الأبطال مثل «Th. Carlyle,«H. Spencer و Euhémère وعلى هذا الرأى تأسست روايات مثل رواية R. Wagner اسمها «Gotterdämmerung» [a] أى « شفق الإلهيات » «crépuscule des Dieux» .

٥) مذهب الطبيعة naturisme : إن الأساطير عنده ترجمة عن الحوادث الطبيعية وفيه فضلت الشمس أحيانا لكثرة حرارتها وتأثيرها مثل Bréal [١١٢] ؛ والنجوم أيضا فى أحايين أخرى مثلما الحال عند Hugo Winckler [١١٣] أما مذهب Kuhn [١١٤] فيهتم بأحوال الغيوم nuages . ويهتم Lang بحوادث الطبيعة كلها .

٢ – عمومية الحُرمة (التابو) tabou :

وهى كلمة اقتبسها العلماء من سكان الجزائر الصغيرة فى المحيط الهادى .

---

a) اسم أوبرا من تأليف فاجنر .

---

[١١٢] وهو Michel Jules Bréal (١٨٣٢ – ١٩١٥) عالم لغوى فرنسى إشتهر بكتابه « دراسة السيمانطيقا » ١٨٩٧ .

[١١٣] ونكلر (١٨٦٣ – ١٩١٣) مستشرق ألمانى .

[١١٤] هو Franz Félix kuhn (١٨١٢ – ١٨٨١) عالم لغوى ومهتم بالميثولوجيا كان أول من حاول تبين أصول الحضارة الهندوأوربية من خلال تتبع الأصول اللغوية .

الطوطم (أى الوشم) اقتبسه العلماء أيضا من الشعوب المتوحشة فى امريكا الشمالية . يقول العلماء إن على الإنسان أن يبحث عن أصل الدين عند هذه الشعوب ، فالدين عندهم هو الدين فى طفولته (راجع : «Robertson Smith : Kinship and marriage in early Arabia, 1903»)[a] وهؤلاء الناس يعتقدون فى « التابو » (الحرمة) ، فهم مثلا لا يشربون من هذه البئر لأنها حرام ، وليس عندهم سبب عقلى لذلك بل عاطفة اجتماعية مجربة . ومثل ذلك عند العرب قديما فكانوا لا يذبحون الأرنب لوجود شبه يبين هذا الحيوان والإنسان من حيث المحيض . وقد نشأت الآداب من ذلك وإرتقت الإنسانية من السحر الى الدين «théorie de l'évolution de la magie à la religion» . أسماء قبائل العرب فى الجاهلية مأخوذة من طواطمها فمثلا أسعد ، بكر ، ثعلب ، ثور ، بحسن ، جحش ، هوازين .

نقد مذهب نشوء الأديان من السحر : المهم فى الأديان عضويتها[b] structure فلكل دين تفرقة بين الخير والشر ، والمعروف والمنكر ، ولكل دين عبادة وصلاة وقربان ؛ ولكن المهم مادتها وحقيقتها لا ألفاظها فقط . للعقائد مادة حقيقية . وفضل القربان فى العقود الاجتماعية مشهور (مسألة حقيقة الخوارق) .

---

a) جاء هذا المرجع فى الهامش .

b) كلمة «Structure» ترجمتها « بناء » أو « بنيان » أو « تكوين » وليس « عضوية » .

المحاضرة الحادية والثلاثون
اللغة العربية فى العالم

سلوك وفضل اللغة العربية فى العالم :

١ – نظرية رينان Renan

يقول رينان إن ثمة تضادا طبيعيا بين أحكام اللغة العربية ووضع مصطلح فلسفى بها .

ويقول إن اللغات السامية sémétiques لها خصوصيات وليست مثل اللغات الآرية . واللغة العربية هى اللغة السامية الوحيدة الحية الآن [a] وحكم رينان موجه نحو اللغة العربية فقط وإن كان يعرف اكثر اللغات السامية .

اللغات من حيث الآن تعبر عن الفكر وفيها المصطلح الفلسفى :
١) اللغة الصينية وهى لليابان كاللغة العربية للفرس .
٢) اللغات الآرية .
٣) السامية (العربية ووريثتها الآن) .

على أن اللغة الصينية ناقصة ، فلا يمكن أن يكون بها مصطلح فلسفى كاملا لأسباب منها أن كل كلمة فيها هى مقطع واحد ليس له نحو ولا تصريف . فمن الصعب التدقيق فى المعانى الفلسفية بواسطتها . أما اللغات الآرية والسامية (انظر كتاب رينان « فى التاريخ العام للغات الساميه » «Histoire générale des langues sémétiques» (ص ١٧ – ٢٥ – ٣٤٧ – ٣٦٥ – ٤٠٦ – ٤٠٧ – ٤٢٣ – ٤٢٩) [b] فرينان يقول بآراء غريبة بصددها . منها مثلا أن البادية لها تأثير مبدئى على العقائد فى الوحدانية ولذلك ظهر منهم الأنبياء . فاللغات السامية فيها هذه الخاصية . فمن الصعب التدقيق

---

a) نجحت اسرائيل فى إحياء اللغة العبرية وبالتالى فاللغة العربية لم تعد اللغة السامية الحية الوحيدة حاليا .
b) نعتقد أن الطبعة المشار اليها هنا هى طبعة Paris, Calmann Lévy وهى بدون تاريخ .

فى الأحوال الطبيعية وغيرها بواسطة اللغات السامية (العربية والعبرية) [راجع أيضا Renan «L'islamisme et la science», dans «Discours et conférences» 1887, p.402-409: مع رد الشيخ جمال الدين الأفغانى عليه] (وكانت محاضرة رينان قد ألقيت فى السوربون فى ٢٩ مارس ١٨٨٣) [a] .

يقول : « لا يوجد فى اللغات السامية السفر القصصى épopée ولا التمثيل drame ولا العلم science فى الزمن القديم ، وإن كان هذا موجودا فهو قليل ومنتشر فى المواخير وليس علوما مستقلة . ولا توجد بها فلسفة ولا علم الحياة ولا علم المدنية ولا الاجتماعية (الحضارة civilisation) . وكلها ممكنة فى اللغات الآرية فقط فلابد ان ننظر فى البراهين النحوية .

من المفيد هنا علم مقارنة الكتابات graphologie للإطلاع على مزايا الأشخاص والأمم . مثلا : المقارنه بين شكل النستعلق الفارسى والديوانية التركية والركعة المصرية [b] .

٢ - النحو :

للغات السامية خاصيات فى هذا الموضوع .

١) الإبدال phonétique

فهناك إرتباط بين المعنى والألفاظ على شكل ثلاثى الحروف trilitéralité des racines ثابت تتركب عليه الفاظ كثيرة . أول من تعمق فى هذه الخاصية السامية النحويان اليهوديان Jahúda Chayyug (المتوفى سنة ٩٠٠ ب.م) ، وأبو الوليد بن جناح (المتوفى ١٠٤٠ ب.م) . أما النحويون من العرب مثل أبو الأسود ومن العجم مثل سيبويه فاليهم يرجع الفضل فى وضع علم النحو بدون تقليد عند اليونان ، بخلاف اللغات الآرية . ويزعم Renan أن هذا نقص ، وأنه مانع للنشوء والتفنن والتنوع ، ولكنه فضل من حيث الإشتقاق dérivation (étymologie) لأنه ظاهر حتى للعوام من الساميين ، بخلاف ماحدث فى اللغات الآرية . ودوام الرابطة بين اللفظ والخط والإشتقاق هو فضل . (ثبوت شكل المعانى بالالفاظ أصل كثرة الجناس والإنشاء والإستعارة) .

٢) التصريف morphologie والإعراب flexion

---

a) جاءت هذه الجملة بالفرنسية بالهامش : «La conférence de Renan avait eu lieu à la sorbonne le 29 mars 1883»

b) جاءت هذه الفقرة فى الهامش .

خصوصيات العربية : عدم النشوء فى الإعراب من حال التركيب synthèse الى حال التحليل analyse (إلا فى الدارج مثلما فى بإستعمال « متاع ») . وهذا بخلاف اللغات الآرية . كذلك فى تنوع أشكال الأفعال formes verbales نتيجة لتغير أصلى باطنى بخلاف إستعمال حروف الجر prépositions قبل الافعال ، وهذا الإعتراض صحيح . أما مسألة الأزمنة temps verbales فخاصية السامية فيها أن للزمان معنى مطلق (sens absolu) يرجع إلى حال العمل l'état de l'action فقط ، أما فى اللغات الآرية فالزمان متناسب «sens relatif» أى منسوب إلى المتكلم celui qui parle .

٣) syntaxe النحو أو تركيب الجمل :

أما فى مسألة تاريخ معانى الألفاظ sémantique فكثرة المعانى من الخصوصيات العربية المشهورة ولو أنها تمثل صعوبة ، وهى عكس الحال المذكور سابقا فى مسألة ثبوت الأصول الثلاثية . وهذا هو السبب الذى أمكن به تحقيق كثرة المعانى فى اللغات السامية . ذلك هو النقص الذى منع اللغات الآرية من هذا الخطر لاغير .

٣ - الكلام :

يزعم رينان أن أسباب الاختلاف فى آداب اللغات السامية والآرية هى هذه الخاصيات . فلا يمكن أن يكون فى اللغات الآرية أصلا تدقيقا وإتساعات إلا فى الكليات والطبيعيات ، أما الاحساسات والعواطف والنظر إلى الأحوال الباطنية والعقائد الإلٰهية فهى مملكة اللغات السامية طبعا .

إنشاء الجمل أو تركيبها «stylistique-ordre des mots» بعضها مع بعض مع نظام عام :

هذا لا يوجد فى اللغات السامية اذا رجعنا إلى الشعر لا يمكننا أن نخرج من القصائد مثلا شيئا محدودا وفكرة رئيسية «pensée directrice» ، فالساميون ينظرون إلى المعانى على حدتها وإفرادها بخلاف الآريون فهم ينظرون الى حالة إرتباط المعانى بعضها ببعض «syntaxe de subordination» فالشعر والنثر وما إتصل بهما ، وكذلك الآريات فى الكتب القديمة وفى الفنون ، وغير ذلك من معبرات المعانى ، كلها فى اللغات السامية تحدد الأشياء التى تعبر عنها ، تحديدا مستقلا عن هذه الأشياء على انفصالها ، لا على مجموعها وعلى حالتها المتصلة المجتمعة . كذلك هذا الفرق الموجود فى البلاغة بكافة أنواعها ، نشأ من هذه الفطرة عند الساميين . الشعر عندهم على ما نعلمه فى جملتين :

ــ المشجع مع التوازى «parallélisme» فى المعنى بين الآيتين .

ــ البيت له الفضلية : وجود القافية وتنوع الوتد والفصيلة .

وفى كلاهما ثلاثة وجوه :

أولا : تناسق فى الأصوات «rythme dans la suite des sons» .

ثانيا : تركيب نحوى فى كل منهما «rythme syntactique dans la suite des éléments grammaticaux» .

ثالثا : نظام المعانى «rythme logique du développement des idées» .

ففى السامية النوع الأول أرقى وكذلك الثانى ولكن الثالث غير موجود عند الغربيين . هذا جدول فضل الكتّاب فى أدب الكتابة :

١) إختراع النعوت «innovations dans les épithètes» المفردة وهذا أهون .

٢) إختراع التقطع «innovations dans les coupes» أى نظام خاص فى سلسلة الجمل من حيث النحو syntaxe .

٣) إختراع إنشاء الجمل «innovation syntactique de la proposition» طبقة فوق طبقة مع الروابط النحوية . وهذا لا وجود له فى اللغات السامية مع نقصها فى حروف الجر .

أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجانى فى قسم من تأليفاته وكذلك ابن الأثير فى « المثل السائر » (راجع أيضا المقدمة لابن خلدون) .

المحاضرة الثانية والثلاثون
فى صفات العربية وخاصيتها الحاضرة

مسألة ترتيب العلوم :

١) من حيث النظريات الفنية .
٢) من حيث التعليم .
٣) من حيث ما يوجد محفوظا فى المكاتب العمومية من آثارها .
فى مسألة النظريات : لابد لكل فيلسوف أن ينظر إلى العلوم من حيث مبدئه .
قسم أفلاطون العلوم إلى ثلاثة أقسام :
١) العلوم التجريبية empiriques وهى الطب والفلاحة والملاحة .
٢) العلوم القياسية (الرياضية) وهى الارطماطيقا والهندسة ... إلخ .
٣) العلوم البرهانية وهى البرهان (المبنى على الحق) .
وعند أرسطو العلوم ثلاثة أقسام :
١) العلوم البيانية poétiques (وهى الأدنى) الخطابة والجدل والبرهان .
٢) العلوم العملية pratiques وهى الخلقية والاقتصادية وتدبير المنزل والسياسة .
٣) العلوم النظرية spéculatives وهى الرياضيات والطبيعيات ومابعد الطبيعة (وهى الأعلى) .

وهذا الترتيب هو المستعمل عند ابن رشد فى ترتيب البراهين ، وعند العرب فى رسائل إخوان الصفا ، الذين رتبوا العلوم إلى أربعة أقسام :
١) الرياضيات .
٢) الجسمانيات أو الطبيعيات .
٣) الجسمانيات والعقليات .
٤) الناموسيات أو الإلهيات .

قال الغزالى فى المنقذ من الضلال فى ترتيب العلوم عن ترتيب الفلسفة المقبول عنده إنها :
١) الرياضيات ٢) المنطقيات ٣) الطبيعيات ٤) الالهٰيات
٥) السياسيات ٦) الخلقيات (وهذا الترتيب هو ترتيب المشائين على مذهب ابن سينا) .

وعند ابن خلدون فى المقدمة مسألة الأركان السبعة فى الفلسفة :
١) المنطق ٢) الارطماطيقى (الحساب) ٣) والهندسة ٤) هيئة العلك
٥) الموسيقى ٦) الطبيعيات ٧) مابعد الطبيعيات .

وعند الغرب (occident) فى القرون المتوسطة رتبت على سبعة فنون ، ويظن أنه ناتج عن تأثير عربى ، ولو أنه يقال إنه تقليد لـ Boèce .

الفنون السبعة : sept arts libéraux وهى مقسمة إلى قسمين : (راجع : A. Clerval L'enseignement des arts libéraux à Chartres et à Paris dans la premiere moitié du XIIème siècle, 1880)

١) الطرق الثلاثية : «trivia» وهى النحو والجدل والخطابة .
٢) الطرق الأربعة «quadrivia» وهى الحساب والموسيقى والهندسة وهيئة الفلك .

وهذا قريب من الأركان السبعة عند ابن خلدون ، غير أنه لكونه توفيقى لم يذكر النحو ضمنها . والغربيون لم يذكروا الطبيعة ، لأنها لا تدخل عندهم ضمن العلوم لأنها ضمن هيئة الفلك .

ورتب بيكون Bacon الفيلسوف الإنجليزى العلوم إلى ثلاثة أقسام . وهذا الترتيب مقبول من d'Alembert وأصحاب دائرة المعارف الفرنسية :
١) العلوم الخيالية «sciences d'imagination»
٢) العلوم الحفظية «sciences de mémoire» وهى التاريخ (التاريخ الطبيعى ... الخ) .
٣) العلوم العقلية «sciences de raisonnement» وهى الإلهٰية والطبيعية والحيوانية .

وعند Hegel (هيجل) الألمانى المشهور والقائل بإن الموجود يثبت نفسه بالمعدوم نجد ترتيبا غريبا للعلوم :

١) المنطق «logique» أى علم الوجود الذهنى .

٢) حكمة الطبيعة «philosophie de la nature» (أى صدور الفكر عن الذهن) .

٣) حكمة الروح «philosophie de l'esprit» (أى فلسفة الروح الكلى) أو علم المطلق (absolu) .

وهذا لايصح إلا بترقى الإنسانية كما يقول رينان Renan : « إن الإله فى كما له سيوجد بعد الإنسانية لأنه نهاية الترقى المنتظر » .

«Et quand l'humanité ne sera plus, Dieu sera, et l'humanité aura contribué à le faire» [a] . Avenir de la science.

وعند الوضعيين positivistes كمذهب أوجست كونت Auguste Comte (من ١٨٢٦ إلى ١٨٤٢) ترتيب العلوم كالآتى

١) العلوم الأصولية (المجردة) «sciences abstraites fondamentales» وهى الرياضيات والهيئة والطبيعيات والكيمياء وعلم الحياة (علم تشريح الدماغ من ضمنه) ، وعلم الإجتماع sociologie .

٢) العلوم الفرعية (المادية) sciences concrètes appliquées [b] : العلوم الفلكية وهى علم السيارات فقط ، وعلم طبقات الأرض (géologie) و météorologie (علم الأنواء) والاقتصاد السياسى «économie politique» .

ويقسم H. Spencer سبنسر العلوم إلى ثلاثة أقسام :

١) العلوم المجردة sciences abstraites كالرياضة .

٢) العلوم المجردة (المادة) sciences abstraites-concrètes وهى الطبيعيات .

٣) العلوم المادية concrètes (من حيث الموجود الحقيقى) وهى علم الحياة وعلم النفس .

والترتيب الأخير هو نظرية Wundt [١١٥] الألمانى وهو ترتيب العلوم القانونته [c] sciences normatives إلى :

---

a) الترجمة الدقيقة لهذه العبارة هى : « وعندما تفنى الإنسانية سيبقى الله وستكون الانسانية قد ساهمت فى صنعه »

b) ترجمة هذا التعبير هى « العلوم المادية التطبيقية» c) ترجمة الـ sciences normatives هى « العلوم المعيارية » وليست « القانونية » .

---

(١١٥) Wilhelm Wundt (١٨٣٢ - ١٩٢٠) عالم فسيولوجى وعالم نفس ألمانى أول من أسس معملا تجريبيا لعلم النفس .

١) العلوم الخلقية Ethique .

٢) علوم الجمال Esthétique .

٣) علوم المنطق logique .

وقد اعترض عليه بعضهم .

ملحوظات :

١) ترتيب العلوم فى تأليفات Descartes على شكل الشجرة . أصل الشجرة علم ما بعد الطبيعة – ساق الشجرة علم الطبيعة physique ، وغصون الشجرة الثلاثة هى علم جر الأثقال وعلم الطب وعلم الأخلاق .

٢) ترتيب العلوم على رأى J. d'Alembert [١١٦] (قرن ١٨ ب.م) .

العلوم عنده قسمان :

١) علوم العالم cosmologiques وهى الرياضة وعلم جر الأثقال والطبيعة وعلم الحياة والطب .

٢) علوم الروح noologiques وهى علم اللغات (philologie) وعلم الاجتماع والتاريخ .

وفقا لنظرية Renan (فى كتابه L'avenir de la science ص ٢١١) دائرة علم اللغات «sciences philologiques» دائرة مستقلة أسماها « علوم الإنسانية» بخلاف « علوم الطبيعة » «sciences de la nature» .

---

[١١٦] Jean d'Alembert (١٧١٧ – ١٧٨٣) فيلسوف ورياضى فرنسى أسس مع ديدرو الموسوعة .

المحاضرة الثالثة والثلاثون

ترتيب العلوم «Classification des sciences»

من حيث نظم التعليم :

إن مسألة ترتيب العلوم من المسائل التى ينظر فيها فى تاريخ التعليم فى الجامعات ، ولا يُنكر أن للمقابلة بين برامج [a] التدريس programmes فى المدارس العالية الشرقية والغربية فائدة خاصة للفيلسوف مادامت الفلسفة هى « علم العلوم » وتاريخ التمدن العام .

أ - فى الشرق :

فى مصر : الأزهر : ترتيب العلوم للتدريس فى الجامع الأزهر (نقلا عن قانون الأزهر ١ يوليو سنة ١٨٩٦ مادة ١٧) .

العلوم قسمان (راجع مقدمة ابن خلدون) :

أولا : الوسائل وهى

١) النحو والصرف (لغة ووضع) .

٢) البلاغة (المعانى والبيان والبديع)

٣) المنطق .

وثانيا : المقاصد وهى :

١) الكلام ٢) الاخلاق الدينية ٣) الفقه ٤) أصول الفقه

٥) تفسير القرآن ٦) الحديث (والفلسفة والمناظرة أو الجدل وهيئة الفلك) .

ومن العلوم المفقودة فى التدريس الحساب وعلم الطبيعة (الطب) والكيمياء والجغرافيا (موجودة فى الترتيب الجديد) .

---

a) جاء فى الأصل « برنامجات » وهى كلمة لم تعد تستخدم أبدا حاليا .

لدى الفرس : نجف وقم واصفهان وحلة وحلب هى « ديار العلم » عند الفرس الشيعة تدرس فيها العلوم على التقسيم الآتى :

١ - العلوم الآلية instrumentales (= الوسائل) .

٢ - العلوم الدينية religieuses (= المقاصد) .

سلسلة العلوم فى تدريس مجتهدى الشيعة هكذا :

١) الصرف والنحو ثم ٢) المنطق ثم ٣) الفقه ٤) البلاغة ٥) أصول الفقه . أما علم الكلام فتعليمه اختيارى .

ب - فى الغرب قديما :

فى القرون المتوسطة كانت العلوم فى المدارس العالية فى « الفنون العقلية السبعة » وهى : النحو والجدل والخطابة والحساب والموسيقى والهندسة والفلك (الهيئة) .

قال العلامة Ribera الاسبانى فى نظريته الحديثة لأسس المدارس العليا فى الغرب إن ترتيب التعليم فيها مقتبس (أى البرامج) من المدارس الشرقية مثل النظامية (بغداد) ، وإن تقسيم الطلاب إلى « أمم » nations مثل « رواقات » الأزهر وإن حالها الاجتماعى غربى الأصل .

حـ - فى الغرب حديثا :

ترتيب العلوم فى جامعة شيكاغو (Chigaco) فى الولايات المتحدة وهى جامعة « كلية » حقا (نقلا عن تقرير Report الجامعة فى سنة ١٩٠٣) كالآتى :

الفلسفة - التربية - الاقتصاد السياسى (مع علم السياسة وعلم الإجتماع - التاريخ - اللغات السامية - اللغة السنسكريتية وعلم مقارنة اللغات - مقارنة اللغات الأدبية (classical أى اليونانى واللاتينى) - اللغات الرومانية الحديثة romaines مثل الفرنسية - اللغات الرومانية والانجليزية - الرياضيات - الطبيعيات - الكيمياء - علم طبقات الأرض والجغرافيات علم الحيوان - علم النبات - علم التشريح - الفقه .

من حيث مايوجد من آثارها محفوظا فى المكاتب العمومية والخصوصية (أى مقارنة

عددية (statistique comparée) . لايكفى للفيلسوف النظر إلى ماكتب رسميا فى البرامج بل عليه أيضا الإطلاع على ماحصل حقيقة بعد التعليم فى تأليفات أهل العصر فى كل فن من الفنون المذكورة فى تقرير المدرسين .

فلا بد أن نرجع إلى أصحاب علم الكتب (bibliographie) ومؤلفاتهم فى علم الإحصاء «statistique» لنفهم منها أهمية بعض العلوم من دون بعض بالنسبة إلى الأدباء فى تاريخ المدنية الإسلامية .

١) فى بغداد (أواخر القرن الرابع الهجرى راجع الفهرست لابن النديم) :

(١) لغات الأمم – اسماء كتب الشرائع – القرآن والقراء .
(٢) النحو (فى البصرة والكوفة وبغداد) .
(٣) الأخبار (رواة – نسّابين) والآداب والسير .
(٤) الشعر والشعراء .
(٥) المتكلمون .
(٦) الفقه والحديث .
(٧) الفلسفة والتعاليم والرياضيات والصنائع .
(٨) الأسماء والخرافات .
(٩) المذاهب والاعتقادات .
(١٠) الكيمياء والطلسمات .

٢) فى الآستانة (أواخر القرن الحادى عشر الهجرى)

نقارن الآن بين فهرسين ، فهرست مكتبة كوبرلى زادة محمد باشا ، الوزير العثمانى المشهور ، وبين مكتبة الشيخ سيدنا السنهاجى ، المقيم فى الأدوار بقرب من السنغال الفرنسى .

(عدد كتب خطّ)

أسماء العلوم	وقف كوبرلى (الآستانة)	مكتبة شيخ سيديا(سنغال)
قراءة	٢٤	
تفسير	١٨٥	٤٩
أصول الحديث	١٤	٩٨ (مع القواعد)
حديث	٢٤	
أصول الفقه	٥٨	١٣
فقه	١٣٤	١٠٨ (مالكى) ٧ شافعى ٢٢حنفى ١١حنبلى ٣)
فتاوى	٣٠	
فرائض	٢	
تصوف واخلاق	٩٧	٥٨
عقائد وكلام	٧٤	٥١
حكمة	٤٣	مفقود
منطق	١٧	١٠
نجوم – هيئة – حساب – هندسة موسيقى	٣٧	١٠
طب	٣٢	١٠
تواريخ طبيعية	١١	
تواريخ وسير	٢٠٣	٦٩ (مع الأخبار)
أدبيات	٢١٦	٩١ (مع الدواوين والعروض)
معانى وبيان	٤٤	٢٢

أسماء العلوم	وقف كوبرلى (الآستانة)	مكتبة شيخ سيديا(سنغال)
آداب واستعارة	٣	
نحو	٥٦	٤٩
صرف	٤	
لغات	٦٧	١٦
علم الآخرة – خواص – – وأسرار – تعبير – نساء وتزويج – ادب الملوك	مفقودة	٢٢
	١٥٩٦	٦٧٨

يظهر من هذه المقارنة ميل الأول إلى الأدبيات والفلسفة الدينية ونفور الثانى من الفلسفة والموسيقى مع ذوقه إلى الطلسمات ، وهذا رأى شيخ من مشايخ الصحراء وذلك رأى سياسى من سياسىّ الأتراك والفرق ظاهر وكذلك ترتيب العلوم عندهما .

درجة أهمية العلوم فى الغرب الآن من حيث عدد الكتب المطبوعة فى كل فن :

دفتر كتبخانة جامعة شيكاغو (التحصيلات من ١٨٩٩ إلى ١٩٠٢ – نقلا عن تقرير report سنة ١٩٠٣) .

٤٦٧	philosophie	الفلسفة
٨٠٥	pédagogie	التربية
٩٣٦	économie politique	الإقتصاد السياسى
٨١٤	science politique	العلم السياسى
٦١٦	sociologie	علم الإجتماع
١٤٦	sociologie religieuse	علم الاجتماع الدينى
٤٢٠	folkore	الأساطير

تاريخ الانسان	anthropologie	٣٠٣
مقارنة الأديان	religions comparées	٢٠٨
تاريخ	histoire	٦٢٠
اللغات السامية	langues sémétiques	٤٧٤
الإنجيل	nouveau testament	٤٣٤
السسكريتية – مقارنة اللغات	sanscrit et philosophie comparée	٣٠٢
علم الفنون الجميلة – فى أثينا وروما (a)	archéologie classique	٩٣
لغة اليونان	grec	٤٨٨
اللغة اللاتينية	latin	٥٢٥
اللغات الرومانية	langues romaines	٤٦٣
اللغة الجرمانية	allemand	٣٥٢
اللغة الانجليزية	anglais	١٦٩٠
الرياضيات	mathématiques	٤٤٢
هيئة الفلك	astronomie	٥٢٤
الكيمياء	chimie	١٨٧
طبيعة	physique	٣٣٢
علم طبقات الأرض	géologie	٣٧٣
الحيوان	zoologique	٩٠٠
التشريح	anatomie	٣٠١
علم الحيوانات القديمة	paléontologie	١٢٢
الأعصاب	neurologie	١٧٠

(a) علم الآثار القديمة .

١٣٣	physiologie	وظائف الاعضاء
٨٦	chimie	كيمياء
	pharmacologie	اقرباذين
١٩٧	biologie	علم الحياة
٧٣	bactériologie	علم العصيات[a]
٥	embryologie	علم الجنين
٦١	pathologie	علم الأمراض الباطنة
٦٤١	botanique	علم النبات
١١٧	discours	البلاغة
٤٢٩	histoire de l'église	تاريخ الكنيسة
٣٩٠	théologie systématique	علم اللاهوت
١١٢	rhétorique	علم أدب الخطيب
٩٢	divinité	علم أدب الدين
٤٦٣	commerce, administration	التجارة والدواوين
٦٤	musique	الموسيقى
٢٢	culture physique	ارتياض الجسم

[راجع فى هذا العلم الجديد تأليفات علماء علم وظائف الأعضاء فى « صناعة العمل l'art de travailler » ، « محصول آلات جسم الإنسان » مثل Mosso و Gilbreth و Zuntz و Chauveau وراجع تأليفات رؤساء المذاهب الدينية الأمريكية مثل Noyas و Fletcher] [b] . والقسم الأخير من الجدول السابق راجع إلى علم حديث هو المسمى بـ eugenics أى علم إصلاح نسب الجسم الإنسانى بوساطة وضع نظام للأكل ولكل وظيفة من وظائف الجسم .

a) علم البكتريا .   b) كل هذه الفقرة جاءت فى الهامش .

المحاضرة الرابعة والثلاثون
رؤوس المسائل ورؤساء المذاهب

لايوجد إلى الآن لتاريخ المذاهب الفلسفية العربية كتاب فيه جدول يبين لنا خطوات نشوء وتقدم الفلاسفة والحكماء ، ولذلك إخترنا للمقصود الترتيب المختار من قبل الغزالى ، فى كتابه « المنقذ من الضلال » لحسن تأسيسه . وهو الدليل (اليقين ومقياسه) أما ما يختلف الفلاسفة عليه فهو التواتر والقياس عند المتكلمين – العقل وعلم الوجود عند الحكماء – عصمة الإمام عند التعليمية – الإلهام عند الصوفية ؛ وزدنا بفرقة خامسة وهى « الاعتقاديون » أى الحشوية المتمسكون بالمتون المقدسة بلا قياس ولا تأويل .

وقسمنا الجدول إلى ثلاثة أقسام : منْ السنة ٢٠٠ (تاريخ هجرى) الى ٥٠٠
: من السنة ٥٠٠ (تاريخ هجرى) إلى ٧٠٠
: من السنة ٧٠٠ إلى الآن (١٣٦٦)

القسم الأول ، من بعد حسن بصرى وجهم بن صفوان وواصل بن عطاء ، إلى : الغزالى وإصلاح الكلام الأشعرى القديم ، وقبول أكثر المبادىء الفلسفية المردودة من قدماء الأشاعرة .

العصر الأول عند العرب

العصر الثالث الهجرى :

الاعتقاديون	المتكلمون	الحكماء	الباطنية (التعليمية والزنادقة)	الصوفية
	النظام ابو الهذيل العلاف والمعتزلة	قسطا بن لوقا (نصرانى)	تلاميذ ابن أبى العوجاء وبنى القداح	

الاعتقاديون	المتكلمون	الحكماء	الباطنية	الصوفية
أحمد بن حنبل ٢٤١	ابن كلاب ٢٤٠		الكيال	المحاسبى ٢٤٣
داود الظاهرى ٢٧٠	ابن كرّام ٢٥٥	الكندى ٢٧٠		سهل التسترى ٢٨٣
		أبو عيسى محمد بن الورّاق بن الراوندى ٢٩٩		ابن سالم ٢٩٧

العصر الرابع الهجرى :

	الجبائى ٣٠٣		الرازى (الطبيب) ٣٢٠	الحلاج ٣٠٩ والحلاجية
	أبو هاشم ٣٢١			
	الأشعرى ٣٣٠		ابن مسرة القرطبى ٣١٩	
	والأشاعرة		ابن بانوش	
	الماتريدى ٣٤٠	الفارابى ٣٣٩		
	سعيد الفيومى (يهودى) ٣٣٠	يحيى بن عدى ٣٦٤ (نصرانى)	إخوان الصفا	
		عيسى بن زرعة (نصرانى) ٣٩٨		

الاعتقاديون	المتكلمون	الحكماء	الباطنية	الصوفية
العصر الخامس الهجرى :				
	الباقلانى ٤٠٣			
	الاسفرائنى ٤١٥	ابن سينا ٤٢٨		
ابن حزم ٤٥٦	أبو الحسن البصرى	ابن الهيثم ٤٣٠		
	الجوينى ٤٧٨	ابو ايوب بن جبيرول (يهودى) ٤٥٠		
الأنصارى الهروى ٤٨١				القشيرى ٤٦٥

ملحوظات : أبو حيان : هو من « الزنادقة الثلاثة » مع ابن الراوندى والمعرّى . ابن مسرّة : كتب العلامة Asin Palacios ترجمة ابن مسرّة – المحاسبى له كتاب « الرحابات » وبينه وبين ابن حنبل مناقشة مشهورة فى إستباحة استعمال الكلام لإنتصار الدين . ابن سالم هو مؤسس مذهب السالمية – لأبى حيان كتاب « المقابسات » .

العصر الثانى عند العرب

(أى بعد إنقلاب أصول قدماء المتكلمين فى الأعراض والذرة وتفلسف الغزالى وتصوفه) .

الاعتقاديون	المتكلمون	الحكماء	الباطنية	الصوفية
القرن السادس الهجرى				
أبو الحسين يهوذى (له كتاب الخزرى) ٥٥٧	الغزالى ٥٠٥	ابن الصائغ ابن باجة ٥٣٣	أصحاب حسن ابن الصباح	ابن برّجان ٥٣٦

الاعتقاديون	المتكلمون	الحكماء	الباطنية	الصوفية
	الراغب الأصفهانى	ابن طفيل ٥٨١		
			شهاب الدين	ابن قسىّ
عبد القادر الكيلانى		ابن رشد ٥٩٥	السهروردى الحلبى	مسفر السبتى
له كتاب الغنية			٥٨٧	
٥٦١	فخر الدين الرازى	موسى بن ميمون		
	٦٠٦ يهودى	٦٠١ يهودى		ابن عربى ٦٣٨
القرن السابع الهجرى				
	نصير الدين الطوسى	الأبهرى ٦٦٣	ابن سبعين (٦٦٨)	صدر الدين
	٦٧٢		على الششترى	الرومى
المحقق الحلّى ٦٧٥		الكاتبى ٦٧٥	٦٦٨	عفيف الدين
الطوفى (حنبلى)٧١٦				التلمسانى

ملحوظات : الراغب له كتاب « الذريع » — الرازى صاحب « التفسير » إقتبس فيه من خصومه المعتزلة (أى أهل الجرجانية) بعض المقالات مثل الكلام المحدث فى محل الخ . وكان يقبل من المشائين مبادءها المنطقية مثل الغزالى بخلاف قدماء الأشاعرة . ابن الصائغ له نظرية فى الأفلاك وكتاب فى سرمدية العقل الفعال . ابن برجان له تفسير صوفى غريب — ابن عربى هو المدفون بالقرب من دمشق بالصالحية . مسفر السبتى هو مؤلف « النفخ والتسوية » أو « المضنون الصغير » أو « الأجوبة الغزالية » المشهورة المنسوبة إلى الغزالى . ابن سبعين من الأندلس انتحر بمكة .

العصر الثالث عند العرب

أى انهدام الفلسفة والكلام

الاعتقاديون	المتكلمون	الحكماء	الباطنية	الصوفيه
	ابن تيمية ٧٢٨			
	ابن القيم الجوزية ٧٥٠			
	الأيجى ٧٥٦			داود قيصرى ٧٥١
	التفتازانى ٧٩١		فضل الله الحروفى ٧٩٦	
	ابن خلدون ٨٠٨			عبد الكريم الجيلى ٨٣
	السيد الشريف الجرجانى ٨١٦	خواجه زادة ٨٩٣	الهند: كبير نانك	مولانا جامى ٨٩٨
		التوقانى ٩٠٠	الهند: أكبر شاه	
	جلال الدين الدوانى ٩٠٧	ابن كمال باشا ٩٤٠	قابض ٩٣٤	
	على القارى ١٠١٤	الأخضرى ٩٤١		الشعراوى ٩٧٣
		بهاء الدين العامل ١٠٣٠		
		أمير دأماد ١٠٤١		نور الدين شوشترى
		صدر الدين الشيرازى ١٠٥٠		أمامى ١٠١٤
		محسن الفيض ١٠٩١		عبد الغنى النابلسى ١١٤٣
				ابن عقيله ١١٥٠
ابن عبد الوهاب ١٢٠٦	السيد المرتضى الزبيدى ١٢٠٥	أحمد البحرانى (شيخية)	١٢٤٣	
نعمان آلوسى		جمال الدين الأفغانى ١٣١٥	الباب (البابية)	
			صبح الأزل (أزلية)	
	الشيخ محمد عبده		البهائية: بهاء الله	يوسف النبهانى
	رشيد رضا	شبلى شميل (نصرانى)	البهائية: عبد البهاء	

ملحوظات : السيد المرتضى هو شارح الإحياء للغزالى . النبهانى هو مؤلف « الأنوار المحمدية » و « المدائح النبوية » وقد ردّ عليه السلّامى فى « غاية الأمانى فى الرد على النبهانى » (مصر ١٣٢٧ – جزءان) .

المحاضرة الخامسة والثلاثون
تتمة رؤوس المسائل فى تاريخ الفلسفة العربية

بعد ماختمنا البحث فى الإصطلاحات على ترتيب العلوم وفن بعد فن ، فلنا الآن أن نجمل بكلام وجيز خاصيات هذا التاريخ من حيث هو عربى والدلائل الدالة على أنها من مزية التمدن العربى .

١ – المنطق

فلاسفة العرب مذهبان : ـــ مذهب الحكماء ، الذين قبلوا حدود المقولات العشر والمفردات الخمس على أصول ارسطو (راجع ابن سينا) .

ومذهب القدماء من المتكلمين (الأشاعرة) الذين أنكروا وجود المفردات والمقولات النسبية كلها ، (إلا الأين وهو عندهم كون الجوهر الفرد (atome) بعد « كاينيته » بالحيّز) . وزعموا أنها « أحوال » أى أشياء « بين الوجود والعدم » . أنكروا أيضا حقيقة النسبة بين العلة والمعلول (وهى أصل حد العلم فى مذهب ارسطو) ، قال الباقلانى « العرض لايبقى زمانين » لكن « يخلق الله تعالى فى كل وقت » .

جمع ابن سينا فى كتبه – البراهين القاطعة ضد هذه النظرية أى ضد الجوهر الفرد و « الآنات » متناهية العدد (= آحاد الزمان) ؛ وقبلها الغزالى وفهم من نقص كلام الأشاعرة مافهم ، ولذلك إجتهد هو وفخر الدين الرازى فى تأسيس مذهب كلامى منطقى ، يقبل فيه العلية وسائر المفردات ، وكذلك إجتهد ابن رشد فى تبين إتصال الحكمة والكلام .

٢ – فى مسائل العدد (الرياضيات)

نكر الأشاعرة وجود العدد والزمان بخلاف الحكماء ، وجوزوا وجود الخلاء (vide) بخلاف الحكماء .

٣ – فى مسائل المادة (الطبيعيات)

مقالة أثنينية [a] الطبيعة : الهيولى (matière) والصورة (forme) . هذه نظرية يونانية مؤسسها

---

a) الثنائية .

أرسطو ، وقد قبلها أكثر الباطنية (إخوان الصفاء) والحكماء . وعندهم لا وجود للهيولى إلا بإنطباع « صورة » عليها ، والصورة هى العلة الفاعلة والعلة الغائية للهيولى مثل النفس (نباتية – حيوانية – ناطقة) للجسم .

الصورة (عند الحكماء) ولو أنها « علة فاعلة » للجسم فهى « روحانية » لا « جسمانية » . وهى جوهر لأن الجوهر « ماليس بموضوع » . أما المتكلمون الأشاعرة فعندهم الجوهر « ماليس بمحل » وكل جوهر موجود فلابد له من كاينية » والكون هو « الأين » . (أنكر الأشاعرة كل المقولات إلا الأين) . كل جوهر عندهم متحيز ولذلك كل صورة متحيزة بخلاف نظرية الحكماء (راجع فخر الدين الرازى : « أساس التقديس » – ص ٨١) [a] .

وهذا الاختلاف أصل المناقشات فى مسألة حلول الروح فى البدن وحلول الفيض الالهى فى الروح الإنسانى (مقبولة عند الحكماء مردودة عند المتكلمين الأشاعرة القدماء) .

٤ – فى مسائل علم النفس

مسألة حلول الروح فى البدن (أثنينية [b] الإنسان) .

مسألة حقيقة شخص الإنسان ماهى (الروح = العقل = الحياة ، أو مركب من الجسم والروح ... الخ)

مسألة قدم المادة (حكماء) مسألة قدم الأرواح (صوفية وتناسخية)

مسألة حقيقة العذاب بعد الموت (أهو روحانى وجسمانى أو روحانى فقط كما زعم الحكماء) .

مسألة العقل الفعال والعقل المنفعل (أو المستفاد) – نظرية ابن الصائغ وابن رشد بأن العقول المنفعلة فانية .

٥ – فى الأخلاق الاجتماعية

مسألة العقد الإجتماعى ماهو (الوحى والتواتر ؟ العقل والعلم ؟ عصمة الإمام ؟ الإبهام ؟)

---

a) كتاب أساس التقديس – طبع بمطبعة كردستان العلمية – مصر ١٣٢٨ هـ ، ص ٨١ b) ثنائية .

[راجع الفارابى « آراء المدينة الفاضلة »] .

ـــ مسألة التوبة (فرض – أم لا؟) ـــ مسألة النجاة (بالشفاعة بدون توبة ؟)

٦ – فى الإلهيات

المذاهب الثلاثة فى معنى الوجود :

مذهب الحكماء : أن للموجود مفهوما واحدا مشتركا بين الموجودات ، والموجودات حقائق مختلفة متكثرة بأنفسها . فهناك أمور ثلاثة :

١) مفهوم الوجود العام وحصصه المنفعية بإضافتة الى الماهيات والموجودات الخاصة المختلفة الحقائق .

٢) مفهوم الوجود ذاتى داخل فى حصصه – وهما خارجان عن الموجودات الخاصة .

٣) الوجود الخاص عين الذات فى الواجب تعالى وزائد خارج فيما سواه .

مذهب الأشاعرة : أن للوجود مفهوما واحدا مشتركا بين الموجودات ، وهو يتكثر ويصير حصة حصة بإضافتة إلى الأشياء . ووجودات الأشياء هى هذه الحصص . وهذه الحصص مع ذلك المفهوم الداخل فيها خارجة عن ذوات الأشياء زائدة عليها ذهنا . (راجع الذرة الفاخرة للجامى [a]) .

مذهب الصوفيه (الوجودية) : أن مفهوم الوجود العام زائد على حقيقة واحدة مطلقة موجودة هى حقيقة الوجود الواجب تعالى وهو (أى هذا المفهوم الزائد) أمر اعتبارى غير موجود إلا فى العقل ، ومعروضه موجود حقيقى خارجى هو حقيقة الوجود .

مذهبان فى مسألة « براهين وجود الواجب تعالى وإثبات الصانع تعالى » :

١) طريق الأشاعرة (عدد الطرق ١٥) مثل « طريق التجويز » و « طريق التخصيص » و « طريق التمانع » تمسك الباقلانى بحقيقتها .

٢) طريق الحكماء (راجع المحاضرة ٢٧) و (راجع موسى بن ميمون فى كتابه « دلالة الحائرين » للمقارنة بين الطريقين) .

نظرية وحدة الأديان المنسوبة إلى الحلاج (« لكل عهد وثيقة ») والى عبد القادر الكيلانى

---

a) جاءت فى الهامش .

« مافى المناهل منهل مستعذب الأولى فيه الألذّ الأطيب » والى ابن عربى « عقد الخلائق فى الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه » ورد الغزالى (فى أواخر « المشكاة » مثلا) وكذلك ابن تيمية عليها .

مادة الامتحان

فى تاريخ الإصطلاحات المنطقية : المقولات العشر (راجع المحاضرة ٣) .

فى تاريخ الإصطلاحات الرياضية : أنواع (أصناف) الأعداد (راجع المحاضرة ٨) .

فى تاريخ الإصطلاحات الطبيعية : المذاهب فى الذرة (راجع المحاضرة ١٣)

فى تاريخ الإصطلاحات فى علم الحياة : المذاهب فى معنى الحياة (راجع المحاضرة ١٥)

فى تاريخ الإصطلاحات فى علم الحياة : المذاهب فى معنى النوع (راجع المحاضرة ١٧)

فى تاريخ الإصطلاحات فى علم الحياة : المذاهب فى معنى الغريزة (راجع المحاضرة ١٨)

فى تاريخ الإصطلاحات فى علم النفس : المذاهب فى أصل اللغات (راجع المحاضرة ٣١)

فى تاريخ الإصطلاحات فى علم الأخلاق الاجتماعية : مذاهب الأخلاق (راجع المحاضرة ٢٣)

فى تاريخ الإصطلاحات فى علم الأخلاق الاجتماعية : مذاهب فلسفة التاريخ (راجع المحاضرة ٢٦)

فى تاريخ الإصطلاحات فى الإلهيات : تناقضات « كانت » (راجع المحاضرة ٢٧)

فى تاريخ الإصطلاحات فى الإلهيات : وحدة الوجود (راجع المحاضرة ٢٩)

فى تاريخ الإصطلاحات فى الإلهيات : علم الأديان (راجع المحاضرة ٣٠)

الكتب : للغزالى : « المنقذ من الضلال » (القول فى الفلاسفة من ص ١٠ إلى ص ٢٠ ومن ص ٤٣ — ٤٩) — « إحياء علوم الدين » [كتاب العلم ج ١ باب ٣ بيان مابُدل من ألفاظ العلوم] .

لابن رشد : كتاب « مابعد الطبيعة » [حد الجوهر ص ٧٠]

لابن تيمية : كتاب فى مذهب الوحدة (فى « جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين — لابن الألوسى طبع بمصر ١٢٩٨ ص ٥٤ — ٦١) .

لابن خلدون : المقدمة (باب المنطق) .

المحاضرة السادسة والثلاثون

الفلسفة ومصطلح الدارج La philosophie et le lexique des langues vernaculaires (vulgaires)

١ - الدارج العربى والمصطلح الفلسفى :

زعم بعض الكتاب من أهل العصر وهو الشيخ جميل صدقى الزهاوى البغدادى (مدرس فى دار الفنون بالأستانه سابقا) فى كلام له أن الدارج سوف يكون هو الآلة المستعملة من أصحاب العلوم كلها فى الشرق مثلما فى الغرب . وكما غلب الدارج الوطنى على اللاتينى الأصلى فى كل وطن من أوطان أوروبا كذلك سيغلب الدارج المصرى فى مصر والدارج الشامى فى دمشق والدارج العراقى فى بغداد على العربى الفصيح الأصلى فى تأليفات العلماء كلها ، وهذا نتيجة من نتائج قوانين نشوء اللغات .

[راجع المؤيد » أغسطس ٩ سنة ١٩١١ (مجلة العالم الإسلامى ج ٧ ص ١٦٨١ إلى ٦٨٢] [a] .

أدلة هذه النظرية :

١) الدراج العربى ، نحوه وصرفه ، أوفق للتحليل analyse من الفصيح . وهذا فضل .

٢) الخطب والتأليفات الفلسفية كمرآة الحالات النفسية المجرَّبة من الفلاسفة فى تجاربهم وحياتهم ، ولاينكر أن لسان الحال وترجمان العواطف وآلة القياس النفسى لكل طالب من طلاب العلم هى لغته الدارجة أصلا . تولدت الأفكار أولا فى دماغه بالدراج ، ثم نقلها للسامعين بالفصيح ، ولكن فى بعض الأحيان لايكون لأى لفظ من ألفاظ الفصيح قوة تأثير العبارة الدارجة الأصلية ، ولذلك يحفظ المؤلف فى وسط متنه الفصيح العبارة الدارجة بعينها مثلما عنى Russell المنطقى الانجليزى بعبارته «Zigzag theory» أى نظرية « الزيقزاق » . و « زيقزاق » بالدارج الانجليزى معناها خط منحنى على شكل البرق (بالفصيح) .

---

a) جاءت الهامش .   b) من العجيب أن ماسينيون يقول أن رسل أمريكى .

٢ - نظرية الزهاوى واسنادها التاريخية :

من المشهور أن Cicéron و Lucrèce هما المجتهدان اللذان بأمرهما نقلت الفلسفة اليونانية إلى اللغة اللاتينية ، ولم يكن لها فضل للمفكرين قبلا . كذلك اللغة الفارسية قبل أن يؤلف البلعمى ترجمة تاريخ الطبرى ، وابن خفيف وباباكوهى رسائلهما فى التصوف .

ـــ دوارج أوروبا لم تكن مستعملة فى التفكير الفلسفى حتى القرن الـ ١٧ بعد الميلاد . تأليفات Bacon (الانجليزى) و Newton (الانجليزى أيضا) و Spinoza (الهولندى) و Leibnitz (الألمانى) ، أكثرها باللغة الاتينية . أما الفرنسى Descartes بالرغم من كونه مؤسس لمذهب جديد ، فمن المشهور أن « تأملاته » [a] Méditations أصلا باللغة اللاتينية والترجمة الفرنسية قام بها المؤلف .

٣ - المجال الشعوبية وعمومية اللغة العربية :

اسم « الشعوبية » اسم مذموم ، فهم الشعراء الذين فضلوا الطوائف فوق الأمة فى زمان الدولة العباسية ، وهم منادون بإصعاد ملوك الطوائف وبإنحدار الخليفة . خليفة اللغة العربية الفصحى خليفة موجودة باقية إلى الآن لغته فصيحة . اللغة الفصيحة مال مشترى لكل الأقطار العربية بل الإسلامية . لكن إذا غلب الدارج على الفصيح فى تأليفات علماء الحكمة والكلام تفقد الأمة هذه العمومية المهمة المفيدة ، وتصير آراء فيلسوف الشام « حرما » للفيلسوف المصرى ، ويصير كتاب المصلح الدينى النجدى مختوما محروما لمسلمى الهند ، وهذا نقصان عظيم .

حقيقة خطر إنقسام خليفة اللغة العربية الفصحى إربا إربا خطر ظاهر ، ولكن الأدوية موجودة وهى :

١) تصفية الفصيح بواسطة الجرائد والمجلات العربية واجتهاد الكتاب (مسألة تأسيس محفل الأدباء أى Académie فى مصر)[b] [راجع مقالة جرجى زيدان فى الهلال سنة ١٩١٢] .

---

a) جاء فى الأصل « مفكراته » .

b) يثير الأستاذ ماسينيون قضية مازلنا نبحث فيها إلى الآن ، وهى قضية اللغة العربية الفصحى ، وعلاقتها بالعامية . ولايكتفى بهذا بل يقدم حلولا للمحافظة على الفصحى منها : إنشاء « محفل للأدباء » وهو ماتحقق بالفعل وكان الأستاذ ماسينيون نفسه عضوا بارزا فيه ونقصد به « مجمع اللغة العربية » .

٢) تمسك علماء الدين باللغة القرآنية ، وهى علامة وبيرق وحدة الأمة الإسلامية (مثل الطقس اللاتينى علامة وحدة الكنيسة) .

٣) إحياء الفصيح بقبول بعض الإصطلاحات المفيدة الجديدة (غربية أو دارجة) ، لأن كل لغة علمية قد اكتمل قاموسها فهى ميتة مطلقا مثل رموز أصحاب السيميا ، مثل الاشباح الجديدة المسماة « لغات عمومية » langues universelles] مثل la langue bleue أو Volapük (أولابيكى) أو الـ Esperanto (إسبيرانتو) أو Ido (أيدو)] فليس للتفكير الفلسفى فائدة منها البته كما لا فائدة لطالب الحقائق من ظل الشخص عوضا عن شخص الإنسان الناطق .

المحاضرة السابعة والثلاثون
فى شروط إحياء التفكير الفلسفى العربى [a]

Conditions actuelles de la pensée philosophique en langue arabe

١ - العلم والفلسفة والأحوال الحاضرة

العلم «science» معناه « جمع وتركيب المعلومات البشرية » فى الإصطلاح الغربى منذ «Bacon» « باكون » . أما فى الشرق فمعنى العلم جملة المعلومات العقلية والموحى بها [راجع أيضا محاضرات الأستاذ Santillana : المحاضرة الأولى] [b] قال أفلاطون العلم إستقامته ناتجة عن الإحساس بالتفكير الذى به وحده ندرك الذات والحق .

قال أرسطو العلم بحث الكلى والعلل ، والفرق بين علم العلماء وعلم العوام connaissance vulgaire ، إن قياس علم العلماء قياس لِمىّ وقياس علم العوام قياس انىّ . إن الفلسفة philosophia هى عوض عن sophia ، أى المعرفة منذ فيثاغوراس . قال أفلاطون الفلسفة (أى الحكمة) هى علم الغيب ، ولذلك كان يتمثل حال الناس فى الدنيا بحال سجناء فى مغارة caverne . [أول من سمى نفسه « فيلسوفا » بين فلاسفة الإسلام أظنه الرازى الطبيب فكان يقول : « أنا أسمى فيلسوفا » (راجع ابن أبى أصيبعة فى ترجمته ج ١ ص ٣١٣] [c] .

قال أرسطو الفلسفة هى علم الأوليات .

وقال وندت الألمانى «Wundt» وفقا لنظرية أكثر المتأخرين الفلسفة هى تركيب يتألف بن العلوم «synthèse organisatrice» أى الفلسفة انتظام العلوم معا systématisation de la science .

---

a) جاء فى الأصل : « وهى الأولى من ثلاث تتناول شروط التفكير الفلسفى فى اللغة العربية » . b) جاءت فى الهامش . فى تلك المحاضرة الأولى يتحدث سنتلانا عن المذاهب الفلسفية اليونانية المختلفة وعن مدى تأثيرها فى المذاهب الإسلامية سواء كانت فلسفية أم كلامية c) جاءت فى الهامش .

اذا قصدنا الفرق الذى بين العلماء والفلاسفة الآن من جهة الطريق والمقصود فهو هذا : بدأ العلماء بالهيولى والجوهر الفرد أى الذرة ، بينما بدأ الفلاسفة بالصورة والجوهر المفارق أى الروح . طلب العلماء الدليل على أن أصل الحقيقة هو الذرة وحيدة الشكل وعلى أن حقيقة تنوع الصور والأشخاص وهم راجع ال عين وحيدة كلية لا شخص لها ولا شخصية (مثل الإرادة والضمير الخ) [أفضلية المادة هنا] . بينما طلب الفلاسفة الدليل على أن فى الدنيا (والآخرة) حقائق متنوعة حقا (وأصل التنوع الخلق عند الحكماء المتدينين) ، وعلى أن الأوصاف الكلية مثل صفات المادة لا وجود لها إلا بإنطباع صورة من الصور على الهيولى ، وأن الصور هى الحقائق المتنوعة المذكورة [أفضلية الصورة هنا] .

مسألة فائدة البحث الفلسفى . ولد فى وسط « غارة » الأعداء على العالم العربى التمسك بما يظهر للجندى من قبيل أن الفلسفة إنما هى خدمة عظيمة للأمة (حكاية الهندسى اليونانى أرخيميدس المستغرق فى علمه حينما غار العدو على وطنه) . إبقاء بعض الأوطان المظلومة عليها مثل بولونيا Pologne وإيرلاندا (Irlande) يصبرّ أدباءهما على تأليفاتهم ويحول دون فتن السياسيين . إن مادة الوطنية هى ما يعمل أهل الوطن فإذا توقف عقل الوطنيين لإنشغاله بصنم الوطنية ستفنى الوطنية .

٢ - صناعة الترجمة والنقل إلى العربية

أكثر المترجمين (من اللغات الغربية إلى العربية) فى هذا الوقت الحاضر يترجمون حرفا حرفا لا معنى معنى ولذلك كتب مثل « روح الاجتماع » وهو مترجم عن «Psychologie des foules (مؤلفه فرنسى G. Le Bon) الخ قليل الفائدة لإحياء التفكير الفلسفى عند العرب [a] .

المطلوب الآن مقالات ورسائل تكون فيها عناصر المعانى بعد تقطيرها فى شكل نقاط ، لا مجموعات فيها طوفان الألفاظ الغربية المَعرّبة بدون قانون ألفاظ لايمكن للقارىء فهمها إلا بالرجوع إلى المتن الأصلى . يلزمنا الآن إذن الرجوع إلى طريق كبار مترجمى الفلسفة اليونانية وشراحها من عهد الكندى الى عهد ابن رشد ، أعنى الرجوع إلى مذهب وأفضلية « مدلول اللفظ على الأمر القائم بالغير » أو « أفضلية حفظ المعنى النفسى على حفظ ظاهر العبارة » .

---

a) المقصود هنا الترجمة الأولى لهذا الكتاب والتى قام بها أحمد فتحى زغلول باشا عام ١٩٠٩ اذ أن عادل زعيتر ترجم ذات الكتاب ترجمة أخرى عام ١٩٥٥ .

٣ -ماينفع :

أن يترجم من الكتب الفلسفية الغربية الحديثة

المنطق : رسالة فى مذهب اللوجيستيكيين مثل الرسالة المذكورة هنا ص ٢٣ (Padoa) بالهامش .

الرياضيات : رسالة فى منتقدى أوكليديس (راجع هنا ص ٣٦ - ٣٧) رسالة فى فضل خاصيات الموسيقى وفلسفته .

علم الطبيعة : قاموس إصطلاحاته . ورسالة J. Mac Pherson : English arabic Vocabulary of scientific forms (68 pp.) Barbey Cairo 1912 غير كافية .

علم الحياة : رسائل على طريقة رسائل شبلى شميل يدل بها إلى المذاهب الجديدة .

علم النفس : رسالة فى حاصل تأليفات علماء الغرب وهى مختصة بما سمى « بالتجربة الدينية » (راجع «W. James : The varieties of religious experience» لمقارنة التصوف ببعض المذاهب فى الغرب) .

علم الاجتماع : رسالة عامة مثل « قوانين التقليد » Lois de l'imitation, par Tarde . يفتقد الشرق الى الآن الرسائل المختصة بوصف أحوال أصحاب الصنائع حسب بلدهم مصر أو دمشق الخ (راجع رسالة إيليا قدمى فى «Corporations à Damas» أى « خاصيات أصحاب الصنائع بدمشق » ، وتأليفات تلاميذ لا بلاى La Play منذ ٥٠ سنة فى أوروبا (monographies de science sociale)

علم الوجود : رسالة تتناول مذاهب الوجوديين الحديثة مثل Bradlley [١١٧] بالانجليزية و Meyerson بالفرنسية و Spir بالروسية ، أما بالنسبة للعلوم كلها فأحسن الموجود من قواميس فهو فرانسزجه دى تركجه به إصطلاحات لغتى » أثر آندون ب طنغر وكرفور سنابيان . [a] - «Dictionnaire français turc des termes techniques» par Anton B. Tinghir et Krikor Sinapian. 2Vol (423,565 Canstantinophe. Bagdadlian) .

---

a) من الواضح أن هذا العنوان باللغة التركية .

---

[١١٧] الرسالة المعنية هنا هى فى الأغلب Appearance and Reality وقد صدرت لأول مرة عام ١٨٩٣ .

أما الإصطلاحات الفلسفية خاصة فليراجع « كتاب كشاف إصطلاحات الفنون » تأليف محمد على بن على التهانوى و Sprenger وطبع Calcutta 1862 . وراجع أيضا Max Horten : Die spakulative und positive theologie im Islam, nach Ràzi und ihre Kritik durch Túsi» Leipzig 1912 pp. 123-274 et 275-383 verzeichnis philosophischer termini im arabischen .

المحاضرة الثامنة والثلاثون
(وهى الثانية فى مسألة إحياء التفكير الفلسفى فى الأقطار العربية)

١ – مراكز المدنية العربية فى العالم

ليست هذه المراكز من وضع السلاطين والأمراء الآن ، بل هى نتيجة الترقى الإقتصادى العام . إن إحياء التفكير الفلسفى ظاهرة موجودة الآن فى بلدان متفرقة فى أطراف دائرة العالم العربى (وهى أظهر مما فى قلب العالم العربى) .

١) الصين : الحركة العلمية الإسلامية : الحركة العلمية الإسلامية فى خربيت وبون نانا وشين سى وكان سور يابان وجزائر الفيليبين وسولو (سلاطين جولون يروناوى وسراوالى) .

٢) الملايو : تجار سنغافورة (Singapore) جاوى (جمعية تمت بغتهوان – شركة الاخوان علوى – بودى أوتومو وحزب « حوجاونتى الفتاة » «Jeune Javanois» منذ سنة ١٩٠٨) .

٣) الهند : تجار جاى ويسكّر وكاغد (بنجاب – لاهور – حيدرا باد – بومباى والغزالين) – كويت – زنجبار – يمن – مهاجرو الهند فى جزيرة Maurice .

٤) روسيا : قزان ـــ أوربنـور غ – أوفة – كريم – باكو – طاشقند

٥) سنغال – نياسالاند – ناتال – مهاجرو سوريا فى غينيا ونيجريا وهايتى وأمريكا كلها .

هذه جملة أسماء البلاد التى فيها ترقى اقتصادى عربى وتجار من أهل الاسلام أو من نصارى سوريا .

هذه خريطة مراكز المدينة العربية فى المستقبل لأن انتقال مدينة فى بلد من البلاد يتوقف على ثلاث :

١) توطن بعض التجار وازدياد أموالهم .

٢) نفقاته الاقتصادية : تأسيس مطبعة وجريدة ومجلة .

٣) نفقاته الاجتماعية والدينية : بناء مدرسة وكلية وجمعية أدبية ـــ (أوقاف) .

٢ - الجرائد والمجلات والمطابع :

تاريخ المطبوعات العربية هو تاريخ إحياء التفكير الفلسفى العربى منذ ثمانين سنة (راجع فارس شديق المتوفى سنة ١٣٠٥ وتأسيس « الجوانب » فى الآستانة سنة ١٢٧٧) .

الجرائد : الأولى بمصر « الوقائع (١٨٢٨ - ١٨٥٨ - رسمية) . الأولى بالآستانة سنة ١٨٣١ - قانون سنة ١٨٦٤ - فى أواخر سنة ١٩٠٨ عدد الجرائد ٣٨٠ فى تركيا (طنينة - اقدام فيها مقالات فلسفية) . فى كريم : « ترجمان » (باعجة سراى - مؤسس غاسيرينسكى بك) فى بترسبورج : « التلميذ » .

فى الشام أكثر الجرائد ملك للنصارى المارونية وهم مؤسسى الجرائد العربية فى كل بلد (البشير سنة ١٨٦٩) . فى مصر : الأهرام سنة ١٨٧٦ - المقتطف سنة ١٨٧٧ (نصارى) - المؤيد ١٨٩٠ (مسلم - الى ١٢٠٠ نسخة) - اللواء (أى العلم) - الجريدة .

A. La Châtelier : La position économique de l'islam, dans «Revue économique internationale», Bruxelles, Juillet 1910 ; 46 pp. (a)

فرس الهند : « حبل المتين » سنة ١٨٩٢ (الادارة فى Calcutta) وهو للفرس مثل المؤيد للعرب - «ارشاد» (أحمد بك أغايف فى باكو) « صور اسرافيل » بطهران . كان عدد الجرائد فى اللغة الأردية urdu لمسلمى الهند : ٢٣ (فى سنة ١٨٥٠) وأصبح ١٠ فى سنة ١٨٧٦ ، و٢٠ فى سنة ١٩٠٨ . فى بغداد منذ ١٩٠٨ كثرات الجرائد الهزلية فى الملايو منذ سنة ١٨٥٥ . « النظارات » منذ ١٨٥٨ فى سنغافورة Singapore . فى زنجبار (جريده إسماعيلية - فى اليمن : « صنعاء » (جريدة رسمية) - فى مكة : « الحجاز » (جريدة رسمية) . فى طنجا : « الصباح » و « السعادة » . فى فاس « الطاعون » . فى امريكا جرائد النصارى مرآة العرب : « الجامعة » (New york) و « المحيط » و « الهدى » . فى البرازيل : (Sao Paolo) « المناظر » و « الأفكار » و « أبو الهول » ، فى Buenos Ayros « الزمان » . فى «Mexico» جريدة عربية أيضا .

المجلات العلمية الفلسفية : « المقتطف » و« المشرق » (نصارى) « المنار » و « البيان » (الاهور) و« العلم » (نجف) و« العرفان» (صيداء) و« المقتبس» (دمشق) .

---

a) جاء فى الهامش .

٣ – المدارس والاجتماعات العلمية Clubs et sociétés [a]

فى كتكازية المنتدى « فجات » (مؤسسة تقيوف سنة ١٩٠٥) ، فى استراخان « الخان استفكس » و « الجمعية نشر معارف » (مؤسسة أغاينا) .

فى الهند : كلية Aligarh (عليكرة) مؤسسها سيد أحمد خان سنة ١٨٧٥ (فيها ٤٥٦ تلميذ سنة ١٨٩١) . « الجمعية الهندية الاسلامية » «All Moslem League» (لها مؤتمر كل سنة) أسست فى مدراس سنة ١٩٠٨ .

فى فارس : راجع ماقيل من جهة مجتهدى نجف ومن جهة المصلح المسمى محمد على بهة ديزفولى .

فى تركيا : كلية دار الفنون ــ تأليفات الكواكبى (أم القرى)

لجنة لتأسيس كلية فى قونية Konieh

فى مصر : الأزهر – الجامعة المصرية [b] – دار الدعوة والارشاد فى تونس : الخلدونية – الزيتونة (عبد الرزاق الغطاس وعبد الجليل زاوش) .

فى الجزائر : محاضرات الراشدية : فى فاس القيروان

مُسألة ترقى تدريس الطب بين العرب .

مسألة تربيه البنات (فى اللغة العربية لا فى اللغات الأجنبية فقط) .

---

a) الترجمة الدقيقة للعنوان الفرنسى هى « النوادى والجمعيات » ولو أن المضمون يعنى بالإضافة إليها المدارس بل والجامعات

b) يقصد الجامعة المصرية القديمة بالطبع فالأخرى لم تكن قد أنشأت بعد .

المحاضرة التاسعة والثلاثون

شهادة اللغة العربية بين الأمم وفُضُلها الخاصة فى تاريخ المدنية العامة

١ – شهادة اللغة العربية

مقصدنا بيان مافى تاريخ الفلسفة العربية من الشواهد الدالة على « مزايا » هذه اللغة العربية ، والى سجاياها ، والى سليقتها ، وخليقتها ، والى الطبع الذى انطبع بأمر رجالها على التمدن العام .

لكل لغة سليقتها الخاصة ؛ وشخصية اللغة ظاهرة فى بلاغة كتابها وشعرائها . للشاعر أن يطبع مع حروف لغته صور كاملة فوق السبائك العامة الجارية بين يدى كل إنسان مع العواطف والأفكار .

قد نعت أخيها كم أخت من قبل الخنساء ولكن نعاءها له حسن شخصى مستقل .

فلكل لغة قيمة للبدل «valeur d'échange» بين الناس فى « تجارة الكلام » ، ونفهمها من قيمة هذه « النقود » المطبوعة من الكتاب والشعراء (أى تأليفاتهم) أما « جريان » اللغة العربية وفضلها الفلسفى فقيمته ظاهرة لكل من وزن قوة نفوذها على الغربيين فى القرون المتوسطة ويتضح ذلك فى :

- تأثير اللغة العربية على العبرانية فى الفلسفة والكلام (راجع هنا ص ١٣٨ – ١٣٩) .
- تأثير اللغة العربية على أسلوب النثر والشعر فى اسبانيا وايطاليا وجنوب فرانسا (ديوان ابن قزمان – قوافى) .
- تأثيرها على الفنون الجميلة (بساط وفرش – تلوين القفطان) .
- تأثيرها الاجتماعى على تأسيس الجماعات بين أصحاب الصنائع Communes وبين الأساتذة والطلبة (universités) فى الغرب .
- تأثير الكلام والمتكلمين العرب (يهود ومسلمين) على علم الكلام عند النصارى شرح القديس توماس اكويناس St Thomas Aquinas على ابن رشد) .
- تأثير العربية على الأتراك (من Gengiskhan إلى تيمور) .

ــ تأثير العربية على الهند (المذاهب الدينية الاتحادية مثل كبير ونانك وأكبر شاه .

ــ تأثير العربية على مسلمى الصين والملايو (فضل عقيدتهم فى بلاد لا أخلاق لها : إلا مذهب الفائدة morale utilitaire) .

ــ تأثيرها على أهل السودان (العلماء فى مملكة السنغاى Senghay قبل فتح مولاى المنصور الفاسى للسودان) .

٢ - خاصيات الابداع العربى فى تاريخ الإصطلاحات الفلسفية :

هذا عنوان بعض المقالات «thèmes» المشهورة فى كل فلسفة مع كيفية تبيانها عند فلاسفة العرب فى شكل خاص .

فى المنطق : ١) « قياس أخيلس والسلحفاة » : (Zénon) فحوّل شكله فى فلسفة النظام الى الطفرة (أى النجاة بالعمل عن الاستحالة العقلية) .

٢) قياس الكذاب (من أهل كريت) . مغالطة السوفسطانية رد عليها Chrysippos وهو من أصحاب الرواق .

فى الرياضيات : ٣) اعتراضات ابن الصائغ على بطليموس Ptolémée فى مسألة حركات النجوم ، شبيهة باعتراضات Copernic و Kepler (فى الغرب) عليه .

٤) نظرية Bergson فى التفرقة بين « الدهر » و « الزمان » هى رجوع إلى نظرية محمد بن زكريا الرازى فيهما (راجع هنا ص ٣٧ وراجع البيرونى « الهند » ص ١٦٣) .

فى الطبيعيات : ٥) توسع مذهب الذرة «atomisme» المقتبس من Démocrite بين أصحاب الأشعرى ، كمثل توسعه بين أصحاب ديكارت Descartes فى القرن الـ ١٧ الميلادى . فكما تفرع بين تلاميذ Descartes الى occasionalisme [a] عند Malebranche ، والى وحدة الوجود عند Spinoza ، كذلك تفرع بين تلاميذ الاشعرى الى occasionalism عند الباقلانى القائل « العرض لايبقى زمانينا » وهذا عين مذهب «Malebranche» ، والى وحدة الوجود عند ابن عربى (راجع الفتوحات الممكنة لابن عربى جـ ١ ص ٢١١ و ج ٤ ص ٢٣) .

---

a) مذهب المصادفة أو الاتفاق .

٦) مقارنة براهين ابن سينا وببراهين اليونان ومتكلمى النصارى فى النهاية واللانهاية .

٧) مقارنة أصحاب الكيمياء العربية مثل الجلدكى وأصحاب الكيمياء الغربية مثل «Paracelse» : كيفية رموزهم (راجع تأليفات «Berthelot» «Les alchimistes») .

٨) مقارنة عرض العلل فى قانون ابن سينا وفى كتب «pathologistes» [a] فى الغرب (بحث فى آثار إنفعالات النفس على الجسم مثل إنطباع ثقوب مسامير الصليب على جسم بعض الزهاد فى النصرانية «stigmatisaton» فى علم النفس .

٩) مقارنة بين تغير أفكار الغزالى (فى المنقذ) وتغير أفكار الهندسى الفرنسى «Pascal» فى طريق الكشف والالهام .

١٠) مقارنة بين أوهام بعض الغلاة من التناسخية ، مثل ابن بانوش وابن خالط ، مع بعض مذاهب الروحانيين «spirites» وغلوهم بالنسبة لأرواح البهائم .

الأخلاق الاجتماعية : ١١) مقارنة بين كيفية حكاية « سلمان وابصال » فى ابن طفيل (حى ابن يقظان) وحكاية «Robinson Crusöe» للانجليزى «De Foe» ؛ وحكاية التمثال «statue» فى فلسفة «Condillac» الإلٰهيات .

١٢) مقارنة مذهب وحدة العقل لابن رشد ومذهب وحدة الروح لابن عربى مع بعض الـ «spiritualistes» [b] فى الغرب .

١٣) مقارنة « تعليم » الباطنية مع مذهب «Joseph de Maistre» فى حدود عصمة البابا (راجع الشيخ محمد إقبال فى كتابه الانجليزى «The development of metaphysics in Persia» لهذا التشبيه) .

١٤) مقارنة قياسات الحلاج (الطواسين باب ١١) فى التنزيه والحلول مع قياسات «Raymon Lulle» (المتوفى سنة ١٣١٥ هـ.م) .

٣ – الإستحداث (أى modernisme) .

هذا الرأى نتيجة فلسفية صادرة عن نصرة مذهب النشوء على مذهب الخلق فى علم الحياة .

---

a) اخصائيو علم الأمراض . b) الروحانيون .

للنشوء معبيان ١) انتقال المادة من صورة إلى صورة (أو انتقال من قوة إلى قوة) مع إثبات حقيقة كثرة الصور (والقوى) .

٢) أو نفى كل صورة مخصوصة وكل قوة معينة ، وإثبات شىء واحد « الهيولى » الوهمية المسماة «Maya» عند الهنود ، أى جريان «flux» دائم غير متناهى الأشكال . وهذا المذهب نقض قوة العقل والفكر .

فبدون مقولات ومفردات عامة كل شىء يصبح مستقلا مطلقا فلا يمكن إرتباط الأشياء للمقارنة بالفكر . قال بعضهم : « كل الكلاب مختلفة (بعضهم عن بعض) ولكن « كل » يدل على صفة عامة مشتركة بين الأشخاص المختلفة وهى الصفة « الكلية » .

هذا الجريان العام الدائم اسمه عندهم « الترقى » «progrès» . وهذا غريب ، لأن بدون مقصد ثابت لايمكن لنا أن نتكلم عن « درجات » أو عن « ارتقاء » .

قيل الحق المعتقد به فى السنة ١٠٠ باطل فى السنة ٢٠٠ . هذا مثلا يُقبل إذا فهمنا أن المقصد باقى على حاله بدون تغير . فبسرعة التغير فى أزياء النساء «modes féminines» مشهورة ، تارة مفرطة النحول للنزاقة ، وتارة مفرطة السمنة للجلالة ، ولكن المقصد باقى بلا تغير وهو إرادتهن للظرافة . من لامقصد ثابت له . لا ترقى إليه له : من غير الشر لايمكن أن نقارن بين الخير والشر .

« الترقى » لا ترقى له أبدا . من يفكر أن حركته صعود من جهة الفوق إلى نجمة من نجوم السماء ، فهو الذى يهبط وينزل من جهة التحت على رأسه فيها .

الإستحداث عند المتكلمين حفظ الألفاظ ، مع تبديل المعانى ، مع التمسك بالاجماع . يزعم أصحاب هذا المذهب أن حقيقة العقد الدينى هى الألفاظ (راجع حد الايمان عند الكرامية) فقط . أما المعانى فمن الواجب الإعتراف بتغيرها الدائم [راجع أبيات الفيلسوف الأمريكى «Emerson» [١١٨] وهو من أصحاب الإستحداث] :

---

(١١٨) Ralph Waldo (١٨٠٣ – ١٨٨٢) شاعر وكاتب وفيلسوف امريكى . من اعماله الفلسفية «Nature» سنة ١٨٣٦ – و «Essays» الجزء الأول فى سنة ١٨٤١ والثانى فى سنة ١٨٤٤ . من دواوينه «Poems» سنة ١٨٤٦ .

.... the gas become solid

And phantoms and nothings return to be things

And endless imbroglio is law and the word [a]

مع الإكتشافات والإختراعات . ولكن هذا نقض ثبوت الحق الالهى ، وهذا نفى لوجود المطلق والمطلق absolu هو شرط للتفكير .

---

a) جاء مابين القوسين فى الهامش .

المحاضرة الأربعون
خاتمة

١ - المصطلح والعوائد

تاريخ المصطلح الفلسفى كمثل مرآة تنعكس فيها النظريات القديمة ، ومافى مبحثه للإنسان العاقل الفعال فائدة البتة إلا بإقتباس ما ينعكس إلينا فى هذه المرآة ، من أشعة الحياة العظمى ، من نور العيون الصافية ، من نار القلوب الكريمة .

تاريخ الماضى طريق المستقبل ، ولابد لنا من إصلاح مصطلح محاضراتنا فى الجمعيات ومقالاتنا فى الجرائد بمقتضى ماشاهدنا فى الأزمنة السابقة .

لتعبير الأفكار قواعد ، ولتدقيق العبارات الفلسفية قوانين عملية أكثرها للنفى مثلما فى كتب الشرائع : «dont's» أى « لا تفعل » كما سماها الكاتب الانجليزى شيسترتون «G.K. Chesterton» [١١٩] (رَاجع : ص ٢٦١ - ٢٦٤ - [a] (A Miscellany of Men .

وهى ١) لا تستعمل اسما «substantif» ومن بعده صفة adjectif تخالفه فى المعنى ، لأن وظيفة الصفة فى الكلام أن تصف ، فليست وظيفتها أن تخالف أو تناقض . مثلا « وطنية بلا حدود » شىء غير معقول كذلك و « دين بدون فروض » أو « إعتقاد بدون عقيدة » أو « عهد إجتماعى بدون عقد » فهو أيضا محال .

٢) لاتستعمل كلمات فرعية كمثل الكلمات الأصلية .

(كل نظرية فى عباراتها قسمان ، قسم أصلى أى الحقائق ، وقسم فرعى أى الوسائل) . فمثلا فى تاريخ النظريات الاجتماعية «sociales» المقصود هو « سعادة الانسانية » . السعادة هنا كلمة

---

a) جاء فى الهامش .

---

(١١٩) هو Gilbert Keith Chesterton (١٨٧٤ - ١٩٣٦) كاتب انجليزى صاحب دراسات عن ديكنزوشو ، وله العديد من الروايات منها « الإنسان الذى كان يوم الخميس » و « نبيذ وماء وغناء » وله أيضا « تاريخ موج لانجلترا » .

أصلية ، أما الترقى «progrès» ، أو الاستبداد «tyrannie» فهى كلمات فرعية ، فللفيلسوف العاقل أن يمنع أسلوبه الفرعى عن أن يغلب على المقصود الأصلى ، أى أن يمنع غلبة الطفيلى على صاحب البيت .

٣) لاتقل « إختلاف الاراء والمذاهب دليل على عدم وجود الحق » ، أو « لايوجد للدين الحقيقى مقياس صحيح لأن لكل متدين أن يكون متمسكا بصحة عقيدته » هذا خُلف [a] لأن كل الموجودات (بالذهن أو بالخارج) لابد لها من شكل مخصوص أو صورة مخصوصة ، فمثلا الأرض لابد لها من شكل مناخى لكل شكل آخر ، فلزاما علينا الإختيار بين نظرية من يعتقد أنها مدورة تماما ، وبين نظرية من يعتقد أنها مربعة الوجوه ، وعلى رأى Green [١٢٠] «thévri-tétraédrique» فلا يمكن لنا قبول النظريتين المتضادتين معا .

٤) لاتقل « الجنون صفة الأقلية فقط والعقل صفة الأكثرية » ، فأفضلية العقلاء على المجانين أصلها النظام لا العدد . فالعقلاء هم ذوى العُقلة والرابطة والتآليف ، أما أفكار المجانين فهى مشتتة متفرقة لا مركز لها ولا شخصية واحدة .

٥) لاتقل مثلما قيل بين بعض أصحاب مذهب النشوء الاجتماعى « المساواة شيء محال لأن الطويل أطول من الصغير » ، فلا حقيقة فى خطر غلبة الطويل الجاهل على الدوام ، أما القصير العاقل [b] فهو الذى قد فهم أنه صغير القد .

٦) لاتقبل خرافات بعض العلماء فى علم « انسان ماقبل التاريخ » «anthropologie préhistorique» ونظرياتها المخالفة لكلّ ما جربنا فى الطبيعة ومثال ذلك ماقالوه من أن الإنسان الأول هو أصل تنوع المذكر والمؤنث ، وأن المذكر هو الأقوى الذى ضرب على الأضعف (أى المرأة) بالعصا ، ثم صارت (الأضعف) أى المرأة مجبورة على الحمل . فهذا وهم مردود من كل من اطلع على عوائد الحيوان .

---

a) هذا المصطلح ترجمة لـ paradoxe .

b) جاء فى الأصل « الطويل العاقل » والسياق المنطقى للفكرة يحتم العكس .

---

(١٢٠) هو Thomas green (١٨٣٦ - ١٨٨٢) الفيلسوف الانجليزى الشهير وأهم أعماله « مقدمة للأخلاق » و « قراءات فى مبادىء الإلتزام السياسى » نشر مع Grose أعمال هيوم مقدما لها بدراسة دقيقة للمدرسة التجريبية . صاحب فلسفة مثالية متأثرة بكانت وهيجل .

٧) لاتقل « العقيدة «dogme» والحرية «liberté» ضدان ، لا يتوافقان بل لاثبوت للحرية إلا بعد تثبيت العقيدة المشتركة بين أعضاء العهد الإجتماعى . فمثلا اذا تفحصنا معا متحدى الإعتقاد بحقيقة وجود الشمس التى تنير طريقنا فيمكن لنا أن نتكلم من مشاهداتنا الشخصية . يمكن أن نقابلها أى أن نقارنها بمشاهدة من يحكم على أشعة الشمس بأنها الغالب فى لونها الأحمر أو الأصفر . بخلاف ذلك اذا خرجنا للفصحى فإن مختلفى الرأى على وجود الشمس متفقو الوهم بأن الشمس اسم فقط لا حقيقة لها إلا فى ذهن الناس . فما يمكن لنا أن نتكلم أو أن نقارن مشاهداتنا . فكل واحد منا محبوس فى استقلاله الشخصى مقيد بأوهام لاتقبل المقابلة . من لم يصدق وجوب اختيار عقيدة ثابته «dogme fixe» فقد أسترقت حريته تحت استبداد العوائد (أى الموضات «modes» الزائلة .

وبالجملة التجرد عن الحكم بعد التعرف حين لا فضل للعقل فيه . من عرف حدّ من حدّ فقد تحكم ، من تحكم فقد تخيرّ .

٢ - التاريخ والشهود

من أهم المسائل الأصولية فى التاريخ مسألة الشهود ولها وجوه ثلاثة :

١) الشاهد سرا والشاهد جهرا أيهما الأصدق ؟ أغلب العلماء يرون أن لدى المؤرخين مايسمى « بالكذب الرسمى » «mensonge officiel» ، فكتابات ملوك الأشوريين على جدر الهياكل فيها كثير من الكذب الرسمى [على سبيل المثال ذكر حبس الفرعون « تهارقت » وفى الحقيقة ماحُبس] ، وكذلك إعلانات نابليون «Napoléon : proclamations» الى جنده أو متون خطب المبعوثين [a] مع « إصطلاحاتها » فى الجريدة الرسمية .

والأصح للمؤرخ أن يقارن الشهادات (السرية مع الجهرية) . أن لا يقبل مثلا إعتراضات متكلمى الأشاعرة على أعدائهم المعتزلة بدون تصحيح ، بدون مقارنة مع ماحققوا فى اليمن (الخ) من تأليفات أهل الإعتزال .

---

a) يقصد « المسئولين » فيما يبدو .

٢) شهادة الحديث وشهادة الكتابة أيهما لها الفضل ؟ لقد فضلت الأمة الإسلامية الحديث على الكتابة لجمع شواهد السنة النبوية ، وبخلاف ذلك قد أفرط أكثر علماء أوروبا منذ ثلاثمائة سنة فى إحترامهم للمتون المكتوبة . والحديث مع إنتقاد خاصيات المحدث اصح من المتن ولو مع إنتقاد خاصيات القرطاس والخط والختم .

٣) شهادة العامة وشهادة الخاصة .

أعنى « بالعامة » كل أمى «illétré» من الأمة «peuple» ، وأعنى « بالخاصة » كل مؤدب «lettré»[a] .

شهادة الأمى شيء أصح لأنه يحكى مايحس بدون إخفاء وبدون قصد . أما الأديب فهو صاحب نظريات عقلية يقصد فى حكاياته كلها تحقيق ماتوهم . النظريات عنده فى مقام أرفع من العمليات ، والأفكار «idées» أرفع من الأفعال «faits» . فمثلا فى مسألة الخوارق[b] والمعجزات «miracle» المؤرخون حزبان :

١) حزب يعترف بوجود الحادثة[c] التاريخية «fait historique» المسماه « معجزة » فى روايات كثيرة مسندة فى كل أمة وفى كل عصر .

٢) وحزب ينكر أصلا إمكان هذه الحادثة ، ويشكك فيما روى من المعجزات فى الروايات التاريخية كلها ، ويقطع ذكرها عنها بدون سبب علمى (مثل إنتقاد المتون أو الخطوط أو الشهود) بمقتضى نظريتهم الخاصة . وهذا نقصان لأن وظيفة المؤرخ الفاضل أن يقبل كل ماروى من الحوادث التاريخية بإسناد صحيح حتى لو كانت الرواية مخالفة مناقضة لأرائه النفسية .

٣ - طريق الحق

إرادتنا مائلة الى حال التأليف والصلح الحقيقى والإتفاق الجوهرى بين الأمم والأشخاص ، ولكن زماننا زمان الحروب والمناقشات الشديدة .

---

a) المؤدب هو المثقف المتعلم b) جاءت فى الأصل « الخواريق » وهى كلمة غير شائعة . c) جاءت فى الأصل « الحديثة » .

الحق موجود ولكل حق حقيقة ، ومالها وجهان : وجه للصدق ووجه للكذب بل أملنا أن نصير معا من الإختلاف إلى الاتحاد الصحيح . فليس من الإتحاد مساحة tolérance بعضنا بعضا réciproque [a] فى إباحة الباطل والشر والخلف بل الإتحاد بيننا فى تصفية الارادة وطلب الحقائق مع نظام .

قد فهمنا فى المحاضرة ٢٩ أن طرق الإنسان إلى الحق مقاييس مختلفة أشهرها :

١) الإجماع «consentement universel» أى «consensus priantum» فى الفقه الرومانى .

٢) الشعور النفسى «sentiment personnel»[b] : تجربة – تصديق شخصى ، إتضاح «évidence» .

٣) مذهب السلف (القدماء) «autorité des anciens» .

٤) التعليم «existence actuelle d'une autorité» : نقل – تقليد – تواتر .

الإجماع وحده ناقص (عند العلماء شروط الإجماع لا إتفاق عليها) ، كذلك الشعور النفسى [c] أو التصديق (تتبدل الآراء عدة مرات [b] فى شخصية واحدة . راجع الأشعرى أو الغزالى) ، كذلك معرفة مذهب السلف (مما نعرفها من الكتب أو من الاحاديث ؟) .

راجع : W.H. Mallock:Doctrine and doctrinal disruption. London 1908 [f] [١٣١] .

ولكن المقياس الرابع (المختار عند الباطنية فى الإسلام والكاثوليكية فى النصرانية) « التعليم » هو المتمم والمكمل للمقاييس الثلاثة الناقصة يكمل الإجماع :

---

a) الـ tolérance réciproque هى التسامح المتبادل b) المقصود الشعور الشخصى وفقا لمصطلح علم النفس الحديث . c) نفس الملاحظة السابقة . d) جاء فى الأصل « كم » . e) جاءت فى الهامش . f) جاءت فى الهامش .

---

[١٣١] هو William Mallock (١٨٤٩ – ١٩٢٣) كانت اجتماعى انجليزى انتقد الحياة الانجليزية فى كتابة « الجمهورية الجديدة » ، ما أهم أعماله بالإضافة التى ماسبق « المساواة الاجتماعية » .

١) بتحقيق عصمة الأئمة «infaillibilité des imams» .

٢) بتدوين توقيعات أولى الأمر

٣) بتواتر التعليم مع إستمرار الأمد (سلسلة الأئمة) .

وهو يكمل مقياس « مذهب السلف » أيضا لأن لا فرق بين الراسخين من السلف والأئمة المعصومين فى ذلك الوقت .

ويكمل أيضا مقياس « التصديق النفسى » «interior witness» لابد لمذهب تعليمى حقيقى من شواهد تاريخية تدل على أن الحقائق المذكورة فى عقيدة الائمة مجربة من المعتقدين فى أسرارهم قبلا . [راجع أراء اهل المدينة الفاضلة للفارابى (طبع مصر ص ٨٦) فى رئيس المدينة الفاضلة الذى حل فيه العقل الفعال]

جمعنا الله تعالى الى الأبد فى تحقيقه وتصديقه وإشتياقه سبحانه وتعالى .

لويز ماسينيون [a]

---

a) توقيع صاحب المحاضرات بخط يده .

ملحق (a)

— ص ١٤ فى نهايتها أضاف ماسينيون : «logique moderne, logistique, méthodologie» ، وأضاف أيضا : «Goblot: jugement virtuel, jugement actuel» .

— ص ١٥ السطر ٣ بعد كلمة « الكردى » أضاف ماسينيون : « رد جمال الدين الأفغانى (فى الرد على الدهريين ص ٧٩) بأن : « الله منزه عن مشاركة الممكنات فى خصائص الإمكان . أما فى مطلق الوجود فلا مانع من أن يتفق إطلاق الوصف عليها وعليه وإن كان وجوده واجبا ووجودها ممكنا » .

— ص ١٧ سطر ٢٣ بعد كلمة « الوضع » أضاف ماسينيون : « الفرق بين الوضع والأين مثل الفرق بين الهندسة «géométre ordinaire» والهندسة الوضعية «géométrie in analysis situ position» التى تبحث بها نسب الأشكال بدون إعتبار للمقادير . وهى لا فى موضوع ولا فى محل » .

— ص ١٨ آخر الصفحة أضاف ماسينيون : « سمى الغزالى فى « الإحياء » الجوهر والعرض ، أو الحيز والجهة « بالمحذورات » وذلك فى مسألة التنزيه » .

— ص ١٩ سطر ٧ بعد كلمة « الشخصية » أضاف ماسينيون « ولكن الشخص ليس من المفردات (universaux) » .

— ص ٢٠ سطر ٢٠ استبدل بكلم « برواز » كلمة « إطار » .

ص ٢٥ سطر ٩ عدل ماسينيون كلمة « إنقلاب » فجعلها « قلب » .

ص ٢٦ سطر ٨ بعد كلمة « تناقض » أضاف الأستاذ ماسينيون : « تناقض = contradiction وإن كان E.F يفضل « طباق » ترجمة لكلمة «opposition» .

---

a) يتكون هذا الملحق من الإضافات التى أضافها الأستاذ ماسينيون بخط يده إلى نسخة الأستاذ الدكتور عثمان يحيى .

— ص ٢٨ فى نهاية الصفحة أضاف ماسينيون : «extension et compréhension quand il s'agit de collection d'infinis (= nombres).

Cantor considère la compréhension : il part de la collection pour étiqueter son contenu et la mettre en tiroir. Poincaré considère l'extension: il part des échantillons présentés un à un ; la collection s'enrichit à chaque instant mais cela la transforme en bouleversant toute la classification à chaque instant (Poincaré : Dernières pensées, p.148-149).

— ص ٣٠ سطر ١١ بعد كلمة «induction» أضاف ماسينيون : «simple syllogisme contracté» .

— ص ٣٣ سطر ١٣ فى نهايته أضاف ماسينيون : « كانت فرقته تعتقد بوجود عدد متناهى من النقط فى كل خط (nombre déterminé de points identiques) ، ومن الغريب أنهم هم مخترعو النسبة التقريبية بين ضلع المربع وقطره (diagonale) وهذه النسبه هى عدد أصم «incomensurable» .

— ص ٣٤ سطر ١٢ بعد كلمة « الأصم » أضاف ماسينيون : «traduit par «surdus» dans le latin médiéval (cf.Bacon: «a surdo ad computubile» No um Organum, II. 8, in Maistre: Philosophie de Bacon, II, 128-129»

— ص ٤٣ سطر ١٨ بعد كلمة الزمان أضاف ماسينيون : « هذا بعينه مذهب محمد بن زكريا الرازى فى الفرق بين المدة والزمان ؛ راجع البيرونى : الهند ص ١٦٣ » .

— ص ٤٥ سطر ٩ بعد كلمة « الخلعى » أضاف ماسينيون : «En Egypte سُلَّم — détraccord = inférieur سفلى — pentraccord supérieur = علوى — طبقة = gamme» .

— ص ٤٦ آخر الصفحة أضاف ماسينيون : « الضروبات » بدلا من « الضروب » ، و « الميزان »«mesure» نوع من الضروبات أى النوع الذى فيه تتساوى كل الإيقاعات .

— ص ٤٨ آخر الصفحة أضاف ماسينيون :

«ajouter : qualités des sons : (Ibn Khaldun) :

bas (جهر : opposé) همس

doux (شديد : opposé) رخو

vibrant (مضغوط : opposé) مقلقل

x khula'i:

grave = مصهرج ، pure = شجى ، aigüe = مخلخل ، tremblant = مرتعد ، sèche = مصلصل » .

— ص ٥٢ سطر ٨ بعد كلمة «natura» أضاف ماسينيون :

«Chez Bacon «natura signifie : «effectus» tel qualitus»

— ص ٥٣ سطر ١٧ بعد تعبير « غير ضرورية » أضاف ماسينيون ترجمة أخرى وهى « ممكنة » .

— ص ٥٦ سطر ٢ بعد كلمة «Bacon» أضاف ماسينيون :

«forme = essence chez Bacon. cf. Carus : Philosophie de la forme; et cf. Ibn Sab'în»

— ص ٥٨ سطر ١٣ بعد كلمة « إستنتاج » أضاف ماسينيون : « conclusion إستخلاص عند E.F» ؛ وفى الحقيقة ترجمة كلمة conclusion هى : نتيجة .

— ص ٦٧ سطر ٧ بعد كلمة « الفرق » أضاف ماسينيون هذه الترجمة الفرنسية : «moyenne du carré des écarts (= écarts des gains par rapport à la normale) .

— ص ٦٧ سطر ٨ بعد كلمة « الفرق » أضاف ماسينيون هذه الترجمة الفرنسية : «demi-carré de la moyenne des écarts»

— ص ٦٧ سطر ١٠ بعد كلمة « المكررة » أضاف ماسينيون هذه الترجمة الفرنسية : «loi des écarts des épreuves répétées»

— ص ٦٨ سطر ٣ بعد كلمة « الطرد » أضاف ماسينيون : « إتفاق » .

— ص ٦٨ سطر ٤ بعد كلمة « العكس » أضاف ماسينيون : « إختلاف » .

— ص ٦٨ سطر ٥ بعد كلمة « السبر » أضاف ماسينيون : « البقية » .

— ص ٦٨ سطر ٦ إستبدل ماسينيون تعبير « الإختلاف الموافق » بتعبير « المقابلة والموافقة » .

— ص ٩٢ سطر ١٨ أضاف ماسينيون بعد كلمة « نزعات » : « أهواء » .

— ص ٩٣ سطر ٤ بعد كلمة « هذيان » أضاف ماسينيون : « عند E.F هى الهوس » .

— ص ٩٣ سطره بعد كلمة « هذات » أضاف ماسينيون : «ou حركة نفسية » .

— ص ٩٣ سطر ٦ بعد كلمة « أنانية » أضاف ماسينيون : « إيثار » .

— ص ٩٣ سطر ٧ إستبدل ماسينيون كلمة تعاطف « بإنعطاف » .

— ص ٩٣ سطر ٨ إستبدل ماسينيون كلمة تنافر بكلمة « نفرة » .

— ص ٩٣ سطر ١١ أضاف ماسينيون بعد كلمة « إستهواء » : « ايهام » .

— ص ٩٣ سطر ١٩ بعد كلمة « قوة » أضاف ماسينيون : « وذلك فى الـ psychologie أما فى الـ métaphysique فهى ملكة » .

— ص ١٠٥ سطر ١٧ بعد كلمة « اللغات » أضاف ماسينيون متسائلا :

«employer ici luguàt ou kalam ?» .

— ص ١٠٥ سطر ١٨ أضاف ماسينيون بعد « ابن فارس النحوى » « والأشعرى » .

— ص ١٠٧ أضاف ماسينيون بسطر ١١ بعد Kàlidàsa : « راجع كتاب : «Sylvestre lévi: le théâtre hindou»

— ص ١١٥ أضاف الأستاذ ماسينيون فى آخر سطر ترجمة جديدة لمذاهب الـ : «morale sociologie» وهى « الأخلاق الجماعية أو الجمعية » . وفى رأينا أن الأصوب هو « مذاهب الأخلاق الإجتماعية » .

— ص ١٣٣ فى السطر ١٠ إستبدال ماسينيون بتعبير « الوسط الخارجى » تعبير « البيئة الخارجية » .

— ص ١٣٨ سطر ٧ إقتراح ماسينيون ترجمة أخرى لكلمة «transcendantal» هى « فوق المادة » .

— ص ١٤٨ سطر ٦ أضاف ماسينيون بعد كلمة « لأثنين » : « وقال عبد القادر الكيلانى « إن الله عز وجل لايتجلى لعبد فى صفتين ولا فى صفة لعبدين ... لكل عبد حد ... وصف ... طور ... تجلّ ... منازلة ... سر معراج ... غاية » (بهجة ص ٨٢) .

— ص ١٥٣ سطر ٦ إقترح ماسينيون ترجمة أخرى لـ « مبدأ التناقض » وهى « طريقة الخُلف » .

— ص ١٥٣ سطر ١٠ أضاف ماسينيون بعد كلمة «conscience» « سريرة «en métaphysique

— ص ١٥٣ سطر ١١ أضاف ماسينيون بعد تعبير «consience psychologique» : « وعى عند E.F»

— ص ١٥٣ سطر ١٢ أضاف ماسينيون بعد « الوجدان الأدبى » : « الضمير » .

— ص ١٥٣ سطر ١٣ إقترح ماسينيون مصطلحا آخر « للاشعور » وهو « اللاوعى » .

— ص ١٦٣ سطر ١٧ إستبدل ماسينيون كلمة « تأليفها » بـ « تركيبها » .

— ص ١٦٣ سطر ١٨ إستبدل ماسينيون تعبير « مدبرة حادية » بـ « رئيسية » .

— ص ١٦٤ سطر ٧ إستبدل ماسينيون تعبير « تجاوب المعانى أو اطّراد المعانى » بـ « بنظام المعانى » .

— ص ١٧٤ سطر ٢١ أضاف ماسينيون بعد كلمة القديمة : « المنقرضة عند E.F» .

— ص ١٨٥ آخر سطر أضاف ماسينيون بعد كلمة الكيلانى « راجع البهجة ص ٨١ » .

— ص ٢٠١ سطر ٢١ اقترح ماسينيون كلمة « التجدّد أو التجديد » بدلاً من « الإستحداث » .

فهارس الكتاب

١ – فهرس الأعلام .

أولا : الفهرس الأوربي .

ثانيا : الفهرس العربي .

٢ – فهرس الإصطلاحات :

أولا : الفهرس الأوربي .

ثانيا : الفهرس العربي .

فهرس الأعلام

أولا : الفهرس الأوربي

TABLE DES AUTEURS EUROPÉENS (ANCIENS ET MODERNES)

D

E

F

G

H

I

J

K

L

M

N

O

P

ثانيا : الفهرس العربي

(أ)

---

a) هذا الجزء من الفهرس يتضمن أسماء الأعلام الغربيين الذين ذكرت اسماؤهم باللغة العربية .

فهرس الإصطلاحات
أولا : الفهرس الأوربى

TABLE DES MOTS TECHNIQUES EN FRANÇAIS, EN LATIN (L), EN GREC (G), ET EN ANGLAIS (Ang.)

A

B

C

(1) المقصود هنا بحرف (S) اللغة السنسكريتية . — (2) المقصود هنا بحرف (A) اللغة الألمانية .

M

N

O

P

Q

R

S

T

U

ثانيا : الفهرس العربى

(ب)

(غ)

(ف)

(ق)

(هـ)

(و)

basé sur une photocopie du document original dont certains passages étaient ambigus ou obscurs. Il semble que les conférences aient été écrites par un auditeur, élève de Massignon et, de ce fait, certaines erreurs s'y sont glissées. Madame Khodeiry s'en est strictement tenue au texte, n'y ajoutant que certaines ponctuations pour rendre le texte plus clair, en ne corrigeant que les fautes manifestes du copiste.

Pour les notes marginales, elle s'est contentée de donner de courtes notices sur certains auteurs ou certains livres.

Elle mérite d'être félicitée pour les fidèles efforts qu'elle a déployés tout au long de son travail.

Les presses de l'IFAO, si célèbres pour la précision et la perfection de leur travail, ont bien voulu accepter, malgré leur surcharge de travail, de se charger de l'impression du livre. Nous remercions vivement Madame Posener-Kriéger, Directeur de l'IFAO, pour son efficace collaboration. D'ailleurs les liens qui unissaient Massignon à l'Institut étaient profonds et remontent à très loin. Il fut en effet pensionnaire à l'IFAO au début du siècle, puis comme conférencier et professeur au Caire, il y fit de nombreux séjours. Il aimait y passer les jours ou les semaines durant son passage au Caire. C'est là aussi un des traits de la fidélité du grand homme qu'était Massignon.

IBRAHIM MADKOUR

Plus d'un lien me lie à ces conférences. Un certain nombre d'entre elles se rapportent à la logique arabe, sujet sur lequel je me suis longuement penché vingt ans après que ces conférences eussent été données. Ce fut à l'occasion de la préparation de ma grande thèse de doctorat sur « La Logique d'Aristote dans le monde arabe ». A cette époque je ne possédais pas les conférences de Massignon mais j'étais en contact étroit avec lui. Que de fois je profitai de ses observations et de ses orientations. D'ailleurs il n'en était pas resté à la forme que ces conférences eurent au début du siècle mais il y fit de nombreuses additions.

Un autre lien me lie à ces conférences : c'est qu'elles avaient pour objet les termes techniques scientifiques et philosophiques en Islam. C'est là un sujet dont les chercheurs musulmans s'étaient longuement occupés autrefois et avaient composé un certain nombre d'ouvrages sur le sujet. Massignon connaissait toute cette littérature et il sut en tirer grand profit. Il essaya de les résumer, de les présenter sous une nouvelle forme dans ses conférences. Il ne manqua pas dans ses écrits postérieurs de reprendre certaines d'entre elles, de les recomposer, de les compléter.

Le terme technique chemine du même pas que la science. Il y a des termes anciens auxquels viennent s'ajouter de nouveaux termes. C'est là le travail par excellence de l'Académie de la Langue Arabe du Caire. Celle-ci a élaboré un Lexique philosophique et un autre des sciences sociales dans la confection desquels j'ai étroitement collaboré. Je ne manquais pas de profiter grandement des études antérieures de Massignon. Quel dommage qu'il ne vécût pas assez longtemps pour pouvoir voir de visu ces ouvrages.

Je suis particulièrement heureux de saluer aujourd'hui la parution de ces conférences de Massignon à l'ancienne Université du Caire à l'occasion de la célébration du centenaire de sa naissance. La tâche de les éditer fut confiée à une jeune maître de conférences de la Faculté des lettres du Caire, Dr. Zeinab El-Khodeiry, qui fut l'élève directe de Massignon, — à la suite de son père feu le Professeur Mahmoud El-Khodeiry qui, pendant de longues années, à Paris et au Caire, puisa dans la vaste science du grand Maître.

Je suis heureux de rendre témoignage aux efforts que Madame Khodeiry a déployés pour surmonter les difficultés du texte. Malgré ses nombreuses occupations, elle parvint à achever son travail dans un temps record. Son travail est

PRÉFACE

Il m'a été donné, il y a un peu plus de vingt ans, de rendre un dernier hommage à Louis Massignon, au nom de l'Académie de la Langue Arabe du Caire. Ce qui attira mon attention au cours de ma recherche dans ses travaux et les écrits laissés par lui fut l'existence de manuscrits arabes et français restés inédits. Je proposai, pour commémorer son souvenir, qu'ils fussent tous publiés. Parmi ces manuscrits, il y avait celui pour lequel j'écris la préface aujourd'hui.

J'avais conçu l'idée de l'éditer moi-même et m'apprêtai à le faire; mais des circonstances indépendantes de ma volonté m'empêchèrent de réaliser. mon désir. J'appris en particulier que la famille elle-même songeait à entreprendre cette tâche. Je ne pouvais qu'accéder à son désir.

Le texte publié aujourd'hui comporte un enseignement et revêt une certaine signification. Il représente d'abord les prémices de l'activité scientifique de Massignon, — qui à cette époque n'avait pas atteint la trentaine. Malgré cela, l'œuvre dénote une immense érudition et une science étendue. L'auteur y concilie la pensée arabe avec la pensée occidentale, liant l'ancien au moderne.

En second lieu, c'est une série de cours donnés, en arabe, dans une université naissante, l'ancienne Université Egyptienne, en 1912, à des étudiants comme Mansour Fahmi, Taha Hussein, ʿAli El-ʿEnani, Ahmad Dayf, qui furent par la suite à l'avant-garde de ceux qui contribuèrent à la renaissance intellectuelle de l'Egypte contemporaine. Massignon fut toujours un fondateur et un pionnier.

Dans ces conférences, il enseigna aux étudiants universitaires qui suivaient son cours ce dont ils avaient le plus besoin : la détermination du but à suivre, et la méthode à employer pour l'atteindre. Elles attirèrent l'attention sur les sources diverses, arabes et européennes imprimées et manuscrites. Massignon était, sans conteste, un maître dans le domaine des sources arabes : je ne pense pas qu'aucun de ses grands contemporains, arabes ou arabisants, pût l'égaler dans ce domaine Dès qu'on lui posait une question sur un sujet touchant à la culture arabe, il indiquait immédiatement les sources principales pour son étude et la manière de l'aborder. Il parcourut le monde arabe et le monde islamique de long en large, visita de nombreuses bibliothèques publiques et privées et en tira un immense profit.



LOUIS MASSIGNON

COURS D'HISTOIRE
DES
TERMES PHILOSOPHIQUES ARABES

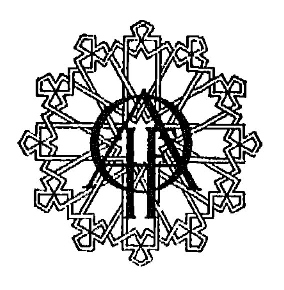
(du 25 Novembre 1912 au 24 Avril 1913)

préface par

Prof. Dr. IBRAHIM MADKOUR

édition et présentation par

Dr. ZEINAB MAHMOUD EL-KHODEIRY



INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE



TEXTES ARABES ET ÉTUDES ISLAMIQUES, TOME XXII, 1983

COURS D'HISTOIRE

DES

TERMES PHILOSOPHIQUES ARABES

(du 25 Novembre 1912 au 24 Avril 1913)

COURS D'HISTOIRE

DES

TERMES PHILOSOPHIQUES ARABES

(du 25 Novembre 1912 au 24 Avril 1913)



605

LOUIS MASSIGNON

COURS D'HISTOIRE
DES
TERMES PHILOSOPHIQUES ARABES

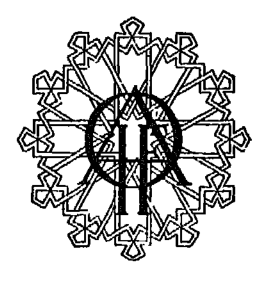
(du 25 Novembre 1912 au 24 Avril 1913)

préface par

Prof. Dr. IBRAHIM MADKOUR

édition et présentation par

Dr. ZEINAB MAHMOUD EL-KHODEIRY



INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE